



ع/ص  
ع/ع

جامعة آل البيت  
كلية الدراسات الفقهية والقانونية  
قسم أصول الدين (التفسير)

## الآيات القرآنية الواردة في نصر المؤمنين وأسبابه

(( دراسة موضوعية ))

*The Quranic Verses Dealing with the Believers  
Triumph and its Causes: A Thematic Study*

إعداد الأستاذة

فريال سلامة البرصان

إشراف

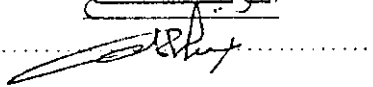
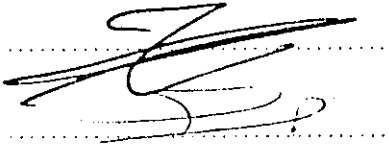
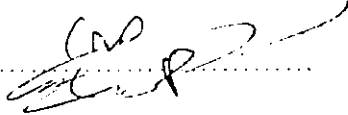
الدكتور: عبد الرحيم أحمد الزقة

# الآيات القرآنية الواردة في نصر المؤمنين وأسبابه (دراسة موضوعية)

## The Quranic Verses Dealing with the Believers Triumph and its Causes : A Thematic Study

اعداد الطالبة  
فريال سلامة سليمان البرصان

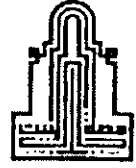
باشراف الدكتور  
عبد الرحيم احمد الزقعة

التوقيع  
  
  


- اعضاء لجنة المناقشة :
- ١- الدكتور عبد الرحيم الزقعة
  - ٢- الدكتور حسيب السامرائي
  - ٣- الدكتور احمد عباس البدوي
  - ٤- الدكتور احمد فريد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اصول الدين (التفسير) في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ ٢٠٠١/٦/١١ م



# آيات القرآنية الواردة في نظر المؤمنين وأسبابه

(( دراسة موضوعية ))

أحمد الوائلي

فريال سلامة البرصان

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

- |       |                                    |
|-------|------------------------------------|
| ..... | د. ١. عبد الرحيم أحمد الزقة مشرفاً |
| ..... | د. ٢. حسيب السامرائي               |
| ..... | د. ٣. أحمد عباس البدوي             |
| ..... | د. ٤. أحمد فريد                    |

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (التفسير)، في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا الى

والديّ الكريمين اللذين علماني الاصرار والعزيمة

إلى أختي العزيزة التي بادلتني وداً ووفاءً وتقديراً

إلى اخواني الاعزاء الذين غمروني لطفاً وكرماً

فجزاهم الله خيراً، وسيرهم في ركاب التوفيق،

وجعل لهم في قلوب الناس وداً.

\* \* \* \* \*

بسم الله الرحمن الرحيم

## الشكر والتقدير

لا يسعني في هذا المقام الا أن اتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل والعرفان الوافي إلى استاذي فضيلة الدكتور عبد الرحيم أحمد الزقة لتفضله بالاشراف على هذه الرسالة حيث كان اباً فاضلاً ومعلماً ناصحاً مرشداً فجزاه الله عني خير الجزاء ثم اتوجه بالشكر للسادة الآباء الكرام أعضاء لجنة المناقشة الممثلة :

بفضيلة الدكتور حسيب السامرائي

و فضيلة الدكتور أحمد عباس البدوي

و فضيلة الدكتور أحمد فريد

وذلك لتفضلهم بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وابداء الملاحظات عليها .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأخي عمر لما قدمه لي من عون ومساعدة أثناء

كتابة هذه الرسالة.

و اتقدم بشكر أولي الفضل علي؛ لكل من علمني حرفاً فكان لهم علي فضلاً

واسعاً.

فجزاهم الله خيراً جميعاً وغفر لهم وجعل الجنة منزلهم

## فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
ب	◀ الاهداء .....
ج	◀ الشكر .....
د	◀ فهرس المحتويات .....
ز	◀ المخلص .....
١	◀ المقدمة .....
٥	◀ الباب الأول: الايات الواردة في بيان مفهوم النصر في القران الكريم .....
٦	□ الفصل الأول: الايات الواردة في معنى لفظ النصر ودلالته في السياق القرآني
٧	• المبحث الأول: بيان معنى لفظ النصر لغة واصطلاحا .....
٩	• المبحث الثاني: مفردات قريبة من معنى النصر في القران الكريم والآيات الواردة في ذلك .....
١٣	• المبحث الثالث: الايات الواردة في الاعجاز القرآني في مصطلح النصر من خلال: .....
١٣	- ورود لفظ النصر مضافاً والحكمة من ذلك .....
١٤	- وصف النصر بالعزیز والحكمة من ذلك .....
١٦	- الفرق بين الفتح والنصر .....
١٧	- الاقتران بين الولي والنصير وسر تقديم الولي على النصير .....
٢٥	□ الفصل الثاني : الايات الواردة في كون النصر سنة ربانية .....
٢٦	• المبحث الأول : بيان مفهوم السنن .....
٢٦	- مفهوم السنة في اللغة والاصطلاح .....
٢٨	• المبحث الثاني : الايات الواردة في خصائص السنن وأنواعها .....
٢٨	- أولاً: الاطراد والثبات .....
٣١	- ثانياً: الربانية .....
٣٢	- ثالثاً: الشمول .....
٣٣	- رابعاً: توائم السنن مع بعضها .....
٣٥	- أنواع السنن ونماذجها .....

- ٣٨ ..... - التصور البشري للسنن في الماضي والحاضر .....
- ٤١ ..... ● المبحث الثالث : الايات الواردة في بيان أن النصر سنة ربانية .....
- ٧٠ ..... < الباب الثاني: الايات الواردة في اسباب نصر المؤمنين، واقسامه وثماره في حياة الامة .....
- ٧١ ..... □ الفصل الأول : الايات الواردة في اسباب النصر المؤمنين .....
- ٧٢ ..... ● المبحث الأول: الايات الواردة في الاسباب المادية لنصر المؤمنين .....
- ٧٢ ..... - أولا: اعداد القوة الضاربة .....
- ٧٨ ..... - ثانيا: اعداد العنصر البشري اللازم .....
- ٨٢ ..... - ثالثا: الانفاق في سبيل الله .....
- ٨٤ ..... - رابعا: احسان العمل .....
- ٨٥ ..... ● المبحث الثاني: الايات الواردة في الاسباب المعنوية لنصر المؤمنين .....
- ٨٦ ..... - أولا: توحيد كلمة الامة واتقاء التنازع والخلاف .....
- ٨٨ ..... - ثانيا: طاعة الله ورسوله .....
- ٩٠ ..... - ثالثا: الثبات وعدم الفرار .....
- ٩٢ ..... - رابعا: التوكل الكامل على الله .....
- ٩٣ ..... - خامسا: الدعاء وذكر الله كثيرا .....
- ٩٥ ..... - سادسا: الصبر وعدم اليأس .....
- ٩٧ ..... - سابعا أسباب الهية غيبية .....
- ١٠٠ ..... □ الفصل الثاني : الايات الواردة في اقسام نصر المؤمنين .....
- ١٠١ ..... ● المبحث الأول : النصر العسكري .....
- ١٠٧ ..... ● المبحث الثاني : النصر الاجتماعي (الدعوي) .....
- ١١٠ ..... ● المبحث الثالث : النصر الاقتصادي .....
- ١١٤ ..... ● المبحث الرابع : النصر السياسي .....
- ١١٨ ..... □ الفصل الثالث : الايات الواردة في ثمار نصر المؤمنين في حياة الامة .....
- ١١٩ ..... ● المبحث الأول : احقاق الحق وابطال الباطل .....
- ١٢٢ ..... ● المبحث الثاني : تحقيق الامن في شتى مجالات الحياة .....
- ١٢٥ ..... ● المبحث الثالث : تحقيق استخلاف الانسان في الارض .....
- ١٢٨ ..... ● المبحث الرابع : بناء حضارة قوية في شتى مجالات الحياة .....

١٣٢	◀ الباب الثالث : الايات الواردة في نصر أولي العزم من الرسل " نماذج تطبيقية ".....
١٣٣	□ الفصل الأول : الايات الواردة في نصر أولي العزم من الرسل .....
١٣٥	• المبحث : الأول : نصر الله سيدنا نوح عليه السلام .....
١٣٩	• المبحث الثاني : نصر الله سيدنا ابراهيم عليه السلام .....
١٤٥	• المبحث الثالث : نصر الله سيدنا موسى عليه السلام .....
١٤٩	• المبحث الرابع : نصر الله سيدنا عيسى عليه السلام .....
١٥١	□ الفصل الثاني: الايات الواردة في نصر نبي الامة محمد ﷺ والمؤمنين .....
١٥٢	• المبحث الأول: نصر الله سيدنا محمد ﷺ في مكة المكرمة خلال دعوته قريش .....
١٥٨	• المبحث الثاني: النصر في غزوات النبي ﷺ .....
١٥٩	- غزوة بدر .....
١٦٣	- غزوة أحد .....
١٨٦	- غزوة الخندق .....
١٧١	- غزوة حنين .....
١٧٤	- غزوة تبوك .....
١٧٨	◀ الخاتمة .....
١٨٠	◀ تحليل المصادر والمراجع .....
١٨٣	◀ المراجع .....
	◀ الملخص باللغة الانجليزية .....



سبحان الله الرحمن الرحيم

(( الملخص ))

الآيات القرآنية الواردة في نصر المؤمنين وأسبابه

" دراسة موضوعية "

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وبعد:

يعتبر التفسير الموضوعي من أهم مناهج التفسير في العصر الحديث ، حيث يلتزم فيه المفسر موضوعاً معيناً لا موضعاً معيناً ، فيبدأ من الواقع الذي تعيشه الأمة متلمساً المشكلات التي تعاني منها ليقدّم لها حلولاً في ضوء القرآن الكريم .

وقد درست من خلال هذه الأطروحة الآيات القرآنية الواردة في نصر المؤمنين وأسبابه "تفسير موضوعي" للوقوف على تلك الأسباب فتسعى الأمة جاهدة لتحقيقها فتستعيد بذلك نصراً فقدته بالأمس القريب .

لقد وعد الله سبحانه من خلال النصوص القرآنية هذه الأمة بالنصر ووعد الله نفاذ لا محالة، إلا أن هذا الوعد مبني على قاعدة سابقة وهي قاعدة الصراع بين الحق والباطل التي عبر عنها السياق القرآني "بالتدافع" قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] والتدافع أمر ضمني لأن الحق والباطل ضدان والضدان لا يجتمعان بل يكون بينهما الصراع الذي قضى الله أن تكون فيه الغلبة لاهل الحق المؤمنين.

وذاك الصراع مبني على جسر ضخم من التضحيات لذا شرع الله الجهاد لقتال الباطل واهله وصرعهم، وهو جهاد متطاوّل على مر العصور كما انه جهاد قديم قدم البشرية.

فالباطل مهما اختلفت مناهجه ومشاربه وأزمته يتكالب على محاربة الحق واهله لانهم يعرفون أن الهيمنة في الارض للاسلام لا محالة، لذلك يملأ الرعب انفسهم فتراهم يقاتلون قتال الخائف الوجس المترقب.

إن انتصار المؤمنين سنة إلهية لا تتخلف ابداً ، وقد لفت السياق القرآني العقل البشري لمعرفة والاطلاع عليها ثم دراستها واخذ العبرة من جريانها على الامم السابقة ، إلا أن النصر قد يتأخر لحكم يريد الخالق سبحانه فتعيش الأمة في دائرة الابتلاء بعض الوقت حتى اذا جاء النصر كان عزيزاً فلا تبذله رخيصة هيناً بل تحميه وتحافظ عليه .

ومن حكم تاخر مجيء النصر ونزوله على عباد الله الصالحين: حتى تتضح الامة فتحشد طاقتها وتحكمها بشكل يؤهلها لاستحقاق النصر من جهة وحمايته من جهة أخرى ، وكذلك يتأخر النصر حتى تبذل الامة كل \_ ذرة من طاقتها فلا تدخر شيئاً وفلا تستبقي عزيزاً ولا غالباً حتى تبذله في سبيل الله ، وحتى تزيد صلته بالله وهي تعاني الهزيمة فتتشيء بيئه صالحه لاستقبال هذا النصر والحفاوة به والامة تتقلب في حياتها بين النصر والهزيمة ، فهي لا تعيش النصر أبداً الدهر وكذلك لا تعيش الهزيمة أبداً الدهر ، بل كلاهما يتعقبان في حياة الامة .

ويجب أن نفرق عندما يكون النصر نعمة وعندما يكون النصر ابتلاء ، كما يجب أن نفرق عندما تكون الهزيمة ابتلاء من الخالق سبحانه ، وعندما تكون عقاب يعاقبها الله به عندما تنتكب عن منهج الله وشريعته .

ويبين السياق القرآني ان النصر لا يتحقق في حياة المؤمنين الا اذا هياوا العوامل والاسباب الموصلة لذلك ، تلك الاسباب التي ارشد سبحانه اليها وامر بها ، ومنها ما هو معنوي كالإيمان الذي هو اساس العقيدة القتالية والارض الخصبة التي ينبت النصر فيها ، وكالتوكل المبني على اتخاذ الاسباب ثم تسليم النتائج إلى المولى الحق ، وكدعاء الله والتضرع إليه والاستغاثة به فهو سبب من اسباب نصر المؤمنين ، وكالصبر الذي يمثل ركنا ركينا في بناء النصر فلا نصر الا مع الصبر .

ومن الأسباب ما هو مادي يتجلى وجوده على ارض الواقع كاعداد القوة الضاربة والتي تشكل من جميع انواع الاسلحة المتوافرة والتي تتطور في وجودها يوماً بعد يوم ، وكاعداد العنصر البشري اللازم ، فالبشر هم عماد النصر ، فالاسلحة تبقى اداة ميتة إذا ما نفث المجاهد نفسه فيها.

وكاعداد المال اللازم ، فالمال يعد ركنا اساسياً لتحقيق النصر وقد انعم الله سبحانه على امتنا به ، لذلك لا بد من تجنيده جندياً لله سبحانه وتعالى يجاهد لتحقيق النصر للإسلام دين الحق.

إن عوامل النصر واسبابه متعددة متشعبة سواء تلك المعنوية أو المادية ، فكلاهما يشكل جناحاً لطائر النصر ، وهل يطير طائر بجناح واحد ؟

والامة تسعى جاهدة لتحقيق النصر في شتى مجالات الحياة ، في المجال العسكري والمجال السياسي والمجال الاجتماعي والمجال الاقتصادي ، ولا تكتفي بإحدى هذه الصور مهملة الصور الأخرى للنصر ، ثم تمضي لتحقيق ذلك غير آبهة بما يرميها به عدوها من تهمة

لنقليل نقتها بنفسها وتحطيم سيادتها واستقلالها وهدم بنائها ، فقد حذرنا قرأنا من أن يفت ذلك في عضدها ، فلا تستشعر الجبن والضعف واليأس بل تطرحهما بعيدا لئلا يصادف ذلك ففتلا في ابناءها .

وللنصر ثماراً تجنيها الأمة ، وأثاراً تلمسها في جنبايات حياتها يعد تحقيقها من اعظم نعم الله سبحانه عليها ، كاحقاق الحق وابطال الباطل في الارض ، وتحقيق الامن في شتى مجالات الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض والنهوض الحضاري في شتى ميادين الحياة أيضا .

ولا بد من الاقتداء في كل زمان ومكان بانبياء الله سبحانه وتعالى وعباده الصالحين ، فقد واصلوا الجهاد والدعوة ولم يهملوا ولم يكسلوا ولم يتهاونوا في اتخاذ الاسباب اللازمة لذلك .

فلا بد أن تكون لنا فيهم قدوة ومثال يحتذى ، وان نعمل على دراسة أسباب انتصاراتهم بمختلف صورها آخذين الدروس والعبر من ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾ [الكهف: ١]، والصلاة والسلام على افسح الناس منطقاً واشرفهم نسباً وأثبتهم جناناً، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أئمة الهدى وأساطين البيان ومن تبعهم باحسان.

فخير ما بذلت فيه الاوقات وصرفت فيه الاهتمامات ووجهت إليه الانظار واشار إليه البنان هو كتاب الله الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [ص: ٤٢].

هو مصدر انتصارنا، وضمان عزتنا، وأمان سعادتنا، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ [الانبيا: ١٠].

لقد ظهر في هذا العصر منهج جديد من مناهج تفسير القرآن الكريم يسمى "التفسير الموضوعي"، قدم فيه الباحثون موضوعات القرآن وحقائقه بصورة فذة بغية الوصول لحل مشكلات أمتهم من خلاله.

ولما رأيت امتنا المسلمة تعيش حالة واسعة من الضعف والهزيمة وتكتسي بكسائهما (فتهددها اضرار وأخطار مختلفة) في حين أن امة الكفر منتشية تلبس كساء الغلبة والنصر، وقع اختياري على موضوع من (( الايات القرآنية الواردة في نصر المؤمنين واسبابه فسي القرآن الكريم ))، حتى اسعى جاهدة للوصول إلى الحقيقة القرآنية صوب هذا الموضوع فانلمس اسباب النصر والغلبة حتى تسعى الامة جاهدة لتحقيقها، محاولة من خلال ذلك كله ابراز عظمة القرآن الكريم، وحسن عرض مبادئه وموضوعاته.

وتظهر اهمية اختيار هذا الموضوع بكونه لم يأخذ حقه الوافي في البحث والدراسة العلمية المؤهلة وفق المنهجية المعتمدة في التفسير الموضوعي حسب علمي، خاصة انه يتعلق بعقيدة الامة المسلمة التي هي ملاك كل امر.

فلا بد من إماطة اللثام عن كثير من الافكار والمعتقدات الخاطئة حول بعض جوانب هذا الموضوع وتقديمه بما يظهر أبعاده الحقيقية.

وبالنسبة للدراسات السابقة حول هذا الموضوع لم اجد \_ في حدود اطلاعي المتواضع \_ من كتب درسته دراسة قرآنية تفسيرية موضوعية، لكنني وجدت لفتات

واشارات متنوعة في كتب التفسير لكنها ليست أبحاث متكاملة ومبوبة في ضوء القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما يلي:

١\_ كتاب "الجهاد طريق النصر" لعبد الله غوشه ووجدته يبحث بشكل اساسي موضوع الجهاد واحكامه.

٢\_ كتاب "الاسلام والنصر" لمحمود شيت خطاب، ولم يكن دراسة قرآنية تفسيرية.

٣\_ رسالة دكتوراة "السنن الالهية واثرها على سلوك الفرد والمجتمع" لشريف الخطيب، وقد بحثت الناحية العقديّة في السنن الالهية واثرها على الفرد والمجتمع ولم تكن دراسة تفسيرية.

وقامت منهجية البحث على الركائز التالية:

١\_ المنهجان الاستقرائي والاستنباطي وذلك من خلال تتبع الايات القرآنية المتعلقة بالموضوع والاحاديث التي لها علاقة، وما يعزز ذلك من كتب التفسير، ثم تحليل تلك النصوص تحليلًا عمليًا لاستخراج عناصر الموضوع.

٢\_ المنهج الوصفي وذلك من خلال تقسيم الموضوع إلى ابواب رئيسية ثم فصول ثم مباحث متنوعة حتى يكون شاملًا ومفصلاً.

٣\_ مراعاة شروط الدراسة الموضوعية المتعارف عليها وكذلك الروح العلمية الموضوعية دون تعسف أو مغالاة.

٤\_ عزو النقول والاقباسات إلى مصادرها الاصلية الصحيحة وذلك بنسبة القول إلى قائله والفضل إلى اهله.

وقد جعلت دراسة الموضوع مبنية على ثلاثة ابواب رئيسية يندرج تحتها الفصول والمباحث.

◀ الباب الأول: الايات الواردة في بيان مفهوم النصر في القرآن الكريم.

□ الفصل الأول: الايات الواردة في معنى لفظ النصر ودلالته في السياق القرآني.

- المبحث الأول: بيان معنى لفظ النصر لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: مفردات قريبة من معنى النصر في القرآن الكريم والآيات الواردة في ذلك.
- المبحث الثالث: الايات الواردة في الاعجاز القرآني في مصطلح النصر من خلال:
  - ورود لفظ النصر مضافاً والحكمة من ذلك .
  - وصف النصر بالعزيم والحكمة من ذلك .

- الفرق بين الفتح والنصر

- الاقتران بين الولي والنصير ويسر تقديم الولي على النصير .

□ الفصل الثاني : الايات الواردة في كون النصر سنة ربانية.

• المبحث الأول : بيان مفهوم السنن

- مفهوم السنة في اللغة والاصطلاح.

• المبحث الثاني : الايات الواردة في خصائص السنن وأنواعها.

- أنواع السنن ونماذجها

- التصور البشري للسنن في الماضي والحاضر.

• المبحث الثالث : الايات الواردة في بيان أن النصر سنة ربانية.

◀ الباب الثاني: الايات الواردة في اسباب نصر المؤمنين، واقسامه وثماره في حياة الامة.

□ الفصل الأول : الايات الواردة في اسباب النصر المؤمنين.

• المبحث الأول: الايات الواردة في الاسباب المادية لنصر المؤمنين.

- أولا: اعداد القوة الضاربة .

-ثانيا: اعداد العنصر البشري اللازم .

-ثالثا: الانفاق في سبيل الله .

-رابعا: احسان العمل .

• المبحث الثاني: الايات الواردة في الاسباب المعنوية لنصر المؤمنين.

- أولا: توحيد كلمة الامة وانتقاء التنازع والخلاف .

-ثانيا: طاعة الله ورسوله .

-ثالثا: الثبات وعدم الفرار.

-رابعا: التوكل الكامل على الله .

-خامسا: الدعاء وذكر الله كثيرا .

-سادسا: الصبر وعدم اليأس .

-سابعا: عوامل الهية غيبية .

□ الفصل الثاني : الايات الواردة في اقسام نصر المؤمنين .

• المبحث الأول : النصر العسكري .

• المبحث الثاني : النصر الاجتماعي (الدعوي).

• المبحث الثالث : النصر الاقتصادي .

• المبحث الرابع : النصر السياسي .

□ الفصل الثالث : الايات الواردة في ثمار نصر المؤمنين في حياة الامة .

• المبحث الأول : احقاق الحق وابطال الباطل .

• المبحث الثاني : تحقيق الامن في شتى مجالات الحياة .

• المبحث الثالث : تحقيق استخلاف الانسان في الارض .

• المبحث الرابع : بناء حضارة قوية في شتى مجالات الحياة .

◀ الباب الثالث : الايات الواردة في نصر أولي العزم من الرسل " نماذج تطبيقية "

□ الفصل الأول : الايات الواردة في نصر أولي العزم من الرسل.

• المبحث : الأول : نصر الله سيدنا نوح عليه السلام.

• المبحث الثاني : نصر الله سيدنا ابراهيم عليه السلام.

• المبحث الثالث : نصر الله سيدنا موسى عليه السلام.

• المبحث الرابع : نصر الله سيدنا عيسى عليه السلام.

□ الفصل الثاني : الايات الواردة في نصر نبي الامة محمد ﷺ والمؤمنين.

• المبحث الأول: نصر الله سيدنا محمد ﷺ في مكة المكرمة خلال دعوته قريش.

• المبحث الثاني: النصر في غزوات النبي ﷺ.

أن بحثي هذا جهد متواضع في المكتبة التفسيرية مترامية الاطراف ، تشرفت من خلاله بخدمة كتاب الله سبحانه ، وقد بذلت فيه جُلّ وقتي وافضله راجية من الله السداد.

ولا ادعي انني قد أعطيت الموضوع حقه أو سبرت اغواره ، ولكنها محاولة لظهار هذا الموضوع بحقائقه الشاملة ، فان كان خيراً فمن الله فضل ومنة يحمد عليها ، وان كان خطأ فمن نفسي والله ارجو أن يغفر لي ويرحمي ويؤقّل عثرتي.

## الباب الأول

الآيات الواردة في بيان مفهوم النصر في القرآن الكريم



## الفصل الأول

الآيات الواردة في معنى النضر ودلالته

في السياق القرآني

## المبحث الأول: بيان معنى النصر لغة واصطلاحاً

ورد لفظ النصر في المعاجم اللغوية بمعان عديدة هي: (١)

أولاً: النصر بمعنى إغاثة المظلوم، يقال نصره على عدوه ينصره ونصره نصرأ، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: ١٥].

ثانياً: النصر بمعنى حُسن المعونة، والتناصر التعاون على النصر، والاستتصار استمداد النصر والتتصر معالجة النصر، وتناصروا: نصر بعضهم بعضاً، ومن المجاز تناصرت الأخبار: صدق بعضها بعضاً، ومن المجاز أيضاً قدت الوادي النواصير، والنواصير من الشعاب: ما جاء من مكان بعيد إلى الوادي فنصر السيول، لذا كل مسيل يضيع ماؤه فلا يقع في مجتمع الماء فهو ظالم لمائه.

ثالثاً: النصر بمعنى الانتقام، وانتصر الرجل: انتقم، قال الأزهري: يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام.

رابعاً: النصر بمعنى الإتيان، يقال نصرت أرض بني فلان: أتيتها، ونصر البلاد ينصرها أتاهل قال الراعي يخاطب خيلاً:

إذا دخل الشهر الحرام فودعي      بلاد تميم وانصري أرض عامر

خامساً: النصر بمعنى المطر، يقال: نصر الغيث الأرض: غاثها وسقاها وعمّها بالجود وأنبّتها، وأرض منصورة ممطورة.

سادساً: النصر بمعنى العطاء: يقال نصره ينصره أعطاه، والنصائر العطايا، ونصره الله تعالى رزقه، ووقف أعرابي على قوم فقال: انصروني نصركم الله أي أعطوني أعطاكم الله.

(١) أحمد بن فارس، مجلد اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م، ج٣، ص ١٧٠.

وانظر: \* محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر - بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص ١٤٢.

\* محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م، ج١٤، ص ٢٢٣.

\* محمد ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ج٦، ص ١٩٥.

أما النصر في مصطلح القرآن الكريم فقد ورد على أربعة أوجه أو معان هي: (١)

"الوجه الأول: النصر. يعني المنع، فذلك قوله في البقرة: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣]."

يقول: ﴿وَلَا يُنْعَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ﴾، وقوله في الشعراء: ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٣]، يقول ﴿هَلْ يَمْنَعُونَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ يَمْتَتِعُونَ﴾، وقوله في الصافات: ﴿مَالِكُمْ لَا تَنْصُرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥] يقول: ﴿مَالِكُمْ لَا يَمْنَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دُخُولِ النَّارِ﴾. ونحوه كثير.

الوجه الثاني: النصر، يعني العون، فذلك قوله في الحشر: ﴿وَإِنْ قَاتَلْتُمْ لَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١] لنعينكم. قال الله عز وجل: ﴿وَلَنْ قَاتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ يعني: لا يعاونونهم ﴿وَلَنْ نَصُرُوهُمْ﴾ يعني: لنن عاونوهم ﴿لِيُولِيَنَّ الْأَدْبَارَ﴾. وقال في سورة محمد - ﷺ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ يعني: إن تعينوا الله ورسوله حتى يُوحِّدَ ﴿لَا يَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٧] يعني: يعينكم على عدوكم. وقال في الحج: ﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] يقول: وليعيننَّ الله من يعينه حتى يُوحِّدَ.

الوجه الثالث: النصر، ويعني: الظفر. وقال في الأنفال: ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ١٠]، يعني وما الظفر. وقال في البقرة: ﴿وَإِنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. اجعل لنا الظفر عليهم.

الوجه الرابع: النصر، يعني الانتقام، فذلك قوله في حم عسق<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ يعني: ولمن انتقم من الظالم بعد ظلمه ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] وقال عز وجل في الذين كفروا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [الشورى: ٤٤]. وقال في قصة نوح في سورة اقتربت<sup>(٢)</sup>: ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] يعني: انتقم لي من قومي."

(١) هارون بن موسى القارئ، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق حاتم صالح الضامن، سلسلة خزانة دار صدام للمخطوطات، ١٩٨٨م، ص ٢٥٠.

وانظر: الحسين بن محمد الدمغاني، اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٥٨.

(٢) سورة الشورى.

(٣) سورة القمر.

## المبحث الثاني: مفردات قريبة من معنى النصر في القرآن الكريم والآيات

### الواردة في ذلك.

#### □ القهر

"هو الاستيلاء والغلبة على طريق التذليل، قال تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ [المضي: ٩]، أي لا تذله وتكسر خاطره، وغلب ازدواج صفتي الوجدانية والقهر بالنسبة لله سبحانه وتعالى وذلك لمعنى بديع، وهو أن الغلبة والإذلال من ملوك الدنيا إنما يكون بأعوانهم وجندهم و عدددهم، والله تعالى يقهر الخلق وهو واحد أحد فرد صمد مستغن عن ظهير سبحانه".<sup>(١)</sup>

"وأقهر الرجل إذا صار أمره إلى الذل والقهر، وقهر: غلب، والقهقرى: المشي إلى الخلف ومن المجاز: جبال قواهر إي: جبال شوامخ، ولحم مقهور: إذا أخذته النار وسال مأؤه".<sup>(٢)</sup>

وبالنظر يظهر أن هناك قدرا مشتركا بين لفظي النصر والقهر؛ فالقهر مرحلة من مراحل النصر لكنها متأخرة بعض الشيء وذلك حتى تجمع مع الغلبة الإذلال.

فالأمة لا تكون قاهرة إلا إذا حققت عنصر الغلبة والتذليل معا، فإذا غاب عنصر الإذلال فعندئذ لا تسمى الأمة قاهرة.

#### □ الظفر

"مشتق من الظفر يكون في الإنسان وفي غيره، ويعبر به عن السلاح تشبيها بظفر الطائر، إذ هو له بمنزلة السلاح، ويقال ظفر بعدوه أي غلبه، وظفره الله عليه أي غلبه، وكذلك إذا سئل: أيهما أظفر؟ فأخبر عن واحد غلب الآخر، ورجل مظفر لا يؤوب إلا بالظفر، وقيل صاحب دولة في الحرب".<sup>(٣)</sup>

(١) أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، تحقيق محمد التتويجي، ج٣، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ١٩٩٣، ص ٤٤.

(٢) محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ج٢، ص ١٦٩.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ٩٠، انظر لسان العرب، ج٤، ص ٢٢٢، مصدر سابق.

"وتضافر القوم وتظاهروا بمعنى واحد، وقيل الظفر الفوز بالمطلوب قال تعالى: ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ [التح: ٢٤]، قال الليث: الظفر: الفوز بما طلبت والفلج على من خاصمت".<sup>(١)</sup>

وعند إمعان النظر نجد أن هناك قدرا مشتركا في المعنى بين لفظي النصر والظفر، فكلاهما يحمل معنى العون، إلا أن الظفر يكون مرحلة من مراحل النصر الأولى، أما ترى القول القائل: "ظفرت الأرض تظفيرا: أي أخرجت من النبات ما يمكن احتفاره بالأصابع، وظفر النبات: إذا طلع مقدار الظفر".<sup>(٢)</sup> والأصابع وما فيها من أظافر إنما تشكل سلاحا بسيطا في الحسم ينال به ما هو بسيط لكنه في النهاية فوز بمطلوب.

### □ الغلبة

"الغلبة: القهر، يقال غلبته غلبا وغلبه وغلبا فأنا غالب، وغلب عليه كذا أي استولى عليه".<sup>(٣)</sup>

والغلب من المصادر المفتوحة العين مثل الطلب، وقد ورد في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

"الأول: بمعنى الظهور والاستيلاء، ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ [الكهف: ٢١].

الثاني: الهزيمة ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [الروم: ٢-٣]، سيهزمون.

الثالث: بمعنى القتل ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون﴾ [آل عمران: ١٧].

الرابع: بمعنى القهر ﴿والله غالب على أمره﴾ [يوسف: ٢١]، أي قاهر، ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصفات: ١٧٣]، أي القاهرون. ﴿فغلبوا هنالك﴾ [الأعراف: ١١٩]، قهروا وهزموا".<sup>(٤)</sup>

فالغلبة تكون مرحلة متقدمة من مراحل النصر، ففيها قهر وهزيمة وقتل واستيلاء، وكل هذا يتطلب جهدا معنويا وماديا واسعا.

(١) محمود الزمخشري، أساس البلاغة، ج ٢، ص ٩٠.

وانظر: محمد الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، تحقيق محمد النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٥، ص ٣٣٥.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٦٨، مصدر سابق.

وانظر: محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ج ٢، ص ٩، مصدر سابق.

(٣) الحسين الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، ص ٣٧٦.

(٤) محمد الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج ٤، ص ٢١٩، مصدر سابق.

فاللغة ضياء نستتير به على ذلك فقد قيل: "اغلوب العشب في الأرض: إذا بلغ كل مبلغ، وقيل: هضبة غلباء أي عظيمة مشرفة. وقيل: اغلوب القوم إذا كثروا".<sup>(١)</sup>

وعليه لا تسمى الأمة أمة غالبية إلا إذا تعاضم نصرها وعاشت نشوة هذا النصر لذا كان الغالب في تعبير القرآن الكريم بلفظ النصر وليس الغلبة؛ حتى يكون للمسلم مجال واسع للحركة والعمل من أجل العلو بالهمة حتى يصل إلى قمم النصر والغلبة وحتى يتعلم كيف يحافظ على هذا النصر العظيم.

## □ الفوز

"مشتق من فوز، ويعني الظفر بالخير مع حصول السلامة، يقال: فاز بالخير، وفاز من العذاب ويقال طوبى لمن فاز بالثواب وفاز من العقاب، وفاز به: ظفر به".<sup>(٢)</sup>

لذا فالنصر لا يسمى فوزاً رغم اشتراك كلا اللفظيين في معنى واحد، وهو حصول الخير والظفر به لكن الفوز افرقت عن النصر بالسلامة من الشر أيضاً.

لذلك نجد أن أكثر استخدام القرآن هذا اللفظ في الحديث عن الحياة الآخرة، حيث وصف بعدة أوصاف: العظيم، المبين، الكبير.

## □ الظهور

"الظهور: مشتق من ظهر، والظهر من كل شيء خلاف البطن، والظهير المعين، و استظهر به أي استعان، وظهرتُ عليه: أعنته، وظهر عليّ: أعانني، وتظاهروا عليه: تعاونوا، وظاهر بعضهم بعضاً: أعانه، والتظاهر: التعاون، والمظاهرة: المعاونة".<sup>(٣)</sup>

وبالنظر نجد أن هناك قدراً مشتركاً في المعنى بين لفظي النصر والظهور، وهذا القدر هو (المعونة أو العون)، وكلنا يدرك أهمية العون لتحقيق النصر، فإذا خفت صوت المعونة وخبأ ضيائها انعدم نصر الأمة لا ريب في ذلك.

قيل: "تظاهر القوم: تدابروا كأنه ولي كل واحد منهم ظهره إلى صاحبه"<sup>(٤)</sup>، والظهر من أقوى جوارح البدن.

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص ٤٨٩، مصدر سابق.

(٢) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٤، ص ٢١٩، مصدر سابق.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٢٣٢، مصدر سابق.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص ٢٣٢.

قال السمين الحلبي: "قوله تعالى: ﴿وإن تظاهروا عليه﴾ [التحریم: ٤]، أي تعاونوا. يقال: ظاهرته أي عاونته. قال تعالى ﴿وأنزل الذين تظاهروهم﴾ [الأحزاب: ٢٦]، أي عاونوهم. وأصل ذلك من الظهر الذي هو الجارحة لأن المعاون يساعد صاحبه بجوارحه وأقواها الظهر. ثم جعل عبارة عن كل معاونة وإن كان بغير الظهر حتى باللسان، قوله: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ [الفرقان: ٥٥]، أي معينا يعني أنه بمنزلة المعين للشيطان على الرحمن من حيث طاعته له وعصيانه لربه".<sup>(١)</sup>

كما يسمى النصر ظهورا إذا انعدم خفاؤه وكان بادية لعين كل ذي بصر وبصيرة، "فالظهور ضد الخفاء، قال تعالى: ﴿وظهر أمر الله﴾ [التوبة: ٤٨]، أي بدا ما وعد الله به رسوله والمؤمنين من النصر، وفشا دين الإسلام، وأصل ذلك من حصول الشيء على وجه الأرض ثم صار مستعملا في كل بارز للبصر والبصيرة، قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ [الروم: ٤١]، أي بدا وفشا".<sup>(٢)</sup>

ولفظ الظهور ينبئ عن مرحلة متقدمة من مراحل النصر، ففيه معنى العلو والقدرة، يقال: ظهر عليه وظهره أي علاه كأنه ركب ظهره، قوله تعالى: ﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾ [الكهف: ٩٧]، أي يعلوه. وقوله ﴿ليظهروه على الدين كله﴾ [التوبة: ٣٣]. أي ليعليه على الدين كله ويغلبه أيضا.<sup>(٣)</sup>

وهناك قدر مشترك في المعنى بين لفظي النصر والظهور، وهذا القدر هو الغلبة، والغلبة تشكل مرحلة من مراحل النصر المتقدمة كما ذكرت سابقا.

قال ابن منظور: "الظفر بالشيء والاطلاع عليه، والظهور الغلبة، وفلان ظاهر على فلان أي غالب عليه، وقوله عز وجل: ﴿فاصبحوا ظاهرين﴾ [الص: ١٤] أي غالبين".<sup>(٤)</sup>

(١) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج٣، ص ١٢١، مصدر سابق.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص ١٢١.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص ٢٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٢٣٢، مصدر سابق.

## المبحث الثالث: الآيات الواردة في الإعجاز القرآني في مصطلح النصر من خلال:

### أولاً. ورود لفظ النصر مضافاً والحكمة من ذلك:

عندما نمعن النظر في لفظ النصر في كتاب الله تعالى في الغالب نجد أنه ورد مضافاً إلى الله تعالى، كقوله: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ [التوبة: ٤٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذه الإضافة إنما هي إضافة حقيقية، لأن النصر كله من عند الله سبحانه، هو وحده المنعم به، ولا يملك أحد من المخلوفين أن ينصره غيره إلا بإذن الله وقدرته ومشينته، ويكون آنذاك - أي نصر المخلوق للمخلوق - أسباب ووسائل في تحقيق النصر.

"هذه هي الحقيقة الاعتقادية التي يقرها السياق القرآني حتى لا يتعلق قلب المسلم بسبب من الأسباب أصلاً".<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ١٠].

"أي أن الله هو ينصركم أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة بأسكم، وفيه تنبيه على أن الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل إلا على الله سبحانه".<sup>(٢)</sup>

قال أبو السعود: "أي كائن من عنده تعالى من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعدد، وإنما هي مظاهر له بطريقة جريان سنته تعالى".<sup>(٣)</sup>

"وهذا أدعى إلى قوة العزيمة فإن العامل إذا ايقن بأن معه قاهر الكون، رفعته تلك الفكرة وجعلته أقوى الناس وأقدرهم على صعاب الأمور لا كما يظنه المنتكسون الجاهلون الكسالى اليائسون من روح الله، حيث جعلوا التوكل ذريعة إلى البطالة فباؤا بغضب على غضب".<sup>(٤)</sup>

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار الشروق، ١٩٨٨، ج ٣، ص ١٤٨٣.

(٢) علي بن محمد الخازن، لياح التأويل، ج ١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٩٤.

(٣) محمد بن محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٩.

(٤) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ

العربي، بيروت، ١٩٩٤، ج ٤، ص ١٧.



قال تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ [التوبة: ٢٥].

"أسند النصر إلى الله بالصراحة لإظهار أن إثارة محبة الله وإن كان يفيت بعض حظوظ الدنيا، ففيه حظ الآخرة، وفيه حظوظ أخرى من الدنيا وهي حظوظ النصر بما فيه من تأييد الجماعة، ومن المغنم وحماية الأمة من اعتداء أعدائها، وذلك من فضل الله إذ أثروا محبته على محبة علائقهم الدنيوية".<sup>(١)</sup>

إن نصر الله لعباده نعمة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، لذا وجب أن يزداد حبنا وشكرنا وذكرنا له سبحانه، وأن نعترف بفضلته ومنته وإحسانه، لأن البشر فطرت نفوسهم على محبة وشكر من يسدي إليهم إحسانا، وعلينا أن نجعل هذه النعمة -نعمة النصر- وسيلة لعبادة الله سبحانه؛ فلا نتوجه بالذل والخضوع والخشوع إلا له وحده مالك الملك، حتى يكون هذا عوننا لنا على قيامنا بالخلافة في الأرض وفق منهج الله سبحانه وتعالى.

ويلاحظ أحيانا ورود النصر مضافا إلى غير الله سبحانه في السياق القرآني، كإضافته مثلا إلى المؤمنين، قال تعالى: ﴿والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ [الأنفال: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهذه الإضافة أو الإسناد مجازي ظاهري، وليس حقيقي غرضه تسجيل صفة النصر للمؤمنين وأنهم ينصرون دين الله ورسله وإخوانهم المؤمنين. والله سبحانه هو الذي يقدر النصر وينعم به على من يشاء من عباده.

#### ثانيا. وصف النصر بالعزيز والحكمة من ذلك:

سجل القرآن الكريم وصف العزيز للفظ النصر، وذلك في صدر سورة الفتح، قال تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ [الفتح: ١-٣].

وبالرجوع إلى المعاجم نقف على معنى لفظ عزيز فنجد أنه يعني:

أولا: "كون الشيء ممتعا ولا يقدر عليه، قال ابن منظور: "العزة في الأصل: القوة والشدة والغلبة، وفي التنزيل عززنا: أي قوينا وشددنا، والعز والعزة الرفعة والامتتاع، ورجل عزيز منيع لا يغلب ولا يقهر، وعز الشيء إذا لم يقدر عليه".<sup>(٢)</sup>

(١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، دار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤، ص ١٥٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٢٥، مصدر سابق.

ثانيا: كون الشيء نادرا، قال ابن منظور: "عز الشيء يعز عزا وعزة وعزازة وهو عزيز: قل حتى كاد لا يوجد".<sup>(١)</sup>

ثالثا: كوت الشيء حصوله لفلان من الناس صعبا، قال الأصفهاني: "عز علي كذا أي صعب، قال: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ [التوبة: ١٢٨] أي صعب.<sup>(٢)</sup>

أما المقصود بالنصر العزيز في هذا السياق القرآني فهو فتح مكة وما عقبه من دخول قبائل العرب في الإسلام بدون قتال، وبعثهم الوفود إلى النبي ﷺ ليتلقوا أحكام الإسلام ويعلموا أقوامهم إذا رجعوا إليهم. ووصف النصر بالعزيز مجاز عقلي، وإنما العزيز هو النبي ﷺ \_ المنصور أو أريد بالعزيز المعز.

والعزة المنعة، وإنما ظهر اسم الجلالة في قوله: ﴿وينصرك الله﴾ ولم يكتف بالضمير اهتماما بهذا النصر وتشريعا له بإسناده إلى الاسم الظاهر لصراحة الظاهر، والصراحة أدعى إلى السمع والكلام مع الإظهار أعلق بالذهن.<sup>(٣)</sup>

و إلى هذا المجاز العقلي أشار الصاوي في حاشيته على الجلالين فقال: "إن فعلا صيغة نسبة أي نصرا منسوباً للعز لا ذل معه لا في الدنيا ولا في الآخرة".<sup>(٤)</sup>

قال النيسابوري: "النصر العزيز ذو العزة وهو الذي لا ذل بعده، أو هو بمعنى المعز أو الممتنع على الغير وهو النفيس الذي لا يناله كل أحد".<sup>(٥)</sup>

وفتح مكة هو رأس الفتوح كلها، فكل فتح كان بعده إنما هو متشعب عنه، لذلك جمهـور المفسرين رأوا أن هذا الفتح وهو لا ريب نصر عظيم يقصد به فتح مكة في هذا السياق القرآني \_سياق سورة الفتح\_.

(١) المصدر السابق ج٤، ص ٣٢٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٣٤٥، مصدر سابق.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦، ص ١٤٨، مرجع سابق.

(٤) أحمد بن محمد الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ج٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٠٧.

(٥) الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن، تحقيق زكريا عميرات، ج٦، الطبعة الأولى، دار الكتب

العلمية - بيروت ١٩٩٦، ص ١٤٥.

### ثالثا. الفرق بين الفتح والنصر:

عند النظر في السياق القرآني نلاحظ التعبير بلفظ النصر أحيانا، والتعبير بلفظ الفتح أحيانا أخرى، ولا شك ان بينهما فرق بدليل ان السياق القرآني قد جمع بين اللفظين في آية واحدة، قال تعالى: ﴿وَأخْرَىٰ تَحْبُونَهَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيُنصِرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١-٣].

وفي كل المواضيع يلاحظ تقدم النصر على الفتح لفظا -في آيتي الصف والنصر- أو من خلال المعنى -في آية الفتح- فقد جعل النصر علة للفتح، والعلة سابقة للمعلول، وقال ابن عاشور: "ولا يكون الشيء علة لنفسه".<sup>(١)</sup>

وقد فرق المفسرون بين اللفظين وأشاروا إلى ذلك من خلال عدة وجوه هي:

أولا. النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب، والفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا وظاهر أن النصر كالسبب للفتح، فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح -في سورة النصر-.

ثانيا. يحتمل أن يقال: النصر كمال الدين والفتح الاقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة.

ثالثا. النصر هو الظفر في الدنيا على المنى، والفتح بالجنة.<sup>(٢)</sup>

"وقد كثر اطلاق الفتح على النصر المقترن بدخول ارض المغلوب أو بلده، ولم يطلق على انتصار كانت نهايته غنيمة أو أسر دون اقتحام أرض، فيقال: فتح خيبر وفتح مكة، ولا يقال: فتح بدر، وفتح أحد. فمن أطلق الفتح على مطلق النصر فقد تسامح، وكيف وقد عطف النصر على الفتح في قوله تعالى: ﴿نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]."

ولعل الذي حداهم على عد النصر من معاني مادة الفتح أن فتح البلاد هو أعظم النصر لأن النصر يتحقق بالغلبة والغنيمة فإذا كان مع اقتحام أرض العدو فذلك نصر عظيم لأنه لا يتم إلا مع انهزام العدو أشنع هزيمة وعجزه عن الدفاع عن أرضه".<sup>(٣)</sup>

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ١٤٤، مرجع سابق.

(٢) محمد بن عمر الفخر الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ١٤٣، مرجع سابق.

وإلى هذا ذهب الزمخشري حيث قال: "النصر الإغاثة والإظهار على العدو، ومنه نصر الله الأرض غائتها، والتفتح فتح البلاد".<sup>(١)</sup>

ومن الجدير بالذكر أن في جميع المواضع التي ذكر فيها الفتح مقرونا بالنصر، أريد من الفتح فتح مكة، قال الزمخشري في آية الصف «نصر من الله وفتح قريب» [الصف: ١٣]، أي عجل وهو فتح مكة.<sup>(٢)</sup>

وقال في آية الفتح «إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما» [الفتح: ١-٣]، المراد فتح مكة.<sup>(٣)</sup>

وفي آية سورة النصر «إذا جاء نصر الله والفتح» [النصر: ١]، قال ابن عاشور: "لم يختلف أهل التأويل أن المراد بالفتح في الآية هو فتح مكة".<sup>(٤)</sup>

#### رابعاً. الاقتران بين الولي والنصير وسر تقديم الولي على النصير:

اهتم القرآن الكريم ببيان موضوع النصرة والولاية على اعتبار أنه جزء من عقيدة المسلم وقد كثرت الآيات الداعية إلى اخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له و التبرؤ مما سواه. قال تعالى: «أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير» [الشورى: ١٩]، قال تعالى: «أنت مولانا فاتصرونا على القوم الكافرين» [البقرة: ٢٨٦].

قال تعالى: «بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً» [النساء: ١٣٨-١٣٩].

"والولاء مشتق من الولي: القرب. يقال تباعدنا بعد ولي، وجلست مما يليه أي مما يقاربه، والولي: المطر بعد الوسمي؛ سمي ولياً لأنه يلي الوسمي، والبيت بين الشيينين: أي تابعت، وافعل هذه الأشياء على ولاء: أي متاعبة، وكل ذلك يرجع إلى القرب".<sup>(٥)</sup>

والقرب قد يكون حسي أو معنوي، كاقتراب الأبدان أو الأمكنة والمحبة والاتباع.

(١) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، ج ٤، ص ٢٩٣.

(٢) المصدر ذاته، ج ٣، ص ١٠٠.

(٣) المصدر ذاته، ج ٤، ص ٥٤.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٥٨٧، مرجع سابق.

(٥) ابن فارس، محمل اللغة، ج ٤، ص ٥٥١، مصدر سابق.

قال الراغب: "يستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسب ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد".<sup>(١)</sup>

"إن اتخاذ الله كولي أمر ضروري، لأن الإنسان تطراً عليه أحداث تؤكد أنه ضعيف وله أغيار وساعة ضعف الإنسان لا بد أن يأوي إلى من هو أشد منه قوة ولا يتغير، إن الولي وهو الله قوته لا يمكن أن تصير ضعفاً، وغناه لا يمكن أن ينقلب فقراً، وعلمه لا يمكن أن يؤول إلى جهل، إنه مغير ولا يتغير، ولذلك فمن نعمة الله على خلقه أنه جعل من نفسه ولياً لهم فاتخاذ الولي أمر فطري في الكون، والأمر المنكر أن يجعل الإنسان لنفسه ولياً غير الله سبحانه وتعالى".<sup>(٢)</sup>

و للقرآن الكريم أسلوب مميز في الدعوة إلى الولاء مبني على خطاب العقل والعاطفة معا وفي أن واحد.

"ففي النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين، ويطيّر إلى نفسك بهذين الجناحين فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا".<sup>(٣)</sup>

قال تعالى: ﴿قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ [الأنعام: ١٤].

"الآية تقرر هذه الحقيقة بأقوى عبارة وأعمق إيقاع، ﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ إنه منطق الفطرة القوي العميق، لمن يكون الولاء ولمن يتمحص؟ لمن إن لم يكن لفاطر السموات والأرض الذي يطعم ولا يريد إطعاما، ﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ وهذه صفاته سبحانه، أي منطق يسمح بأن يتخذ غير الله وليا؟ إن كان يتولاه لينصره ويعينه، فأنه هو فاطر السموات والأرض، فله السلطان في السموات والأرض، وإن كان يتولاه ليرزقه ويطعمه، فأنه هو الرازق المطعم لمن في السموات ومن في الأرض، فقيم الولاء لغير صاحب السلطان، الرازق!!؟<sup>(٤)</sup>

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٥٧٠، مصدر سابق.

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، مصر، ج ٦، ص ٣٥٢٤.

(٣) صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، عمان، ص ١٧٧.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن ج ٣، ص ١٠٥٤.

فهذا دليل عقلي ينبه العقل ويستثيره ويجعله يقر دون أدنى تردد بأن الولاية إنما تكون لمالك الوجود ذا القوة المطلقة التي لا يدانيها قوة. ٥٦٩١٩٩

وإليك دليل آخر يسفر عن خطاب القرآن الكريم في موضوع الولاء والنصر للعاطفة فيستثيرها بألفاظ يعجز الوجدان الإتيان بمثها.

قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب، إذ تبرا الذين أتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين أتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

"إن المؤمنين لا يحبون شيئا حبه الله حبا مطلقا من كل موازنة، والتعبير بالحب تعبیر جميل فوق أنه تعبیر صادق، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب... صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود.

أولئك الذين اتخذوا من دون الله أندادا فظلموا الحق وظلموا أنفسهم، لو مدوا بأبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد القهار، لرأوا تيرؤ المتبوعين من التابعين، ورأوا العذاب فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات، وسقطت الرياسات والقيادات، وعجزت عن وقاية نفسها فضلا عن وقاية تابعيها، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب، وتبدي الحنق والغيط من التابعين، وتمنوا لو يردون لهم الجميل، لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة، التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب.

إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين، وهنا يجيء التعقيب الممض المؤلم<sup>(١)</sup>، ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾.

حقا إنها نهاية يقتضيها عدل الواحد القهار؛ نهاية تئن بالحسرة والندامة، وهيئات هيئات أن تكون لهم تلك الكرة فيعلنوا عن براءتهم تلك، فقد قضى الأمر وفات الفوت.

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٣ (باختصار).

ومما يلفت النظر في السياق القرآني قوله تعالى: ﴿بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ [سجدة: ١١] .  
 "أي وليهم وناصرهم ﴿وإن الكافرين لا مولى لهم﴾ بمعنى النصر والعتانة، وأما بمعنى الربوبية  
 والمالكية فهو مولى الكل لقوله تعالى: ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ [يونس: ٣٠].<sup>(١)</sup>

وأهم ثمرات الولاء النصر، فعندما يقدم الفرد ولاءه لجهة معينة أو جماعة يتوقع ثمرة ونتاج  
 هذا الولاء ألا وهي النصر؛ لأنه قد جُند نفسه وجعلها في حساب تلك الجهة أو الجماعة. فالنصرة  
 تعد من أوضح ثمرات الولاء وأولها قطفاً وأصدقها دلالة، والمسلم لا يناصر أي فئة أو عقيدة أو تيار  
 ما لم يكن لديه القناعة العقلية والرسوخ القلبي تجاهها. وهذه الثمرة للولاء لا بد وأن تكون مترجمة  
 عملياً فينال المسلم النصر وينعم بها لأنها تعد من أعظم النعم بشتى أنواعها وصورها.

ومما يشهد في كتاب الله تبارك وتعالى بان النصر من ثمرات الولاء ما نلاحظه في سياق  
 الكتاب العزيز من التلازم اللفظي بين لفظي: الولي والناصر، وتقديم الولي على الناصر، قال  
 تعالى -مخاطباً نبيه محمداً - ﷺ: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من  
 الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله تعالى -مخاطباً المؤمنين-: ﴿فاعلموا أن الله مولاكم  
 نعم المولى ونعم النصير﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله  
 هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله تعالى -عن المنافقين-: ﴿فإن يتوبوا يك  
 خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا  
 نصير﴾ [التوبة: ٧٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

فهذا التلازم لا بد وأن يكون له إيحاً ودلالة وقصد، وجلّ الله وتقدس أن يجعله دون قصد  
 فمن شأن الولي أن ينصر من والاه، وأن النصر لا توجد إلا حيث توجد الولاية.  
 ولندقق النظر في قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا  
 إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا  
 وارحمنا أنت مولانا فاتصرتنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٨٦].

في الآية الكريمة "أدخل الفاء إيذاناً بالسببية، لأنه كونه تعالى مولاهم ومالك تدبيرهم وأمرهم  
 ينشأ عن ذلك النصر لهم على أعدائهم كما تقول: أنت الشجاع فقاتل، وأنت الكريم فجد علي. أي  
 أظهرنا عليهم بما تحدث في قلوبنا من الجرأة والقوة، وفي قلوبهم من الخور والجبن".<sup>(٢)</sup>

(١) القمي النيسابوري، غرائب القرآن، ج ٦، ص ١٣١، مصدر سابق.

(٢) محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحیط، ج ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٧٦٧.

أما النوع الآخر أو الدرجة الأخرى من الولاية والنصرة تكون بين المؤمنين، فكل من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً ولا بد له أن يبرهن على ذلك بموالاته أخيه المؤمن ونصرته وإعانتته، فلا يكون في قلبه ولاء ونصرة مزدوجين أي لفريقين في آن واحد، فالولاء والنصرة لا يكون إلا الله تعالى وللجماعة المؤمنة، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٢١).

"وولاية المؤمنين بعضهم لبعض فهي عبارة عن تعاونهم وتناصرهم في الأمور المشتركة مع استقامتهم على الأعمال الصالحة الخاصة لأن الفساد الشخصي لا يتفق مع القيام بالمصلحة العامة، ولا معنى لكون المؤمن ولياً للمؤمن إلا هذا أي أنه عون له ويظهر في الحق الذي يعلو به شأن الإيمان وأهله فمن تجاوز ذلك فاتخذ له ولياً أو أولياء يعتقد أنهم يتولون شيئاً من أموره فيما وراء هذا التعاون والتناصر بين الناس فقد اشرك إذ اعتدى على ولاية الله الخاصة به التي لا يشاركه فيها أحد بالتوسط ولا الاستقلال دونه".<sup>(١)</sup>

"قال مؤمنون يتولون إيواء بعضهم بعضاً، ونصرة بعضهم بعضاً، ويأمن بعضهم بعضاً في ميادين الحياة المختلفة ابتداء من الأسرة ومروراً بالجوار في الحي والتعايش في المهجر والجهاد في الدائرة الإنسانية الكبرى".<sup>(٢)</sup>

أما ولاء المؤمنين ونصرتهم الكفار والعصاة والفاستقين فلا ينبغي أن تكون ابداً، قال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (المجادلة: ٢٢).

قال الراغب: "نفى الله الولاية بين المؤمن والكافر".<sup>(٣)</sup> وقد ورد هذا الأمر الرباني في الآية الكريمة بلفظ الخبر المراد منه الإنشاء، وهذا النهي البليغ والزرع العظيم عن موالاته أعداء الله،

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٣، ص ٣٨، باختصار، مرجع سابق.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، الأمة المسلمة، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٤٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٥٧، مصدر سابق.



وإيراد الإنشاء بلفظ أقوى وأؤكد من إيراده بلفظ الإنشاء كما هو معلوم في محله، ومعنى قوله يوادون من حاد الله ورسوله، أي: يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله".<sup>(١)</sup>

وتوعد القرآن بالعقاب كل من يوالي الكفار والمنافقين ويقدم لهم العون والنصرة وقلبه مطمئن بذلك، لذا فالمؤمن الحق يعلن المفاصلة الحاسمة بينه وبين هؤلاء على مر العصور والأزمان، فلا يتحرك في سر أوعلن إلا وفق كتاب الله وسنة رسوله الكريم - ﷺ - وهو بذلك يلي أمر ربه دون أن يكون له الخيرة في ذلك، قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ [آل عمران: ٢٨].

وكل من لم يلتزم أمر الله في ذلك حكم على نفسه بالظلم والضلال وقانا الله شر ذلك كله. "والذين لا يكون لهم مكان في ولاية المؤمنين تكون ولايتهم في الطرف المقابل من الولاية الفاسدة القائمة على نصره الباطل والدعوة إليه والالتفاف حوله، وهذه الولاية الفاسدة درجتان:

الدرجة الأولى: ولاية الشياطين للكافرين والمنافقين والعصاة: أي يتولونهم بالإضلال والإفساد والاصطدام مع أوامر الله وسننه في الحياة، وإلى هذه الدرجة كانت الإشارة بأمثال قوله تعالى: ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب إليم﴾ [النحل: ٦٣]، ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ [الأعراف: ٢٧]، والشيطان في القرآن والحديث قسمان: الأول: هو الشيطان الجني الذي لا يرى ولا يسمع من البشر العاديين، والقرآن يذكر هذا النوع في معرض تعريفه بعناصر الوجود المحيط وتفاعل الإنسان معها، والنوع الثاني: هو الشيطان الإنسان الذي ينشطن - أي ينحرف عن قصد وإصرار - عن منهج الله وتبني منهاجا مضادا من الفكر والسلوك، ثم يكرس حياته وجهوده للدعوة إلى هذا الانحراف والإضلال وإشاعتها".<sup>(٢)</sup>

قال الراغب: "جعل أي الله - سبحانه وتعالى - بين الكافرين والشياطين موالاة في الدنيا، ونفى عنهم الموالاة في الآخرة، قال تعالى في الموالاة بينهم في الدنيا: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ [الأعراف: ٢٧]، فكما جعل بينهم وبين الشياطين موالاة جعل للشياطين عليهم

(١) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، عالم الكتب - بيروت، ص ٨٢٥، ج ٧.

(٢) ماجد العرسان الكيلاني، الأمة المسلمة، ص ١٤٦، مرجع سابق.

سلطانا في الدنيا، فقال: ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ [النحل: ١٠٠]، ونفى الموالاتة بينهم في الآخرة فقال في موالاتة الكفار بعضهم بعضاً: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ [الدخان: ٤١].<sup>(١)</sup>

"والدرجة الثانية: ولاية الكافرين والمنافقين والعصاة بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال: ٧٣]، فالكافرون والمنافقون والعصاة من القادة والموجهين والأتباع بالتوجيه والتدريب على الممارسة والتطبيق، بينما يتولى الأتباع القادة والموجهين بالاستجابة والإيواء والنصرة وهم جميعاً يتعاونون لإقامة -أمة الكفر- والهيمنة في الأرض لنشر الفتنة والفساد الكبير".<sup>(٢)</sup>

والكفار والعصاة إنما يكون ولاءهم مزعوم ونصرتهم كاذبة لا حقيقة لها، فهم لا يحبون أحداً من صميم قلوبهم إلا لدافع المصلحة، لذا فهم يرتاحون كثيراً، للعمل مع غير المسلمين لأن فيه تحقيقاً لأطماعهم وإشباعاً لغرائزهم فهم مشتركون في الهدف.

ولندقق النظر في أحد المقاطع القرآنية والذي يبرز لنا بوضوح ويعكس لنا حقيقة موالاتة الكفار ونصرتهم بعضهم بعضاً، فقد رسم للوجود الإنساني كله صورة غدر وخذلان بعضهم بعضاً عند غياب المصلحة، فكان الله تعالى لهم بالمرصاد إذ أخرج ما في صدورهم وسجل عليهم الكذب والخيانة والغدر إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون﴾ [الحشر: ١١-١٢].

(١) الراغب الاصفهاني، المفردات، ص ٥٧١، مصدر سابق.

(٢) ماجد الكيلاني، الأمة المسلمة، ص ١٤٦، مرجع سابق.

## الفصل الثاني

الآيات الواردة في كون النصر سنة ربانية

## المبحث الأول: بيان مفهوم السنن وأنواعها

### □ مفهوم السنن في اللغة والاصطلاح

قبل الشروع في البحث حول سنة النصر لا بد من تحديد وتوضيح مفهوم السنن في القوان الكريم وخصائصها ومميزاتها ليسهل بعد ذلك متابعة الفصل اللاحق والذي يظهر من خلاله أن نصر الله لعباده المؤمنين إنما هو سنة من السنن الإلهية في الكون.

قال الراغب: "السنن جمع سنة، وسنة الوجة طريقته، وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله قد يقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو ﴿سنة الله في الذين قد خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ [فاطر: ٤٣]، فتنبه أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل، وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره".<sup>(١)</sup>

قال رشيد رضا: "السنة هي الطريقة المعبدة والسيره المتبعة أو المثال المتبع، قيل أنها من قولهم سنّ الماء إذا والى صبه، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد... فإن أمر البشر في اجتماعهم وما يعرض فيه من مصارعة الحق للباطل وما يتبع ذلك من الحرب والنزال والملك والسيادة وغير ذلك قد جرى على طرق قديمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام".<sup>(٢)</sup>

والمتتبع لمعنى السنن في المعاجم اللغوية يلاحظ أهمية الحسن والاجادة المرافق لأمر التتابع، يقال: "سن الإبل إذا أحسن رعيها، وسنّ المنطق حسنه فكأنه صقله وزينه، وجاءت الريح سناسن إذا جاءت على وجه واحد وطريقة واحدة لا تختلف، وبنى القوم بيوتهم على سناسن واحد أي على مثال واحد، وسننت الماء على وجهي أرسلته إرسالاً من غير تفريق".<sup>(٣)</sup>

"فالسنن الإلهية تعني في اصطلاح علماء التفسير: القوانين التي جعل سبحانه كل شيء في هذا الكون يسير وفقها؛ وعبارة كل شيء تشمل الكون بما فيه من مادة ومعنى، ففي الجانب المادي الأفلاك والشموس مثلاً، قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠].

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٥١، مصدر سابق

وانظر السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج ٢، ص ٢٦٠، مصدر سابق.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٤، ص ١٤٠، مرجع سابق.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥١، مصدر سابق.

أما الجانب المعنوي أو الروحي من الحياة ففيه قوانين كذلك، فالحضارات والدول تنهض وتزول فجأة أو تضعف شيئاً فشيئاً حتى تزول، كل ذلك وفق قوانين وضعها رب العالمين وتسير الأمم عليها، وذلك من محض حكمته المطلقة عز وجل وعلمه بأحوال البشر.

فهناك ربطا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، حيث أن السنة لغة: الطريقة، واصطلاحاً: طريقته سبحانه في تسيير أمور هذا الكون بمقتضى حكمته وعدله. (١)

وحيثما يدقق الناظر في السياق القرآني الذي ورد فيه لفظ السنن أو السنة نلاحظ أن هذا اللفظ يتعلق وبشكل قوي بالظالمين والضالين والمكذابين الذين أعد الله لهم عذاباً أليماً؛ إذ تبصر تلك الآيات هؤلاء وتتوعدهم بعذاب الله سبحانه كما تحمل بشرى لكل المؤمنين في كل الأعصر والأزمان بأن عاقبة الأمر تؤول لهم والخير لهم بإذن الله تعالى.

وما أحوجنا ونحن في هذا العصر، عصر هانت فيه أمة الإسلام ودانت بعدما سادت وكانت لها حاضرة أيما حاضرة، ما أحوجنا أن ندرس سنن الله تعالى في تلك الآيات لأجل استقاء حل لمشاكل أمتنا فيسطع لنا ضياء رفعة من وسط الظلمة الدهماء، ومن أجل هذا كان لهذا البحث\* -الذي بين يدينا- دور في تسليط الضوء على إحدى هذه السنن؛ وهي سنة الله في نصر عباده المؤمنين في القرآن الكريم ودور القرآن في بيانها لعلنا بهذا البيان تقوى أيدينا لإزالة ستار الهزيمة عن أبصارنا وبصائرنا.

والآيات التي ورد فيها لفظ السنن في القرآن المكي جاءت معبرة عن بشائر بالنصر لكل المؤمنين الذين ذاقوا المحن والابتلاء في مكة المكرمة، أما الآيات المدنية التي ورد فيها هذا اللفظ جاءت محرصة للمؤمنين على قتال الكافرين وجهادهم بشتى الوسائل في كل زمان حتى يؤول النصر للإسلام وتعلو رايات الإيمان لترتف بجوانحها على ربي الحياة، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلاً. سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنةنا تحويلاً﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧].

قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ [الأنفال: ٣٨].

(١) عبد السلام الشريف، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، ص ٥-٧، الطبعة الأولى، دار المعراج، جدة، ١٩٩٤، ص ٥-٧.

قال تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلقت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

### خصائص السنن الاجتماعية

الدارس للسنن الإلهية في الكون والمجتمعات البشرية في السياق القرآني يجد أنها تتميز بخصائص عديدة والتي يمكن توضيحها بما يأتي:

#### أولا. الاطراد والثبات:

"الاطراد بمعنى أن السنة التاريخية مطردة، ليست علاقة عشوائية وليست رابطة قائمة على أسس الصدفة والاتفاق، وإنما هي علاقة ذات طابع موضوعي لا تتخلف في الحالات الاعتيادية التي تجري فيها الطبيعة والكون على السنن العامة، ومن هنا استهدف القرآن الكريم من خلال التأكيد على طابع الاطراد في السنة التاريخية، استهدف أن يؤكد على الطابع العلمي لهذه السنة، وأن يخلق في الإنسان شعورا واعيا على جريان أحداث التاريخ متبصرًا لا عشوائيا ولا مستسلما ولا ساذجا، قال تعالى: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿ولا تجد لسنةنا تحويلا﴾ [الإسراء: ٧٧]."

هذه النصوص القرآنية تؤكد طابع الاستمرارية والاطراد، وتستتكر هذه النصوص الشريفة أن يكون هناك تفكيراً أو طمع لدى جماعة من الجماعات، بأن تكون مستثناء من سنة التاريخ ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].<sup>(١)</sup>

فالاطراد نعني به التتابع والاستمرارية، أما الثبات فهو الدوام وعدم الزوال، وفي هذا المعنى قال سيد قطب: "الأمر لا تمضي في الناس جزافاً، والحياة لا تجري في الأرض عبثاً، فهناك نواميس ثابتة لا تتبدل ولا تتحول والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة، ويعلمها للناس كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصلية محصورين في فترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان، ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة وسنن الوجود

(١) باقر الصدر، المدرسة القرآنية، الطبعة الثانية، دار التعارف، بيروت، ١٩٨١، ص ٧٥-٧٦.

فيوجههم دائما إلى ثبات السنن وإطراد النواميس ويوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن وإطراد النواميس".<sup>(١)</sup>

أن هذا الاطراد والثبات يكون بالنسبة للمجتمعات البشرية ولا يلزم منه أن يسير على الحالات الفردية؛ بدليل أننا نرى من المتقين من سار على منهاج الله سبحانه ولم يلق للسعادة سبيل في حياته الدنيا، ولكن لا بد أن يلقى ما وعده الله به في الآخرة مصداقا لقوله تعالى: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ [الروم: ٢١]، وكل ما يجري له إنما هو ابتلاء من الله سبحانه وقد جرت سنته تعالى على ابتلاء الأفراد والجماعات، وحول هذا المعنى يقول رشيد رضا: "أن اتباع هدى الله المنزل على رسله وهو الدين موجب للعادة بأن أصحابه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهذا الوعد يشمل الدنيا والآخرة لإطلاقه، ولكنه في الدنيا اضافي مطرد في الأمم، وإضافي مقيد غير مطرد في الأفراد، وفي الآخرة حقيقي مطرد للجميع، وموجب لشقاء من أعرض عنه".<sup>(٢)</sup>

وما يراه الناس من خوارق العادات والتي تتعلق بالسنن المادية، فهذا لا ينافي خاصيته الاطراد، وإنما يكون هذا الخرق وفق سنة أخفاها الله عن الناس وخصّ الأنبياء بعلمها، وقد يكون هذا الخرق بغير سبب.

قال رشيد رضا: "خوارق العادات، منهم من يقول -أي المتكلمون- أن لها أسباب خفية روحية لم يطلع الله الأمم عليها ولكنه خصّ بها الأنبياء عليهم السلام، والمشهور أن الله يخلقها بغير سبب لتدل أن السنن والنواميس لا تحكم على واضعها ومدبرها وإنما هو الحاكم المتصرف بها، وإنما كان هذا هو المشهور لأنه الظاهر".<sup>(٣)</sup>

أن اتصاف السنن الإلهية بالاطراد والثبات يدفع الإنسان أن يكون عاملا له دور فاعل في الاستفادة والاستعانة بتلك السنن في بناء حضارة أمته ثم صيانتها من يد كل غادر، وهو بذلك يكون إنسان متحرك باني ومسؤول.

"إنها -أي السنن- تريد أن نقول لنا باختصار، إن حركة أي جماعة بشرية في التاريخ ليست اعتباطية، وإنما بما ركب فيها من قوى العقل والروح والإرادة مسؤولة مسؤولية كاملة خلال حركتها حيث ينتقي العبث واللاجدوى، وحيث تتحرك الحرية من شكلها المهوس المتميع الغامض إلى عمل مُدرك مخطط يقف به الإنسان بمواجهته الله والعالم لكي يحقق إعمارهم ورقية وتقدمه، وفق ما يجيء به أنبياء الله حيننا بعد حين من تعاليم وخطط تأخذ بيد الجماعة البشرية

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٩٤٩ - ٢٩٥٠/ ط ٥، مرجع سابق.

(٢) محمد رشيد رضا، المنار، ج ١، ص ٩٧، مرجع سابق.

(٣) المرجع ذاته، ج ١، ص ٣١٥.

في هذا الطريق، وحيثما انفتحت هذه العلاقة الإيجابية بين الانسان والله والعالم، وأسيء استخدام الحرية، وضاعت المسؤولية وانعدم التخطيط المدرك الواعي وتميعت القيم الاخلاقية المنبثقة عن قوى العقل والروح والإرادة..، حيثما جاء الجزاء الموازي لجنس العمل وآل الأمر بالجماعة البشرية إلى التدهور والتفتت والإنهيار «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً» [الأحزاب: ٦٢].<sup>(١)</sup>

واطراد السنن وثباتها يسלט الضوء على عدل الله سبحانه وتعالى المطلق، فالسنن تسير على جميع البشر لا تحابي أمة على أخرى، وكان هذا منطلقاً من مساواة الله تعالى بين البشر؛ فلم يجعل سبباً للتفاضل بينهم إلا بالتقوى. قال تعالى في حق سيدنا محمد -ﷺ-: «ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين» [البقرة: ١٤٥].

وقد أورد السياق القرآني ما يبين عدل الله سبحانه بقوله تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط» [آل عمران: ١٨].

"وقائماً بالقسط هو العدل في الدين والشريعة وفي الكون والطبيعة، فمن الأول تقرير العدل في الاعتقاد كالتوحيد، وفي الثاني جعل سنن الخليقة في الأكوان والإنسان الدالة على حقية الاعتقاد، قائمة على أساس العدل، فمن نظر في هذه السنن ونظامها الدقيق يتجلى له عدل الله العام، فالقيام بالقسط على هذا من قبيل التنبيه إلى البرهان على صدق شهادته تعالى في الأنفس والآفاق، لأن وحدة النظام في هذا العدل تدل على وحدة واضعه".<sup>(٢)</sup>

وعليه يعد الاطراد والثبات من أهم خصائص السنن الإلهية في الكون، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: «ولا تجد لسنةنا تحويلاً» [الإسراء: ٧٧]، "أي ما أجرى الله به العادة لم يتمكن من تحويله ولا يقدر على تغييره".<sup>(٣)</sup> وأيضاً مصداقاً لقوله تعالى: «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» [الأحزاب: ٦٢]، "أي تحويلاً وتغييراً، بل هي ثابتة دائمة، يجريها الله مجرى واحد في الأمم لإثباتها على أساس الحكمة التي يدور في فلك التشريع".<sup>(٤)</sup>

(١) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٠٦-١١٠.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٣، ص ٢١٢، مرجع سابق.

(٣) صديق حسن البخاري القنوجي، فتح البيان، إدار احياء التراث العربي، ج ٧، ص ٤٣٤.

(٤) المصدر ذاته، ج ١١، ص ١٤٧.



## ثانيا. الربانية:

إن جميع السنن الكونية صادرة عن الله عزوجل، ومرتبطة به سبحانه وتعالى فهو مدبرها و المتحكم بها، وهذه الميزة تحيط بالسنن من كل جانب مما يظهر حسن التدبير الإلهي والرحمة الإلهية بالبشرية كلها. فالسنن التاريخية ربانية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى وهذا التأكيد من القرآن الكريم على ربانية السنة التاريخية يستهدف شد الإنسان حتى حينما يريد أن يستفيد من القوانين الموضوعية للكون بالله سبحانه وتعالى وإشعار الإنسان بأن الاستعانة بالنظام الكامل لمختلف الساحات الكونية والاستفادة من مختلف القوانين والسنن التي تتحكم في هذه الساحات، ليس ذلك انعزالا عن الله سبحانه وتعالى لأن الله يمارس قدرته من خلال هذه السنن، ولأن هذه السنن والقوانين هي إرادة الله، وهي ممثلة لحكمة الله وتدبيره في الكون.

فالقرآن يريد أن يؤكد أن هذه السنن هي خارجة ومن وراء قدرة الله سبحانه وتعالى، وإنما هي تعبير وتجسيد وتحقيق لقدرة الله، فهي كلماته وهي سننه وإرادته وحكمته في الكون لكي يبقى الإنسان دائما مشدودا إلى الله".<sup>(١)</sup>

قال محمد الصادق عرجون: "هذا النظام الإلهي هو في فلسفة القرآن واحد لا يتبدل ولا يتغير، لأنه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، وإنما معرفته هي التي تشبهه على العقل، فيعرف منه وينكر، والعقل إن لم يعتمد على الإيمان بالله الواحد القهار، وهذا الإيمان هو الدعامة لفلسفة القرآن قد يطوح به الغرور في مهامة لا معالم لها فيهندي بها السائرون فيها، ويحسبون السراب ماء، وركام الفراغ جبالا، و ظلال الأفاق طريقة لهداية السالكين، يدورون حول أنفسهم حيارى لا يهتدون، إلا إذا فاعوا إلى دوحة الإيمان".<sup>(٢)</sup>

ومما يدل على ربانية السنن الكونية أنه لا يستطيع أحد أن يتعجلها، وإنما لتحققها زمانا مثبتا عند الله سبحانه قدره حسب علمه ومشينته، واستعجال السنن نابع من حرص الإنسان أن يزرع ويجني الثمر، فالمؤمن يستعجل السنن طلبا للنصر، والكافر يستعجلها سخرية بالمؤمنين ودينهم.

قال تعالى عن قوم سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ [مؤد: ٣٢].

(١) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٧٧-٨١، (باختصار) مرجع سابق.

(٢) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، منشورات العصر الحديث، جدة، ١٩٨٤ ص ١٢.

وقال تعالى في حق المؤمنين: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

### ثالثا. الشمول:

إن البشر أمام سنن الله تعالى سواء، فهي لا تحابي أمة على أخرى ولا تداري، فالكل أمامها سواء ما دامت الشروط والمسببات تسير على أي أمة كانت وفق المخطط الإلهي.

وهي تشمل نواحي الحياة كلها في شتى ميادينها، قال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران، ١٣٧].

"أقول ما توجهنا إليه الآية الكريمة ضرورة المبادرة إلى البحث "سيروا في الأرض" أي اطلبوا هذا العلم حيث يكون...، فعامل الحركة هنا مهم، فليس المقصود تأملا داخليا واستنباطا أو مناقشة... بل المقصود همة في التحصيل تدعوك إلى السير في الأرض بحثا عن هذه السنن.

وثاني ما توجهنا إليه هي النظر بعد السير لا قبله، فأنت لا تخرج إلى الدراسة بفكرة مسبقة في ذهنك، وإنما تبدأ بتحصيل الحقيقة فتنتظر فيها، أنت لا تفصل بين جميع الحقائق والنظر فيها وتفسيرها، من أجل ذلك قال ربنا ﴿فسيروا في الأرض فانظروا﴾ الأمر ترتيب فوري لا يحتمل التراخي".<sup>(١)</sup>

وفي بيان هذا الشمول قال عماد الدين خليل: "دعا القرآن الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم، وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسي إلى ما حولهم ابتداء من مواقع أقدامهم، وانتهاء بأفاق النفس والكون، وأعطى للحواس مسؤوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب، وناداه أن يمعن النظر إلى ما حوله، إلى طعامه، إلى خلقه، إلى الملكوت، إلى التاريخ وحركة الإنسان في الأرض، إلى خلائق الله، إلى آياته المنبثة في كل مكان، إلى النواميس الاجتماعية، إلى الطبيعة وهي تنبعث من قلب الفناء برحمة الله ومقدرته، إلى الثمار وهي تتدلى من غصون الأشجار إلى الحياة الأولى كيف بدأت، وكيف نمت وارتقت.

(١) عبد العزيز كامل، دروس من غزوة أحد، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مصر، ١٩٦٨.

وانتقل القرآن خطوة أخرى، وسألهم أن يحركوا بصائرهم، تلك التي تستقبل في كل لحظة مدركات حسية، سمعية وبصرية، ولمسية لا حصر لها وأن تتحمل البصيرة مسؤوليتها في تنسيق هذه المدركات، وتمحيصها وموازنتها، وفرزها من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخليقة، إن العقل والحواس جميعا مسؤولة لا تنفرد إحداها عن الأخريات تحمل تبعية البحث والتمحيص والاختيار، والإنسان مبتلى بهذه المسؤولية، لأنه من طينة أخرى غير طينة الأنعام".<sup>(١)</sup>

وقد ورد في السنة النبوية الشريفة ما يؤكد هذا الشمول، فكما سارت السنن على الأمم الماضية تسير على الأمم اللاحقة، ومثال ذلك سنة الابتلاء، وما يعقبها من سنة النصر الواردة في الحديث الذي رواه خباب بن الارت.

"شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: الا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم تحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه عن عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".<sup>(١)</sup>

رابعا. تواؤم السنن مع بعضها:

إن سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون لا تتصادم ولا يمكن أن يسري بينها تناقض، ولا عجب في ذلك ولا دهشة لأن خالقها وواضعها واحد لا شريك له يشاركه وضع قوانين الكون ونواميسه، وهذا يدل على عظمة الباري سبحانه في تدبير الكون، وإليك مثال نستبين من خلاله تواؤم السنن مع بعضها ونفي التناقض بينها، فمن سنته سبحانه أن جعل هذا الكون مسخرا للإنسان، فإذا استغل طاقاته ومقدرته وما في الكون من موارد حاز على الخير والسعادة لا شك في ذلك، وهذه السنة لا تتصادم مع سنة الله في أخذه الأمم التي أترفت واغترت بما حازت من الخير والقوة فظلمت و تنكبت عن جادة الطريق ومنهج المولى، قال تعالى: ﴿ لا يغررك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

(١) عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة، ص ٥٦/٥٩ (باختصار).

قال سيد قطب: "تقلب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحبك في قلوب المؤمنين وهم يعانون الشظف والحرمان ويعانون الأذى والجهد، ويعانون المطاردة أو الجهاد وكلها مشقات وأهوال، بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون، ويحك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء، والباطل وأهله في منجاة، بل في مسلاة، هنا تأتي هذه اللمسة ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ متاع قليل ينتهي ويذهب أما المأوى الخالد الدائم فهو جهنم وبئس المهاد".<sup>(٢)</sup>

فإنه سبحانه خالق الانسان وجعل مهمته الأولى الاستخلاف أو الخلافة التي يجب أن يقوم بها خير قيام ووضع في نفسه ما يؤهله للقيام بها، والله لا يكلف نفسا ما لا تطيق وما تجهله، ثم جعل نواميس الحياة موافقة لما فطره عليه، قال تعالى: ﴿لم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك التي تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [الحج: ٦٥].

قال سيد قطب: "لقد سخر ما في الأرض لهذا الإنسان، فجعل نواميسها موافقة لفطرته وطاقاته، ولو اختلفت فطرة الإنسان وتركيبه عن نواميس هذه الأرض ما استطاع الحياة عليها فضلاً عن الانتفاع بها وبما فيها..، ولو اختلفت كثافة بدنه أو كثافة الأرض كما هي عليه ما استقرت قدماء على الأرض..، فتوافق هذه الأرض وفطرة هذا الإنسان هو الذي سخر الأرض وما فيها لهذا الإنسان وهو من أمر الله"<sup>(١)</sup>

وسنن الله تعالى ونواميسه الدقيقة في الكون والإنسان متوائمة متوافقة فمن واكبها وكان موحداً لمن أنشأها أفلح ونال الخير ومن تتكب وزاغ عن من أنشأها انتكس وارتكس فسنة الله فيه لا تتخلف.

وقد بحث محمد الصادق عرجون مسألة تواؤم سنن الله ونفي التناقض بينها فقال: "يتحدث القرآن الكريم عن سنن الله العامة في الكون على أنها دعامة النظام الكوني المتماسك بوشائج التوازن الإلهي الذي يحكم به هذا النظام، فهذا الترابط المحكم بين عوالم الكائنات علويها وسفليها وهذا

(١) رواه البخاري، دار ابن كثير، بيروت ١٩٨٧، ج ٣، ص ١٣٢٢ (٣٤١٦)، ص ١٣٩٨ (٣٦٣٩).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٤٩، دار الشروق.

التنسيق بين أحادها ومجموعاتها وهذه الأوضاع المنسجمة التي تتراءى في وضع كل كائن من مكانه من التركيب الكوني، وهذا الاتساق في تقدير صلة كل عنصر من عناصر الكون بسائر العناصر هو الإطار الذي تجمعت فيه الخطوط التي تصور سنن الله الكونية التي يتحقق بها التوازن بين جميع المخلوقات".<sup>(١)</sup>

ومثال هذا التوازن بين السنن: سنة الابتلاء وسنة التمكين والنصر والهزيمة كلها متوائمة تعمل مجتمعة لا متفرقة في ظلال بعضها بعضاً.

### أنواع السنن ونماذجها:

القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لمعرفة السنن، ثم تأتي السنة النبوية الشريفة في الدرجة الثانية كونها هي المفسرة للقرآن الكريم.

ومن خلال النظر الثاقب في القرآن الكريم والسنة النبوية تنقسم السنن إلى قسمين أساسيين:

#### القسم الأول: السنن الكونية

تتعلق بأفاق الكون فتمثل نواميس يسير عليها الوجود كله ويدركها الإنسان من خلال وسائل المعرفة التي وهبها الله سبحانه له كالسمع والبصر، قال تعالى: ﴿إن السمع، والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

"لقد دعا القرآن الناس للتبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسي إلى ما حولهم ابتداء من مواقع اقدامهم، وانتهاء بأفاق النفس والكون وأعطى للحواس مسؤوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب".<sup>(٢)</sup>

وهذا مثال على سنن الله الكونية، قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ [الذاريات: ٤٩].

(١) المرجع ذاته، ج٤، ص ٢٢٤٠ - ٢٢٤١.

(٢) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، ص ١٥-١٧، (باختصار) مرجع سابق.

(٣) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ٢٠٩، مرجع سابق.

فهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض، وربما في هذا الكون، إذ أن التعبير لا يخص الأرض قاعدة تشمل الزوجية في الخلق، وهي ظاهرة في الأحياء ولكن كلمة شيء "تشمل غير الأحياء" والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية".<sup>(١)</sup>

ومن الأمثلة التي يفيض بها القرآن الكريم على السنن الكونية ومما هو قريب إلى نفوس البشر جدا قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا﴾ [النبا: ١٠-١١].

قال الطبطبائي في آية الليل: "جعلنا الليل لباسا: أي ساتراً يستر الأشياء بما فيه من الظلمة الساترة للمبصرات كما يستر اللباس البدن، وهذا سبب إلهي يدعوك إلى ترك الثقل والحركة والميل إلى السن والدعة والرجوع إلى الأهل والمنزل"<sup>(٢)</sup>

وقال الرازي في آية النهار: "معنى كون النهار معاشا أن الخلق إنما يمكنهم الثقل في حوائجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل"<sup>(٣)</sup>

"إن القرآن الكريم يرسم صورة للنظام الكوني في نماذج من المخلوقات يستبين فيها أن الكون كله خاضع في نظام سيره وتركيب عناصره لسنن الله التي خلقه محكوماً بها، مترابطاً بوشائجها في وحدة قائمة على استتاق في وضع وتركيب كل كائن بما يهيء لها القيام بأداء ما خلق له من المنافع والمصالح ما دام في موضعه من نظام الكون العام وهذا التماسك والاتساق بين ذرات الكون هو ما يعنيه بالتوازن المحكوم بسنن الله في هذا الكون العظيم".<sup>(٤)</sup>

#### القسم الثاني: السنن التي تتعلق بالبشر

كسنة التغير، فالتغير سنة إلهية اجتماعية تسير على جميع الأمم قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١]، فإذا أرادت أمة الخير والنعماء والنصر فعليها أن تغير ما بنفسها من سوء، فتسير وفق طريق الله الذي شرعه لها، وفي المقابل فإن الله لا يزيل النعماء عن قوم أو أمة إلا إذا مالت عن طريق الهدى والاستقامة قال تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الأنفال: ٥٣].

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٨٥.

(٢) محمد الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٤، ج ٢٠، ص ١٦٢.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٠، مصدر سابق.

(٤) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع، ص ٢١، مرجع سابق.

والابتلاء سنة إنسانية وناموس إلهي يسير على الأمم والأفراد، قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ٢٠].

قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ [الأنعام: ٤٢].

ومن الأمثلة على السنن الإنسانية أو الاجتماعية: "سنة الله في المجتمع البشري منذ كانت رسالات الله إليه أنه لا يأخذ المنحرفين عن جادة الاستقامة إلا بعد إنذارهم على أيدي رسله، فإذا لم يزدجروا ولم يدعوا، وعتوا عن أمر ربهم غرورا بإمهاله لهم أخذهم بغتة فشد عليهم وطأته.

ومن سنن الله التي يقررها القرآن ليحقق بها التوازن الاجتماعي في المجتمع أن الله تعالى ينتقم من الظالمين بظالمين مثلهم أو أطغى منهم.

ومن سنن الله في المجتمع التي يقررها القرآن الحكيم أن أخذ الله للمفسدين الظالمين لا يفردهم بالعذاب والنكال دون سائر من يحيون معهم ويخالطونهم في عيشتهم، ولكنه إذا أخذ بانتقامه لتفشي الفساد عم المذنب وغير المذنب".<sup>(١)</sup>

إلى غير ذلك من السنن التي يزخر بها السياق القرآني والتي تتطلب دراسة واعية من المسلمين لمعرفة سيرها في ركابها، قال جودت سعيد: "يشهد التاريخ أن الذين لا يراعون قواعد الإيمان بالله واليوم الآخر ينكسرون ويتحطمون كما ينكسر الذين يقفزون من الطائرات ومن الأسطح دون مراعاة قوانين الجاذبية".<sup>(٢)</sup>

ولأن الأمة المسلمة راعت هذه السنن فيما مضى من الزمان سادت الدنيا وعلت قمم حضارات البشرية إلى أن انحدرت وتكسرت بمخالفتها تلك السنن، قال محمد الصادق عرجون: "قالعلم بالسنن الإلهية هو الذي وضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة من الحياة يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهذا المجتمع فطاف آفاق السموات و الأرض نظارا باحثا يستشف الحقائق الكونية من وراء السجف، يكشفها له القرآن ويهديه إلى أصولها".<sup>(٣)</sup>

(١) المرجع السابق، ص ٤٢-٤٦، (باختصار).

(٢) جودت سعيد، العمل فطرة وإرادة، الطبعة الأولى، دار الثقافة للجميع، دمشق ١٩٨٠، ص ٥٩.

(٣) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع، ص ٢٥، مرجع سابق.

والسنن لها "وظيفة اجتماعية مهمة فهي تكشف عن أسباب الجهل وتزيل الستار عن أسباب الدمار وتثير في الإنسان فطرة الخير والصلاح وتدعوه إلى الاستقامة ومراجعة مواقفه ووقفاته والعمل على ضبط حركاته.

ومن جهة أخرى تكشف هذه السنن عن تجربة تاريخية كاملة تحب فيها الشعوب والجماعات ما ينير طريقها ويفتح بصيرتها".<sup>(١)</sup>

### التصور البشري للسنن في الماضي والحاضر

"إن القرآن الكريم ليربط ماضي البشرية بحاضرها وحاضرها بماضيها، فيشير من خلال ذلك كله إلى مستقبلها، وهؤلاء العرب الذين وجه إليهم القول أول مرة لم تكن حياتهم ولم تكن معارفهم، ولم تكن تجاربهم قبل الإسلام لتسمح لهم بمثل هذه النظرة الشاملة لولا هذا الإسلام وكتابه القرآن الذي أنشأهم به الله نشأة أخرى وخلق به منهم أمة تقود الدنيا.

إن النظام القبلي الذي كانوا يعيشون في ظله، ما كان ليقود تفكيرهم إلى الربط بين سكان الجزيرة ومجريات حياتهم؛ فضلا على الربط بين سكان هذه الأرض وأحداثها، فضلا على الربط بين الأحداث العالمية والسنن الكونية التي تجري وفقها الحياة جميعا...، وهي نقله بعيدة ولم تتبع من البيئة، ولم تنشأ من مقتضيات الحياة في ذلك الزمان، إنما حملتها إليهم هذه العقيدة، بل حملتهم إليها! وارتقت بهم إلى مستواها في ربع قرن من الزمان، وعلى حين أن غيرهم من معاصريهم لم يرتفعوا إلى هذا الأفق من التفكير العالي إلا بعد قرون وقرون، ولم يهتدوا إلى ثبات السنن والنواميس الكونية، إلا بعد أجيال وأجيال، فلما اهتدوا إلى ثبات السنن والنواميس نسوا أن معها كذلك طلاقة المشيئة الإلهية، وأنه إلى الله تصير الأمور.. فأما هذه الأمة المختارة فقد استيقنت هذا كله، فاستقامت حياتها على التعامل مع سنن الله الثابتة والاطمئنان بعد هذا إلى مشيئته الطليقة".<sup>(٢)</sup>

فأمر السنن لم تعرفه العرب قبل نزول القرآن الكريم، بل كانوا يجهلونه فكل تجاربهم ومعارفهم البسيطة لم يتوصلوا من خلالها لمثل هذه المعرفة، ولما بسط الإسلام جناحيه في الجزيرة لفت أنظار البشر إلى هذه السنن فعرفتها الأمة من خلال القرآن الكريم.

(١) محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين المعيارية والوضعية، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤٧٩، مرجع سابق.



قال محمد باقر الصدر: "وهذا المفهوم القرآني يعتبر فتحاً عظيماً للقرآن الكريم، لأننا في حدود ما نعلم، القرآن أول كتاب عرفه الإنسان أكد على هذا المفهوم، وكشف عنه وأصر عليه وقاوم بكل ما لديه من وسائل الإقناع والتفهيم قاوم النظرة العفوية أو النظرة الغيبية بتفسير الأحداث، ونبه العقل البشري إلى أن هذه الساحة لها سنن ولها قوانين، وأنه لكي تستطيع أن تكون إنساناً فاعلاً مؤثراً لا بد لك أن تكتشف هذه السنن، لا بد لك أن تتعرف على هذه القوانين لكي تستطيع أن تتحكم فيها وإلا تحكمت هي فيك وأنت مغمض العينين.

ويبقى للقرآن مجده في أنه طرح هذه الفكرة لأول مرة على الساحة، على ساحة المعرفة البشرية".<sup>(١)</sup>

وفي هذا العصر وقف المعاصرون عند هذه السنن وتعرفوا على الكثير منها، وقد جعلها محمد رشيد رضا شرطاً من شروط التفسير حيث قال: "قد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبيّن فيه ما لم يبيّنه في غيره؛ بيّن فيه كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية في البشر وقص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسننه فيها، فلا بد للناظر فسي هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم".<sup>(٢)</sup>

والحضارات المادية المعاصرة نجدها صبت اهتمامها على الجانب المادي للسنن، ولم تكف بذلك بل فصلت بين هذه السنن وبين منشئها وواقعها وخالقها، في غض الطرف عن سنن الله في الحياة الإيمانية وما يتعلق بها من الهدى والكفر والضلال.

قال محمد رشيد رضا: "الفرنج منهم وإن كانوا على علم واسع لسنن الله في أحوال البشر وسائر أمور الكون، قد نالوا به ملكاً عظيماً في الأرض فأكثرهم يجهلون مصدر هذه السنن وحكم الله تعالى فيها، وإن العلم بسنن الاجتماع والعمران لا يغني عن هداية الدين التي توقّف أهواء البشر ومطامعهم، ولولا أن عند بعض أمم أوروبا بقية قليلة منها تتفاوت في أفرادهم قوة وضعفاً لحشرتهم المطامع، فدكوا معالم أرضهم التي بلغت منتهى العمران بقذائف المدافع الضخمة التي تشق الأرض شقاً وتسحق ما فيها سحقاً على أنهم شرعوا فإما أن يجهزوا وإما أن ينزعوا".<sup>(٣)</sup>

(١) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٧١-٧٣، (باختصار) مرجع سابق.

(٢) محمد رشيد رضا، العنار، ج ١، ص ٢٤، مرجع سابق.

(٣) المرجع ذاته، ج ٩، ص ١٨.

وقال: "إن المستحوذ على عقولهم هو ما يسمونه نظرية "الميكانيكية" وخلصته أن العالم كله كآلة كبيرة تدار بقوة كهربائية فيتحرك بعض أجزائها بحركة الآخر، وليس للقوة المحركة كلها علم ولا إرادة ولا اختيار في شيء منها، ونقول لهم من أوجد القوة ومن حركها ويحفظ وحدة النظام فيها".<sup>(١)</sup>

فالقرآن يهدينا إلى المسلك الصحيح للتعامل مع نواميس الكون وسننه حتى نكون على بصيرة ولا نكون كالغربيين في نظرتهم للسنن.

قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٨].

"وجعل البيان للناس كافة، والهدى والموعظة للمتقين خاصة وهو بيان أن الإرشاد العام وأن جريان الأمور على السنن المطردة حجة على جميع الناس مؤمنهم وكافرهم تقيهم وفاجرهم. فما ذكر من أن الله سنناً في الأمم هو بيان لجميع الناس لاستعداد كل عاقل لفهمه واضطراره إلى قبول الحجة المؤلفة منه، إلا أن يترك النظر أو يكابر أو يعاند.

وأما كونه هدى وموعظة للمتقين خاصة فهو أنهم هم الذين يهتدون بمثل هذه الحقيقة، ويتعظون بما ينطبق عليهم من الوقائع فيستقيمون على الطريقة، هم الذين تكمل لهم الفائدة والموعظة لأنهم يتجنبون، ويتقون نتائج الإهمال التي يظهر لهم أن عاقبتها ضارة.

فليزيد مسلموا هذا الزمان إيمانهم وإسلامهم بهذه الآيات، ولينظروا إلى مكانهم من هدايتها وما هو حظهم من موعظتها".<sup>(٢)</sup>

وخلاصة الأمر القول بأنه: "لم يشتغل المؤرخون بتاريخ الأمم والمجتمعات إلا بعد نزول القرآن الكريم".<sup>(٣)</sup>

والقول بأن: "القرآن يطرح على العقل البشري ولأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطيء وعبر مسالكها المقننة التي ليس إلى الخروج عليها سبيل. حتى لكان القرآن يلفت أنظارنا إلى أننا نستطيع أن نرتب على مجموعة معينة من الوقائع التاريخية سلفاً لنتائجها التي تكاد تكون محتومة لارتباطها الصميم بمقدماتها".<sup>(٤)</sup>

(١) المرجع ذاته، ج ١٢، ص ٨٩.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المناري، ج ٤، ص ١١٨ - ١١٩، مرجع سابق.

(٣) محمد الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٩٦، مرجع سابق.

(٤) عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل السليم، ص ٥١-٥٢، مرجع سابق.

## المبحث الثالث: الآيات الواردة في بيان أن النصر سنة ربانية

□ أولاً: سنة النصر في ظلال صراع الحق والباطل

أن الاسلام رسالة عالمية تحمل الخير للبشرية جمعاء، ومعنى عالميته أن يمد أجنحته في أرجاء المعمورة كلها، قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وهذه الوراثة تحتاج إلى صراع مع الباطل وأهله مبني على جسر ضخم من التضحيات لذا شرع الله الجهاد لقتال الباطل وأهله وصرعهم، وهذه سنة إلهية سائدة وماضية منذ القدم حتى يرث الله الأرض، فهو جهاد مستمر ضد الباطل وقديم قدم البشرية يلزم عنه انتصار الحق وأهله.

قال الشنقيطي: "الصراع بين الحق والباطل و الخير والشر قديم قدم المجتمع وملازم للبشرية منذ بدئها، وهذه حقيقة لا سبيل لإنكارها، لقد خلق الله الناس أحراراً ليعمروا الأرض ويسعوا فيها بالخير والشر، ويتعاونوا على البر والتقوى والهداية".<sup>(١)</sup>

وقد شرع الله سبحانه الجهاد لدحض الباطل وإعلاء كلمة الحق في الأرض، وفي بيان معنى الجهاد لغة قال ابن منظور: "الجهد والجهد: الطاقة، تقول: أجهد جهدك وقيل الجهد: المشقة، والجهد: الطاقة. قال الليث: الجهد: ما جهد الانسان من مرض أو أمر شاق؛ فهو مجهود، قال: والجهد لغة بهذا المعنى.

وقيل إذا كان المعنى هو المشقة أو الغاية، فالفتح لا غير، وإذا كان الوسع و الطاقة، فيجوز الفتح والضم".<sup>(٢)</sup>

قال الراغب: "الجهد والجهد الطاقة والمشقة، والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يقال: جهدت رأبي وأجهدته أتعبته بالفكر".<sup>(٣)</sup>

أما معنى الجهاد اصطلاحاً قال ابن حجر: "الجهاد بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق والكفار، فأما مجاهدة النفس: فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها.

(١) الشنقيطي: أضواء البيان، ج ٢، ص ٥٨، مرجع سابق.

(٢) ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ١، ص ٤٧٦، مرجع سابق.

(٣) الراغب الأصفهاني، حسين، المفردات، ص ٩٩، مصدر سابق.

وأما مجاهدة الشيطان: فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار: فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق: فباليد ثم اللسان ثم القلب<sup>(١)</sup>.

والجهاد في سبيل الله ومدافعة الباطل وأهله يمثل ذروة سنام الإسلام، قال رسول الله - ﷺ -: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروه سنامه الجهاد"<sup>(٢)</sup>، لذلك هو سنة باقية حتى ينتصر الإسلام -دين الحق- وينهزم الباطل وأهله.

فالباطل مهما اختلفت مناهجه ومشاربه يتكالب على محاربة الحق وأهله لأنهم يعرفون أن الإسلام له الهيمنة في الأرض كلها لا محالة، لذا يملأ الرعب أنفسهم فتراهم يهاجمون هجوم الخائف المترقب الوجس، ولانفاقهم هذا وتكالبهم قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَمَا﴾ [التوبة: ٣٦].

"والمراد قاتلوهم بأجمعهم مجتمعين على قتالهم، كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة، يريد تعاونوا وتناصروا على ذلك ولا تتخاذلوا ولا تتقاطعوا وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة الأعداء"<sup>(٣)</sup>.

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما جليا واسعا بأمر الجهاد ورغب فيه أيما ترغيب وخاصة في القرآن المدني، فأيات الجهاد وصراع الحق مع الباطل حازت على مساحة واسعة من كتاب الله تعالى، والعديد منها في سور كثيرة كالبقرة وآل عمران والنساء و المائدة والحج والأحزاب وغيرها من السور الكريمة غير تلك السور التي نزلت كلها في أمر الجهاد وصراع الحق مع الباطل كالأنفال والتوبة والفتح وغيرها.

قال ابن القيم: "والجهاد من أعظم ما يقرب إلى الله عزوجل وهو ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما أن لهم الرفعة في الدنيا، إنهم الأعلون في الدنيا والآخرة"<sup>(٤)</sup>.

(١) مقدمة كتاب الجهاد والسير في المقدمة للبخاري.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الإيمان.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٦، ص ٤٤، مصدر سابق.

(٤) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، تحقيق محمد بلتاجي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٤،

"فلست تجد نظاما قديما أو حديثا دينيا أو مدنيا عنى بشأن الجهاد والجنديّة واستنفار الأمة وحشدها كلها صفا واحدا للدفاع بكل قواها عن الحق كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ".<sup>(١)</sup>

ومما ورد في السياق القرآني ويرغب في الجهاد الباطل والقضاء عليه مهما على صوته وظهرت حركاته، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤].

فالجهاد في سبيل الله يساوي الحياة كلها، قال القرطبي: "المراد بقوله (لما يحييكم) الجهاد، فإنه سبب الحياة في الظاهر لأن العدو إذا لم يغز غزا، وفي غزوه الموت، والموت في الجهاد الحياة الأبدية، قال الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ [آل عمران: ١٦٩].<sup>(٢)</sup>

وكذلك أكد الفخر الرازي على أن الجهاد هو الحياة ثم وضع سبب تسميته بالحياة، قال: "قال الأكترون "لما يحييكم" هو الجهاد، ثم في سبب تسمية الجهاد بالحياة وجوه أحدها: هو أن وهن أحد العدوين حياة للعدو الثاني. فأمر المسلمين إنما يقوى ويعظم بسبب الجهاد مع الكفار. وثانيهما: أن الجهاد سبب لحصول الشهادة وهي توجب الحياة الدائمة، قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وثالثهما: أن الجهاد قد يفضي إلى القتل، والقتل يوصل إلى الدار الآخرة، والدار الآخرة معدن الحياة، قال تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [النكوت: ٦٤] أي الحياة الدائمة.<sup>(٣)</sup> وقد ورد في السنة النبوية بيانا جميلا لأهمية جهاد الباطل والترغيب فيه، فبه تحيا الأمة وتتصدر وجه الاجتماع والتاريخ البشري.

روى أبو نر -رضي الله عنه- حيث قال: سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله، ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله".<sup>(٤)</sup>

(١) حسن البناء، رسالة الجهاد، مجموعة الرسائل، ص ٣٤٨.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العملية، ج ٤، ص ٢٤٧.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٥، ص ٤٧٢، مصدر سابق.

(٤) رواه البخاري، ج ١، ص ١٨ (٢٦).

فهذا جواب عن فرح المنافقين بمصائب المؤمنين، "ذلك لأن المسلم إذا ذهب إلى الغزو، فإن صار مغلوباً مقتولاً فاز بالاسم الحسن في الدنيا والثواب العظيم الذي أعده الله للشهداء في الآخرة، وإن صار غالباً فاز بالدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل، وهي الرجولية، والشوكة والقوة، وفي الآخرة بالثواب العظيم.

وأما المنافق إذا قعد في بيته فهو في الحال في بيته مذموماً منسوباً إلى الجبن والفشل وضعف القلب والقناعة بالأمر الخسيسة من الدنيا على وجه يشاركه فيها النسوان والصبيان والعاجزون من النساء، ثم يكونوا أبداً خائفين على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وفي الآخرة إن ماتوا فقد انتقلوا إلى العذاب الدائم في القيامة، وإن أذن الله بقتالهم وقعوا في القتل والأسر والنهب، وانتقلوا من الدنيا إلى عذاب النار فالمنافق لا يتربص بالمؤمن إلا إحدى الحالتين بالمذكورتين، وكل واحدة منهما في غاية الجلالة والرفعة والشرف، والمسلم يتربص بالمنافق إحدى الحالتين المذكورتين، أعني البقاء في الدنيا مع الخزي والهوان ثم الانتقال إلى عذاب القيامة والوقوع في القتل والنهب مع الخزي والذل، ثم قال تعالى للمنافقين: "فتربصوا" بنا إحدى الحالتين الشريفتين "إننا معكم متربصون" ووقعكم في إحدى الحالتين الخسيتين".<sup>(١)</sup>

ويمضي السياق القرآني في بيان جهاد المؤمنين للباطل وأهله ومرغباً في ذلك وداعياً إليه مبيناً أن حياة من يستشهد من المجاهدين وعاقبته عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

قال القرطبي: "هذه الآية تدل على عظيم ثواب القتل في سبيل الله والشهادة فيه حتى أنه يكفر الذنوب".<sup>(٢)</sup>

وقال الشوكاني: "ومعنى الآية عند الجمهور: أنهم أحياء حياة محققة ثم اختلفوا، فمنهم من يقول: إنها ترد إليهم أرواحهم في قبورهم. وقال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أي يجدون ريحها وليسوا فيها.

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٦، ص ٦٧، مصدر سابق.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٧٣، مصدر سابق.

وذهب من عدا الجمهور إلى أنها حياة مجازية، والمعنى: أنهم في حكم الله مستحقون التمتع في الجنة، والصحيح الأول، ولا موجب للمصير إلى المجاز. وقد وردت السنة المطهرة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر، وأنهم في الجنة يرزقون ويأكلون ويتمتعون".<sup>(١)</sup>

وروى الإمام مسلم عن مسروق بن الأجدع قال: "سألنا عبد الله وهو ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها فتاديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك الفتاديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا: قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أنهم ليس بهم حاجة تركوا".<sup>(٢)</sup>

حينما ننظر إلى عظيم تضحية هؤلاء وأمانياتهم بتقديم المزيد نستشعر بطولتهم وشجاعتهم التي حفزتهم أن يقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل عزة الدين الإسلامي وتحقيق عالمية رسالته بالقضاء على الباطل ودحره.

"قد شرع الله الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور من جهة ولتكون كلمة الله هي العليا من جهة ثانية وحماية المسلمين من أن يفتنوا في دينهم أو تستباح حرماهم وتحتل أراضيهم من جهة ثالثة، وكل هذه الأمور يجب أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يمكن استمرار تحقيقها إلا باستمرار الجهاد في سبيل الله.

وقد اقتضت مشيئة الله أن يوجد في الأرض حزبه وحزب الشيطان، وأن يكون بجانب الحق الباطل، وأن يعيش على وجه الأرض محقون ومبطلون، وأن يصطرع هؤلاء من أول الحياة، فما دام في الأرض مسلمون -ولا بد أن يكونوا- وما دام في الأرض كافرون -ولا بد كذلك أن يكونوا- فلا بد من وجود الصراع بين المسلمين والكافرين لتباين طبيعتهما الإسلامية والكفر، فالإسلام يصر على تحرير الناس من عبادة كل ما سوى الله تعالى وتعبيدهم لله وحده، والكفر يصر على بقاء الناس في الظلمات.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٦٤٧، مصدر سابق.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٣، ص ١٥٠٢ (١٨٨٧).

والواقع يؤيد إصرار أعداء الله على صد الناس عن دين الله وغدرهم بالمسلمين وعدم الوفاء بعهودهم لهم، وأنه لا يجدي في تقويمهم إلا القضاء على رؤوس الفتنة من قادتهم وإذلالهم بالجهاد في سبيل الله وهو أمر دائم ما دام في الأرض كفر وإسلام".<sup>(١)</sup>

ومما يلفت إليه النظر من خلال سياق هذه الآيات ورود لفظ الجلالة مقرونا بلفظ الجهاد أو القتال للدلالة على هدف جهاد المؤمنين والأمة المسلمة في صراعها مع الباطل إنما هو الله وفي الله فتطمئن نفوس المجاهدين إلى ذلك، فالجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا لذا فإنه يعد من أجل وأعظم العبادات التي يقوم بها المؤمنون، قال ابن تيمية في بيان معنى العبادة: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة".<sup>(٢)</sup>

والسياق القرآني أشار إلى ما يؤكد ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

كما بينت السنة النبوية هدف الجهاد بكلمة جامعة، فقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "الرجل يقاتل للمغرم والرجل يقاتل للذکر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".<sup>(٣)</sup>

وهذا الهدف هو ذاته الذي أشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية فقال: "سأل رستم عظيم الفرس ربعي بن عامر ما جاء بكم؟ فقال: ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فارسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قائلنا أبدا حتى نفضي إلى موعد الله. قال: وما موعد الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي..".<sup>(٤)</sup>

وبذلك يتبين أن غاية الجهاد في سبيل الله القضاء على الباطل، ومن قضى على الباطل فقد عمل على إعلاء كلمة الله تعالى في شتى بقاع الدنيا، وهذا يجعل حكم الله هو الغالب وكلمته هي

(١) عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، الطبعة الأولى، دار المنارة، جدة، ١٩٨٥، ج ١.

(٢) تقي الدين ابن تيمية، العبودية، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٣٨.

(٣) رواه البخاري، ج ٣، ص ١٣٣٧ (٢٩٥٨).

(٤) اسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، ج ٧، ص ٣٩.



الباقية النافذة، وأن يكون الإنسان حراً لا يستعبده ولا يذله ولا يصدّه عن عبادة الله أحد من العالمين مهما عظم جبروته واستعظم.

وقد أورد السياق القرآني آيات يطول حصرها تحذر وترهب من ترك الجهاد في سبيل الله، وتندر من عواقبه في الدنيا والآخرة.

فترك الجهاد يؤدي إلى القضاء على دين الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج: ٤٠].

قال القرطبي: "أي لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينه أرباب الديانات من مواضع العبادات ولكنه دفع بأن أوجب ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات؛ فكانه قال: أذن القتال فليقاتل المؤمنون، ثم قوى هذا الأمر في القتال بقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ الآية؛ أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه، إذ قبل تحريفهم وتبديلهم، وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام إنما ذكرت لهذا المعنى، أي: فلولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ - المساجد "الهدمت" من هدمت البناء، أي نقضته فانهدم. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية".<sup>(١)</sup>

وإذا تركت الأمة المسلمة الجهاد فإن الله يسلط عليها العقاب والعذاب الذي تستحقه بفعلها ذلك قال تعالى: ﴿ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ [التوبة: ٣٩].

قال سيد قطب: "الخطاب لقوم معينين في موقف معين، ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله، والعذاب الذي يتهدهم ليس عذاب الآخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا. عذاب الذلة التي يعيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء،

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٤٧، مصدر سابق.

وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء".<sup>(١)</sup>

كما حذر النبي -ﷺ- من ترك الجهاد، قال -ﷺ-: "إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يدفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم".<sup>(٢)</sup>

فترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والآخرة، وسبب للذل والهوان ونزول البلاء بالأمّة واجتماع أمم الكفر عليها.

وروى أبو داود بسنده عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غناء كغناء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت".<sup>(٣)</sup>

لذا على المؤمنين أن يحرسوا على السير في ركاب الجهاد ويوقنوا أنهم أهل رسالة حقة، "والحق في حقيقته ثابت أنه حق لا يحتاج إلى أحد يحقه، أي يجعله حقا لأنه حق لكن الحق يحتاج إلى من يظهره بأنه حق إذا كان كل ما عدا الحق باطلا وضلالا، فإن الأصل الذي تقره العقول أن تتعاون البشرية كلها في إظهار الحق وهيمنته، وعلى طرد الباطل والضلال، لأن سعادة الخلق في ظهور الحق وهيمنته في الأرض وشقاءهم في ظهور الضلال والباطل و هيمنتها. ولو أن أغلب الناس ليس كلهم تعاونوا على إظهار الحق وطرد الباطل لاذابت القلة الضالة واضمحل شرها..، وإذا ظهر الحق على الباطل ظهرت معالم الإيمان بالله تعالى وغيره من أصول الإيمان وفروعه، فعبد الله حق عبادته، وانتفى اللبس عن العقيدة الإسلامية كلها..، وإظهار الحق على الباطل لا يحصل إلا بالقضاء على زعماء الباطل وكسر شوكتهم، وذلك لا يحصل إلا بجهادهم وقتالهم".<sup>(٤)</sup>

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٦٥٥، مرجع سابق.

(٢) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، دار العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣، ج ١٢، ص ٤٣٣ (١٣٥٨٥)، وبألفاظ فيها تقديم وتأخير في ج ١٢، ص ٤٣٢ (١٣٥٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود، دار الفكر، ج ٤، ص ١١١ (١١١)، وأحمد في مسنده، ج ٥، ص ٢٧٨ (٢٢٤٥).

(٤) عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله، ص ٥٥٦-٥٥٨، (باختصار) مرجع سابق.

ولننظر معا إلى هذا البيان الإلهي الرائع في الإشارة إلى ثبات الحق وأن الأصالة له في الحياة الإنسانية وبالمقابل زوال الباطل واضمحلاله وكونه لا أصل له، هذا البيان الإلهي المبني على قاعدة التشبيه و الذي تعجز أقلام أولي النهى والبلاغة عن التعبير عنه.

قال تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ [الرعد: ١٧].

قال القاسمي: "هذه الآية مثل ضربه الله للحق وأهله وللباطل وحزبه، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما. فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع، وبالمعونة وبالمعدن الذي ينتفعون به في صوغ الحلى واتخاذ الأواني والآلات المختلفة وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاءً ظاهراً. يثبت الماء في مناقعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار. وكذلك المعدن يبقى أزمناً متطاولة، وشبه الباطل في سرعان اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل وخبث المعدن. فإنه وإن علا وارتفع وانتفخ إلا أنه أخيراً يضمحل، وكذلك الشبهات والتمويهات الزائفة قد تقوى وتعظم إلا أنها في الآخرة تبطل وتضمحل وتزول ويبقى الحق ظاهراً لا يشوبه شيء من الشبهات، لأنه لا بقاء إلا للنافع، وما تصارع الحق والباطل إلا وفاز الحق بقرنه".<sup>(١)</sup>

ويحق للحق أن يبقى مؤصلاً جذوره في الحياة الإنسانية كلها، أما الباطل فلا بد أن يندحور وتمحي آثاره كأن لم يكن بإذن الله.

وهذا بيان إلهي يمايز بين هدف كل من الحق والباطل في صراعهما، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ [النساء: ٧٦].

قال الفخر الرازي: "أعلم أنه تعالى لما بين وجوب الجهاد بين أنه لا عبرة بصورة الجهاد بل العبرة بالقصد والداعي، فالمؤمنون يقاتلون لغرض نصره دين الله وإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت، وهذه الآية كالدلالة على أن كل ما كان غرضه في فعله رضا غير

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٤، ص ٤٤٣، مرجع سابق.

الله فهو في سبيل الطاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة؛ وهي أن القتال إما أن يكون في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتا".<sup>(١)</sup>

وحول هذا المعنى قال أبو حيان: "إن المؤمن هو الذي يقاتل في سبيل الله، وإن الكافر هو الذي يقاتل في سبيل الطاغوت، ليبين للمؤمنين فرق ما بينهم وبين الكفار ويقويهم بذلك ويشجعهم ويحرضهم، وأن من قاتل في سبيل الله هو الذي يغلب لأن الله هو وليه وناصره ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو المخذول المغلوب".<sup>(٢)</sup>

وإليك هذه الآية العظيمة التي تبين قوة الحق وعظمته وضعف الباطل وكونه هزيبا يمحقه الحق محقا، فهي آية تحمل بين جوانحها ما تحار نفس اللبيب في بيانه لعظيم قائلها. قال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ [الأنبياء: ١٨].

قال القاسمي: "من شأننا أن ندحض الباطل بالحق "فدمغه" أي يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية، "فإذا هو زاهق" أي هالك بالكلية، وقد استعير لارسال الحق على الباطل (القذف) الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة، ولمحقه للباطل (الدمغ) الذي هو كسر الشيء الرخو الأجوف وهو الدماغ، بحيث يشق غشائه المؤدي إلى زهوق الروح استعارة تصريحية تبعية".<sup>(٣)</sup>

فالحق هو أقوى وأصلب قذيفة يمكن أن يتصورها خيالك، فهل يصمد الباطل الرخو الأجوف أمامها؟!؟

قال سيد قطب: "والتعبير يرسم هذه السنة \_غلبة الحق وزهوق الباطل\_ في صورة حسية حية متحركة، فكأنما الحق قذيفة في يد القدرة تقذف به على الباطل فيشق دماغه فإذا هو زاهق هالك ذاهب.

هذه هي السنة المقررة؛ فالحق أصيل في طبيعة الكون، عميق في تكوين الوجود، والباطل منفي عن خلقه هذا الكون أصلا، طارئ لا أصالة فيه، ولا سلطان له، يطارده الله، ويقذف عليه بالحق فيدمغه. ولا بقاء لشيء يطارده الله، ولا حياة لشيء تقذفه يد الله فتدمغه!!

ولقد يخيل للناس أحيانا أن واقع الحياة يخالف هذه الحقيقة التي يقررها العالم الخبير، وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتقشا كأنه غالب، ويبدو فيها الحق منزويا كأنه مغلوب، وإن

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٤، ص ١٤٢، مصدر سابق.

(٢) محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص ٧١٢، مصدر سابق.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ج٥، ص ٤٥، مرجع سابق.

هي إلا فترة من الزمان، يمد الله فيها ما يشاء لمن يشاء للفتنة والابتلاء، ثم تجري السنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض، وقامت عليها العقائد والدعوات سواء بسواء.

والمؤمنون لا يخالجهم الشك في صدق وعده، وفي أصالة الحق في بناء الوجود ونظامه وفي نصره الحق الذي يقذف به على الباطل فيدفعه .. فإذا ابتلاههم الله بغلبة الباطل حيناً من الدهر عرفوا أنها الفتنة، وأدركوا أنه الابتلاء".<sup>(١)</sup>

ولذا يتاصل في عقول البشر أن الحق وأهله هم المنتصرون ولهم العلو في الأرض كلها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

"فالمرسل هو الله تعالى، والمرسل هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والهدى الذي دعا إليه هو الإسلام وهو دين الحق الذي لا حق سواه، والغاية من هذه الرسالة هي ظهور الإسلام على سائر الأديان، والمتعهد بذلك هو الله تعالى فهو الذي يمكن لهذا الدين ويظهره.

وكره الكارهين واقع من اليهود أو النصارى أو الشيوعيين أو البوذيين أو سائر فرق الكفر والضلال، وكل أولئك لا يردون قدر الله ولا يؤخرونه بل أمر الله ماض ماض، علمه من علمه وجهله من جهله، ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف: ٢١]."<sup>(٢)</sup>

فالاسلام هو الغالب كونه دين الحق، والمؤمنون بالله تعالى على دين الحق سائرون وفي سبيله يجاهدون؛ لذلك وعدمهم الله بالغلبة والعزة والنصر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

قال عبد الكريم الخطيب: "إن التدافع بين الناس، بين الخير والشر، بين الحق والباطل في كل موقع من مواقع الحياة، في كل متجه فيها، وعلى كل مورد من مواردها هو الذي يحرك دواليب العمل على هذه الأرض، ويبعث الحياة في كل جانب منها، ولو كان الناس متجهاً واحداً، ومنزحاً واحداً، لكانوا شيئاً واحداً، بل كانوا كتلة باردة متضخمة أشبه بجبل من الجليد لا تطلع عليه الشمس أبداً؛ فسبحان من خالف بين الناس فجعل من هذا التخالف مادة الحياة، ولولا ذلك لفسدت الأرض وضاع الناس ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ [البقرة: ٢٥١]."<sup>(٣)</sup>

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٣٧٢، مرجع سابق.

(٢) ناصر بن عبد الرحمن الخنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة، الرياض ١٩٩٦، ص ١٨٢.

(٣) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج١، دار الفكر، ص ٣١١.

إن صراع الحق والباطل إنما يسير وفق سنة ربانية لذا هو قديم قدم البشرية، وسبق ما بقيت البشرية، وأن هذا الصراع لا بد وأن تكون نهايته لصالح الحق وأهله، وهذا ما بينته الآيات القرآنية الكريمة وأشار إليه السياق القرآني بأبداع أساليب البلاغة والبيان والتي سيكون محور الحديث في الصفحات القادمة إن شاء الله.

### ثانياً: نصر المؤمنين سنة إلهية

إن من سنن الله تعالى في هذا الكون سنته في نصر عباده المؤمنين، هذه السنة التي لفت السياق القرآني العقل البشري لمعرفة والاطلاع عليها ومن ثم دراستها وأخذ العبرة من جريانها على الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فاتظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران: ١٣٧].

والنصر سنة ثابتة نافذة إلى يوم القيامة مهما أدلهم الخطب وحك ظلام الأمة وغسق ليلها؛ فلم تنزل أمة معطاءة رغم تكالب قوى الشر عليها، فبوارق هذه السنة لا بد وأن تلوح من ذلك الظلام مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر: ٥١].

قال الرازي: "حاصل الكلام أنه تعالى وعد بأنه ينصر الأنبياء والرسل وينصر الذين ينصرونهم نصره يظهر أثرها في الدنيا وفي الآخرة".<sup>(١)</sup>

وهذا ما أكده الزمخشري في قوله: "إن نصره الرسل في ضمان الله وضمن الله لا يخلف".<sup>(٢)</sup>

وقد أكد السياق القرآني هذه السنة في العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة: ٢١]. قال الطبري: "لأغلبن أنا ورسلي من حادني وشاقني".<sup>(٣)</sup> وهذا ما أشار إليه الخازن بقوله: "قضى ذلك قضاء ثابتاً".<sup>(٤)</sup>

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٩، ص ٥٢٣، مصدر سابق.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ج ٣، ص ٤٣٢، مصدر سابق.

(٣) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية، ج ١٢، ص ٢٥.

(٤) الخازن، لياب التأويل، ج ٤، ص ٢٦٤، مصدر سابق.

فالنصر وعد من الله سبحانه لعباده المؤمنين حيث تكفل بمعاونتهم على أعدائهم حتى يتحقق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

ووعده الله نافذ وعلى المؤمنين أن لا يألوا جهدا في مجاهدة الكفار أهل الباطل وليعلموا أن حسم الصراع بينهم وهم أهل الحق وبين الكافرين وهم أهل الباطل إنما يكون لصالحهم مهما بعدت الشقة وطال السفر، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

قال البخاري القنوجي: "هذا أخبار من الله سبحانه بأن نصره لعباده المؤمنين حق عليه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد".<sup>(١)</sup>

وقال أبو حيان: "وفي لفظ حقا مبالغة في التحتم وتكريم للمؤمنين".<sup>(٢)</sup> والله سبحانه خير من يؤدي الحقوق.

ويمضي السياق القرآني في تسجيل الهزيمة للكافرين بقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبئس المهاد﴾ [ال عمران: ١١٧]. قال ابن كثير: "قل يا محمد للكافرين ستغلبون في الدنيا وتحشرون يوم القيامة إلى جهنم وبئس المهاد".<sup>(٣)</sup> كما يبين السياق مضي هذه السنة وكونها ثابتة، فالمؤمنون هم الغالبون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يجدون وليا ولا نصيرا، سنة الله التي قد خلقت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

قال الطبري: "سننت فيهم الهزيمة، والخذلان...، ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغيرا، بل ذلك دائم للإحسان جزاءه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال".<sup>(٤)</sup> وقال البخاري القنوجي: "أي طريقته وعادته التي مضت في الأمم من نصر أوليائه على أعدائه"<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ

سنة الأولين﴾ [الأنفال: ٣٨].

(١) محمد صديق القنوجي البخاري، فتح البيان، ج ١٠، ص ٢٦١، مصدر سابق.

(٢) أبو حيان، البحر المحیط، ج ٨، ص ٣٩٨، مصدر سابق.

(٣) اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٧.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ١١، ص ٣٥٤، مصدر سابق.

(٥) البخاري القنوجي، فتح البيان، ج ٣، ص ١٠٩، مصدر سابق.

قال ابن الجوزي: "إن ينتهوا عن المحاربة يغفر لهم ما قد سلف من حربهم فلا يؤخذون به، وإن يعودوا إلى المحاربة فقد مضت سنة الأولين في نصر أوليائه.." (١)

وأكد الله سبحانه وتعالى هذه السنة في سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة: ٥٦].

"فمن يناصر دين الله بالإيمان به والتوكل عليه ويؤازر الله ورسوله والمؤمنين دون أعدائهم فإنه هو الفائر الناجي وهو الذي يحقق النصر والغلبة وعندها يتحقق نصر حزب الله وغلبتهم أي جماعة المؤمنين، ويكون المؤمنون هم الغالبون". (٢)

فحينما نصر الله المؤمنين لا تستطيع قوة من قوى الشر أن تتكالب فتغلب المؤمنين وتنتصر عليهم لأن الله سبحانه غالب على أمره، قال تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران: ١٦٠].

"فما صدر من النصر أو الخذلان إنما هو راجع إلى لما يشاء، وأنه متى نصركم لا يمكن أن يغلبكم أحد، ومتى خذلكم فلا ناصر لكم فيما وقع لكم من نصر، أو بكم من الخذلان كيومي بدر وأحد، فبمشيئته". (٣)

ونصر المؤمنين أمر حتمي الوقوع ولازم من غير وجود أدنى شك أو ريب في ذلك كونه وعد من الله سبحانه من جهة، ﴿أن الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ٩]. ولكون النصر تكمن فيه إرادة المولى سبحانه من نصرة دين الإسلام وجعل الأرض كلها مهذا ليمد ظلاله في أرجائها فتكون الأمة المسلمة هي الأمة الظاهرة لأعمار هذا الكون، قال تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ [النور: ٥٥].

(١) عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير، ج٣، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٥٧.

(٢) عبد الحميد كشك، في رحاب التفسير، المكتب المصري الحديث، ج١، ص ٧٢٤.

(٣) أبو حيان، البحر المحیط، ج٣، ص ٤١٠، مصدر سابق.



وفي بيان ذلك قال الشنقيطي: "ولا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة وإتياء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فليس لهم وعد من الله بالنصر لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر بناء على أنه وعدهم إياه فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع عن عمل ما أجر عليه ثم يطالب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له".<sup>(١)</sup>

فالإيمان بنصر الله أمر واجب بل هو من العقيدة ولا يزلن الشيطان قلب مؤمن بالشك في هذا النصر، فيدخل المرض إليه وحينئذ يدخل دائرة واسعة هي العلاج والدواء، فليكن القلب مؤمناً ثابتاً أن النصر للمؤمنين منذ البداية وهذا يشكل أساساً في نزول النصر وتحققه.

أما ما يمر على الأمة المسلمة من ضيق وشدة بسبب تأخر نزول النصر ومجيئه فهو أمر غير مستغرب؛ لأن النصر سنة إلهية أي له طريق لا بد وأن يسلكها المؤمنون حتى ينالوه فلا يعتمدوا على كونهم مؤمنين دون الأخذ بالأسباب، وعليهم أن يعلموا يقيناً أن وعد الله حق وأن النصر آت، لا محالة مهما تأخر، وقد قيل كل ما هو قريب آت، فلا تداخلكم الوسواس والشكوك مهما طال الجهاد فإن النصر للحق وأهله، إلا أن النفس البشرية جبلت على استعجال السنن بشتى أنواعها، فهي تحرص أن تجني ثمر ما تزرع وبأقل الخسائر، وأن يحتط بطرفي التجربة الذي تحياها، قال تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل ساوريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ [الأنبياء: ٣٧]. قال الزمخشري: "إنكم مجبلون على ذلك \_ أي العجلة \_ وهو طبعكم وسجيتكم".<sup>(٢)</sup>

وهذه العجلة هي التي دفعته لاستعجال سنة النصر كغيرها من السنن، وإنما ينتزل النصر في زمن محدود أراه الله سبحانه وشاءه، والله حكمة في ذلك وهو بالغها، قال تعالى: ﴿أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

وفي بيان ذلك قال الشيخ زاده: "قد أزعجوا أزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتتأهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال النصر \_ متى نصر الله \_ استبطاء له

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٥، ص ٧٠٣، مرجع سابق.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٥٧٢، مصدر سابق.

لتأخره فإن زمان الشدة وإن قصر فهو طويل في عين المبتلى بها فلا محالة أن يستبطن النصر، فأجابهم الله تعالى: ألا إن نصر الله قريب، أي أنا ناصر أوليائي لا محالة ونصري قريب منهم.

والسؤال كان عن زمان النصر أقرب هو أم بعيد؟ ولو كان السؤال عن وقوع أصل النصر بمعنى أنه يوجد النصر أو لا لما كان الجواب مطابقاً للسؤال<sup>(١)</sup>.

ولأبي حيان الأندلسي بيان لطيف في هذه الآية قال: "متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب"، متى سؤال عن الوقت، فقيل ذلك على سبيل الدعاء لله تعالى والاستعلام لوقت النصر، فأجابهم الله فقال الله: ألا إن نصر الله قريب.

وقيل: ذلك على سبيل الاستبطاء، إذ ما حصل لهم من الشدة والابتلاء والزلال هو الغاية القصوى، وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام، فقيل ذلك إجابة إلى طلبهم من تعجيل النصرة. والذي يقتضيه النظر أن تكون الجملتان داخليتين تحت القول، وإن الجملة الأولى (متى نصر الله) من قول المؤمنين؛ قالوا ذلك استبطاء للنصر وضجراً لما نالهم من الشدة، والجملة الثانية (ألا إن نصر الله قريب) من قول رسولهم إجابة لهم، وإعلاماً بقرب النصر، فتعود كل جملة لمن يناسبها<sup>(٢)</sup>.

"وفي جعل لفظ الفاصلة (قريب) سوق عاجل البشرى بالنصر للمؤمنين..، فكانت هذه الفاصلة دواء وبلسماً شافياً، شفت القلوب، وأسعدت النفوس، وجعلت كل مؤمن يتطلع إلى ربه ويتقرب نفحات نصره، بل إنها تجعل ما يصيب المؤمنين من بأساء وضراء وزلزلة نفسية من إمارات نصر الله الموعود ومقدمات لقرب وقوعه، فتتفاعل النفوس المؤمنة بها على الرغم من حرارتها"<sup>(٣)</sup>.

وفي ساحة استبطاء البشر مجيء النصر قال تعالى: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ (يوسف: ١١٠).

فتأخر النصر إنما هو طرف من سنة الابتلاء، فلا يكون النصر إلا بعد الشدة والضيق حتى يبلغ كل مبلغ حينئذ يأتي نصر الله تعالى.

(١) الشيخ زادة، حاشية الشيخ زادة على البيضاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٥١٢.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٣٧٤، مصدر سابق.

(٣) ناصر بن عبد الرحمن الخنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص ٧٤، مرجع سابق.

قال سيد قطب: "تلك سنة الله في الدعوات، لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب حتى لا تبقى بقية من جهد ولا تبقى طاقة ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلّق بها الناس يجيء النصر من عند الله، ذلك كي لا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً. ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعباً، فإنما هي قواعد للحياة البشرية، ومناهج ينبغي صيانتها وحراستها من الأذى، والأذى لا يحتملون تكاليف الدعوة لذلك يشفقون أن يدعوها، فإذا ادعوا عجزوا عن حملها وطرحوها، وتبين لهم الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون الذين لا يتخلون عن دعوة الله، ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة".<sup>(١)</sup> وقد بين صاحب الظلال حكم تأخر النصر عن المؤمنين أجملها بما يلي: (٢)

١. لأن بنية الأمة المؤمنة لم تتضح بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفظ كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلاً!

٢. لكي تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، و آخر ما تملكه من رصيد فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً، لا تبذله هينا رخيصاً في سبيل الله.

٣. لكي تجرب الأمة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من عند الله لا تكفل النصر، إنما ينتزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها تكل الأمر بعدها إلى الله.

٤. لكي تزيد الأمة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل، ولا تجد لها سندا إلا الله ولا متوجهاً إلا إليه وحده في الضراء وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على المنهج بعد النصر عندما يتأذن به الله، فلا تطغى ولا تتحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله.

٥. لأن الأمة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحقّقه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلابسه.

٦. لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحص خالصاً، ويذهب وحده هالكا، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٠٣٦، مرجع سابق.

(٢) المرجع ذاته، ج ٤، ص ٢٢٢٦

٧. لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماما، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تتكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريا للناس ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية.

٨. لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار. فيظل الصراع قائما حتى تنتهي النفوس من حوله لاستقبال الحق الظاهر، ولاستبقائه.

من أجل هذا كله ومن أجل غيره مما يعلمه الله قد يبطن النصر فتتضاعف التضحيات وتتضاعف الآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية".

إن سنة النصر تتحقق في ظل سنة الابتلاء، فسنن الله متوافقة ومتلائمة يردف بعضها بعض ويكمل بعضها بعض، وانتصار الحق وأهله لا يمكن أن يتم دون وجود صراع وتدافع مع الباطل وأهله، وهو من ابتلاء الخلق ببعضهم، فإن الحياة تفسد وتركد بدون هذا التدافع قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. قال المراغي: "أي ولولا دفع الله أهل البغي والجور والآثام بأهل الصلاح والخير لغلب أهل الفساد وبغوا على الصالحين، وأوقعوا بهم وصار لهم السلطان في الأرض، فكان من رحمة الله بعباده وفضله عليهم، أن أذن للمصلين بقتال البغاة المفسدين وهو سبحانه جعل أهل الحق حربا لأهل الباطل، وهو ناصرهم ما نصره وأصلحوا في الأرض".<sup>(١)</sup>

وكل ما يلحق بالمؤمنين من هزيمة على أيدي الكافرين إنما هو حدث عابر وليس حدث ثابت يكمن وراءه حكمة أرادها المولى عز وجل، فالهزيمة كما وردت في السياق تمحيص للصف المؤمن وتخليص للنفوس من كل داء، فلا يغرنك غلبة الكفار حيننا من الدهر وتقلبهم في البلاد.

تتعاقب الشدة والرخاء محك لا يخطئ وميزان لا يظلم، والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ولا تستخفها السراء وتتجه إلى الله في الحالين، والابتلاء بالهزيمة المريرة بعد الابتلاء بالنصر وأن يكن هذا وهذا قد وقعا وفق أسبابهما ووفق سنن الله الجارية في النصر والهزيمة لتتعلم الجماعة المسلمة أسباب النصر وأسباب الهزيمة والتعرف على هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين".<sup>(٢)</sup>

(١) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج ١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ص ٣٧٤.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤٨١، مرجع سابق.

فالنصر والهزيمة وتعاقبهما على الأمة المؤمنة إنما هو سنة من سنن الله تعالى وهذا ما بينه المراغي بقوله: "إن مداولة الأيام سنة من سنن الله في المجتمع البشري، فمرة تكون الدولة للمبطل، وأخرى للمحق، ولكن العاقبة دائما لمن اتبع الحق.

وإنما تكون الدولة دائما لمن عرف أسباب النجاح ورعاها حق رعايتها كالأنفاق وعدم التنازع والثبات وصحة النظر وقوة العزيمة وأخذ الأهبة وأعداد ما يستطيع من القوة فعليكم أن تقوموا بهذه الأعمال وتحكموها أتم الإحكام حتى تظفروا وتفوزوا، ولا يكن ما أصابكم من الفشل مضعفا لعزائمكم فإن الدنيا دول".<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال الرازي: "قال الزجاج: معنى الآية أن الله تعالى جعل الأيام مداولة بين المسلمين والكافرين فإن حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين، وإن كانت الغلبة للمؤمنين على هؤلاء الكافرين كان المراد محق آثار الكافرين ومحوهم، فقابل تمحيص المؤمنين بمحق الكافرين، لأن تمحيص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك بإهلاك أنفسهم، وهذه مقابلة لطيفة في المعنى".<sup>(٢)</sup>

وأشار الألويسي إلى حال الكافر عندما تلحق الهزيمة بالمؤمنين فقال: "إنه تعالى لا ينصر الكافر على الحقيقة، وإنما يغلبه أحيانا استدراجا له، وابتلاء للمؤمن، وأيضا لو كانت النصر للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليمين والفأل والمقصود غير ذلك".<sup>(٣)</sup>

إن الأمة تتراوح في حياتها بين أمرين: إما النصر أو الهزيمة، ففي حالة النصر تزيد ثقة الأمة بنفسها وتحيا نشوة النصر ولذاته حينئذ يجب أن تكون شاكرة لله متواضعة له سبحانه وتتعلم كيف تحمي هذا النصر وتصون حرزه.

وعليها أن تميز حين يكون النصر نعمة وحين يكون النصر ابتلاء، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالبشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء: ٢٣٥]. "أي نبتليكم ونختبركم بالبلايا والنعيم، أو بالمحسوب

(١) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ٢، ص ٦٦، مرجع سابق.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٣٧٤، مصدر سابق.

(٣) شهاب الدين محمود الألويسي، روح المعاني، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩، ج ٤، ص

والمكروه، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقير، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، اختباراً وامتحاناً لنعلم أتصبرون وتشكرون أم لا".<sup>(١)</sup> والابتلاء بالسراء أصعب وأشد على النفس من الابتلاء بالضراء.

وعندما تعيش الأمة الهزيمة ينبغي لها أن تميز بين أمرين، عندما تكون الهزيمة ابتلاء قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [المنكوت: ٢]، وبين أن الهزيمة عقاب من الله قال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن تيمية: "قد يصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم لا بما أطاعوا فيه الله ورسوله، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم لله ورسوله ﷺ".<sup>(٢)</sup> ولا شك أن هذا التميز يتطلب دراسة واعية لسنن الله سبحانه.

وعندما تعيش تكون الهزيمة ضمن دائرة الابتلاء لا بد وأن تكون لها حكم عديدة، وقد ورد كثير منها في سياق الآيات؛ فمن هذه الحكم التثبيت وزرع الطمأنينة، فالله سبحانه لا يريد بالعباد إلا الخير، ففي ابتلاء الهزيمة خير وحكم من خلالها يظهر الطائع والعاصي قال تعالى: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ومن خلال الهزيمة يعرف الانسان مدى ما يملك من قدرات ومدى تحمله فيعرف حقائق هذه الحياة.

"وكثيراً ما يجهل الانسان نفسه ومخابئها ودروبها ومنحنياتنا وكثيراً ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها وحقيقة ما استكن فيها من رواسب لا تظهر إلا بمثير، ولقد يظن الإنسان في نفسه القدرة والشجاعة ثم إذا هو يكشف على ضوء التجربة العملية وفي مواجهة الأحداث الواقعية أن في نفسه عقابيل لم تمحص، وأنه لم يتهيأ لمثل هذا المستوى من الضغوط التي تقتضيها طبيعة هذه الدعوة وعلى مستوى التكاليف التي تقتضيها هذه العقيدة".<sup>(٣)</sup>

(١) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٩١، ج ١٧، ص ٥٤.

(٢) تقي الدين ابن تيمية، الحسنة والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤٨٢، مرجع سابق.

والهزيمة شدة لا ريب في ذلك، فهي كأس تتجرعه الأمة، "والشدائد هي التي تميز قسوي الإيمان من ضعيفه، وتزيل الالتباس بين الصادقين والمنافقين..، وفي الشدائد من الفوائد الشيء الكثير منها:

١. اتقاء المنافق إذا علم نفاقه، فقد يفضي صادق الإيمان ببعض أسرار الملة إلى المنافق، لما يغلب عليه من حسن الظن به، حين يراه يؤدي الواجبات الظاهرة، ويشارك الصادقين فسي سائر الأعمال، فإذا هو أفشاها عرف حاله وحذره المسلمون الصادقون.

٢. أن تروى الجماعة حالها، إذ بتكشف أمر المنافقين تعرف أنهم عليها لا لها، وكذلك تعرف حال ضعاف الإيمان الذين لم تربهم الشدائد.

٣. أن تدفع الغرور عن النفس، إذ يغتر المؤمن الصادق فلا يدرك ما في نفسه من ضعف في الاعتقاد والاخلاق حتى تمحصه الشدائد وتبين له حقيقة أمره".<sup>(١)</sup>

والهزيمة تكشف عن الفطرة فتعريها مما يلجأها إلى الله سبحانه لآنذة برحمته داعية أن يكشف ما حل بها، قال تعالى: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ [النحل: ٥٣]، فالشدائد ترجع نفوس البشر إلى ربهم تائبين، قال تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وبالهزيمة تقدر الأمة قيمة النصر فتعمل جادة على حمايته، وقيمة الأشياء تعرف بأضدادها، ولا تعرف الأمة قيمة النصر حتى تعيش الهزيمة وحرمان النصر.

وكون الهزيمة ابتلاء يستلزم الصبر والتقوى والاستعانة بالله سبحانه حتى تتكشف عن المؤمنين بأقل الخسائر، فهي وإن ألحقت بالأمة خسائر فلن يكون أثرها عميقا يصل إلى حد القضاء على الأمة بشكل نهائي، وإنما هو في النهاية مجرد ألم وأذى يصيبهم ذاهب مع الأيام، قال تعالى: ﴿إن تكونوا تآلمون فإنهم يآلمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء: ١٠٤].

إن أهل الباطل يتآلمون لما يصيبهم من حربهم للمؤمنين ورغم ذلك يصبرون ويثبتون وهم على الباطل والمؤمنون أحق بهذا الصبر من أولئك، فعليهم أن لا يهنوا في لقاء عدو الله وعدوهم وأن يشدوا من عزمهم وهمتهم.

(١) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ٢، ص ١١٧.

قال المراغي: "إن ما ينالكم من الآلام تتألمهم منه مثله فهم بشر مثلكم، وهم مع هذا يصبرون فما لكم لا تصبرون وأنتم أولى منهم بالصبر؟

وإن ما في القتال من الألم والمشقة يستوي فيه المؤمن والكافر، ويمتاز المؤمن بأن له من الرجاء في ربه ما ليس عند الكافر، فهو يرجو منه النصر والمعونة ويعتقد أنه قادر على إنجاز وعده، كما يرجو منه المثوبة على حسن بلائه في سبيله وقوة الرجاء تخفف الآلام وتنسيه التعب والنصب".<sup>(١)</sup>

"روي أن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل -جبل أحد- ثم صرخ بأعلى صوته انعمت فعال - نعم الفعل-، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعل هبل -أي أظهر دينك-، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجبه فقل: الله أعلى وأجل لا سواء، قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار".<sup>(٢)</sup>

وحيثما تلحق الهزيمة بالأمة المسلمة لا يعني هذا أن الكفار هم المنتصرون وإنهم يستحقونه لا؛ لأن نصر الله عزيز والكفار لا يستحقونه، لذا ينبغي أن يحول النظر إلى جهة المحنة والشدة، أي أنه تارة سبحانه يشدد البلاء على المؤمنين وتارة يشدده على الكفار وبين الفخر الرازي هذا بقوله: "إن نصرة الله منصب شريف وإعزاز عظيم، فلا يليق بالكافر، بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين والفائدة فيه من وجوه:

الأول: أنه تعالى لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الإضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل، ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلب الله المحنة على أهل الإيمان، وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكاف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله.

والثاني: أن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي، فيكون عند الله تشديد المحنة عليه في الدنيا أدبا له وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضبا من الله عليه.

(١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٠٤، (اختصار).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧٠.



والثالث: وهو أن لذات الدنيا والآمها غير باقية وأحوالها غير مستمرة، وإنما تحصل السعادات المستمرة في دار الآخرة، ولذلك فإنه تعالى يميت بعد الإحياء، ويسقم بعد الصحة، فإذا حسن ذلك فلم يكن يحسن أن يبذل السراء بالضراء، والقدرة بالعجز".<sup>(١)</sup>

إن النصر في النهاية يكون لعباد الله المؤمنين وعدا من مولاهم الحق، وما حالة الهزيمة التي يعيشها المؤمنون وحرمانهم من النصر إلا أمر طبيعي له أسبابه التي يريدنا الله عزوجل وحكم مقصودة من ذلك وقد أوردها ابن قيم الجوزية في زاد المعاد أجملها فيما يلي:

١. "أنهم لو انتصروا دائما، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتصر عليهم دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق، وما جاؤوا به ممن تبعمهم على الظهور والغلبة خاصة.

٢. استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون ويكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون ويكرهون، فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

٣. إنه سبحانه لو نصرهم دائما، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدا، لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء، والشدة والرخاء والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته.

٤. إنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة، ذلوا وانكسروا، وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آية عمران: ١٢٣]، فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجبره، كسره أولا، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره.

٥. إنه سبحانه هيا لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيبها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحاناه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

٦. إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا، وركونا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٣٧٢، مصدر سابق.

كرامته، قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب لسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدوية منه، ولو تركه لغلبته الأدوية حتى يكون فيها هلاكه.

٧. إن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصة والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.

٨. إن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم وقتالهم والتسليط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محققهم وهلاكهم.<sup>(١)</sup>

ورغم الهزيمة عباد الله هم الغالبون المنتصرون قال تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصفات: ١٧٣]، غالبون مع كل ما يلحقهم من أذى، هذا الأذى الذي لا يمكن أن يشكل سحقا للأمة وتفتيت لكيانها بل يشكل عنصرا مساعدا في تقويتها وسيرها على جادة الدرب بوعي.

وما الهزيمة التي تعيشها الأمة المسلمة في هذا العصر إلا نتيجة لتكبتها من منهج الله سبحانه، لذا يجب عليها أن تراجع نفسها وتعيد حساباتها، وتتعرف إلى مزالق قدمها، وتحاول أن تخرج من هذه الهزيمة بعودتها للسير على سنن الله سبحانه محتفظة برصيد يكون عاملا في تقويتها حين الضعف، فلا تنسى درس الهزيمة، وعليها أن تحرص أن لا تدخل دائرة الحزن والمهانة بسبب تلك الهزيمة لأنها إنما وقعت وفق سنة الله فعلينا أن نتبصر بسنته فتسير على الجادة حتى يكرمها الله بالنصر العزيز، قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قال القاسمي: "لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم والحال إنكم الأعلون الغالبون على عدوكم، فإن مصيرهم إلى الدمار حسبما شاهدتم في عاقبة أسلافهم".<sup>(٢)</sup>

(١) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج ٤، ص ٢٦٤ - ٢٦٧، (باختصار) مرجع سابق.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٢، ص ٢٤٠، مرجع سابق.

فالهزيمة عابرة تدل على تقصير المؤمنين في الصبر والتقوى وأن هناك خلل في إيمانهم بالله سبحانه منبثق عن تقصيرهم في طاعته سبحانه وتخلّفهم عن الأخذ بشريعته في سائر جوانب حياتهم، لذا لا بد لهم من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله بعد الاستقامة على منهجه ومواكبة سنن الحياة، وسنة النصر كغيرها من السنن الثابتة التي أرساها الله في الاجتماع البشري فما على المؤمنين إلا أن يسيروا على الدرب ويسجدوا لله ناصرهم لا شك في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]. قال الرازي: "وعد بالنصر لمن هذه حاله ونصر الله تعالى للعبد أن يقويه على أعدائه حتى يكون هو الظاهر ويكون قائماً بإيضاح الأدلة، والبيانات، ويكون بالإيمان على المعارف والطاعات، وفيه ترغيب في الجهاد".<sup>(١)</sup>

وعلى المؤمنين أن يؤديوا تكاليف النصر وتضحياته ليتنزل عليهم النصر، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

تقد رتب تعالى نصره لعباده وثبّيت أقدامهم عند لقاء الأعداء على نصرهم لدينه وتنفيذهم أوامره واجتنابهم نواهيه وهكذا تتحقق سنة الله تعالى في نصر العباد، فمن لزمها ظفر بالنصر ومن تجنبها وجد نتيجة فعله من الهزيمة والذل والخذلان، كما هي حال كثير من بلدان المسلمين في هذه الأزمات".<sup>(٢)</sup>

قال الشنقيطي: "معلوم أن نصر الله إنما هو باتباع ما شرعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ونصرة رسله واتباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته جل وعلا هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى".<sup>(٣)</sup>

وإن ما يراه المؤمنون في هذا العصر من جولة الباطل وأهله وانتفاشه مزهوا بقوته التي سرعان ما تتداعى لأول هبة إعصار، فلا يغتروا بذلك ولا يصغوا لأعدائهم في بثهم روح اليأس والقنوط من نصر الله سبحانه، وأن الأمة المسلمة أمة انتصرت في سالف العصور وبنيت حضارة وسادت بهذا النصر ثم بادت وأنها لن تقوم لها قائمة بعدها. بل يسلكون لإثبات هذا مسالك عدة يصبغونها بصبغات علمية وفكرية متعددة، فهم يحرصون على أن يدكوا كل قائمة تقوم في نفوس المؤمنين لإحراز النصر فتجدهم يجندون الجنود ويقومون بالحروب النفسية متعددة الاتجاهات ضد الأمة المسلمة منفقين الأموال الباهظة من أجل أن يحموا من كل نفس مؤمنة أي

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٨، ص ٢٣٠، مصدر سابق.

(٢) ناصر بن عبد الرحمن الخنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص ٢٦٥، مرجع سابق.

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٥، ص ٧٠٢، مرجع سابق.

أمل بالنصر مهما خبا وخفت نوره، بل يحرصون على محو ذلك حتى من خيال المؤمن فلا يتخيل نصر الله لأمته ولا يخطر لخياله هذا خاطر.

وهم بعد ذلك نادمون لا محالة فلينتظروا إنا معهم منتظرون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون حسرة عليهم ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [الأنفال: ٣٦].

هيات أن يتم لهم ذلك لأن كل من سار بدرج الجهاد في سبيل الله عرف زيف هذه القوة وبطلانها قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

"إن القائل مع أنه واحد أو جماعة من الناس إلا أنه قد ذاع وشاع وأصبح حديث الناس وقيلهم، فكان الناس في صف والجماعة المؤمنة في صف آخر ترشقهم سهام الأرجاف، وتقرع أسماعهم كلمات التخذيل وإشاعات التهاويل لشأن العدو في عدده وعدته؛ ولهذا اسند هذا القول وجعل فاعله هم الناس. ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ إن إيمانهم بالله تعالى وثقتهم به وبنصره قد استولى على قلوبهم وملك عليهم مشاعرهم وصار من ظهور ذلك ووضوحه أن الآخرين من كفار أو مرجفين يدركونه ويلحظونه في عبارات المؤمنين وفي طاعتهم لربهم وفدائهم نبههم بالغالي والنفيس؛ ولذلك فقد وكلوا أمرهم إلى الله تعالى فهو حسبهم ونعم الوكيل..، وكان عاقبة تفويض أمرهم إلى الله تعالى أن جازاهم بنعمته وفضله وسلامتهم واتباعهم رضاه". (١)

فليكن كل مؤمن بالله عز وجل على ثقة بأن النصر يحالفه وإخوانه المسلمين لأنهم أهل حق وسائرون في ركابه مهما تكالب أهل الباطل وتعاضدوا وتظاهروا على المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

(١) ناصر بن عبد الرحمن، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص ٢٦٥، مرجع سابق.

روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم تحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير بالراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".<sup>(١)</sup>

فسنة النصر تتحقق في ظل سنة الابتلاء، وفي الحديث بشارة لكل موحد أن النصر المؤزر المبين لعباد الله الصالحين فليثبتوا على منهجه وليحذروا التكب عن طريق الحق ولا يظنوا بمولاهم إلا الخير.

قال ابن القيم الجوزية: "فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره ولا يؤيده، ويؤيد حزبه، ويعليهم، ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يدبيل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحل لا يقوم بعده أبداً، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونصرته، فإن حمده وعزته، وحكمته وإهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة، والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله".<sup>(٢)</sup>

(١) رواه البخاري: ج٣، ص ١٣٢٢، ص ١٣٩٨ (٣٤١٦).

(٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج٤، ص ٢٧٣، مصدر سابق.

## الباب الثاني

الآيات الواردة في أسباب نصر المؤمنين ، أقسام النصر، وأهميته  
وأثره في حياة الأمة المؤمنة

## الفصل الأول

### الآيات الواردة في أسباب نصر المؤمنين

## المبحث الأول: الآيات الواردة في الأسباب المادية لنصر المؤمنين

لنصر المؤمنين أسباب مادية وأسباب معنوية، تحدث الله عنها سبحانه في كتابه الذي أنزله هدى وبشرى للمؤمنين، وسار النبي ﷺ على نهج هذه الأسباب مؤتماً بأمر ربه فقدم الانجازات الضخمة والجليلة التي بنت كيان الأمة المسلمة ثم حافظت عليه رداً طويلاً من الزمان، وما تلك الانتصارات البناءة في تاريخ الأمة الزاهر إلا نتاجاً لتحقيق أسباب النصر بشقيها: المادي الذي يدرك بالحواس، كالأسلحة والجنود والمال وغيرها، والمعنوي الذي لا تتركه الحواس، كصدق التوكل، والصبر والمصابرة وغيرها، وكلا من هذين الشقين يمثلان ركناً ركيناً في تحقيق النصر الذي يحفظ للأمة كيانها واستقلالها وعزتها، لذا أوجب الله سبحانه على المؤمنين بذل السعة والطاقة لتحقيق هذه الأسباب حتى ينالوا النصر العزيز، واليك هذه الأسباب مبتدئة بالأسباب المادية لقرب إدراك الحواس لها ثم متبعة إياها بالأسباب المعنوية.

### □ أسباب نصر المؤمنين المادية:

#### أولاً: اعداد القوة الضاربة

ويقصد به اعداد جميع أنواع الأسلحة الحربية المتاحة، سواء كانت جوية أو برية أو بحرية وما يتبعها من تحصينات عديدة للدفاع عن الأنفس والأوطان والأموال. قال تعالى: ﴿وَأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون﴾ [الأنفال: ٦٠]. "والإعداد مرحلة في غاية الأهمية بالنسبة للأمة ومدى التهيؤ والاستعداد يحكم بقرب النصر وبعده فالأمة التي تستغل كل فرصة في حياتها فتعد وتبذل قصارى جهدها ينبغي أن تتفاعل بالنجاح والنصر لأنها أخذت بالاسباب الموصلة اليه، والأمة التي يصيبها الحبوط والكسل وتترهل فلا تُعد ولا تستعد لنزال اعدائها وتتوانى عن حشد كل طاقاتها وقدراتها لا تلومن إلا نفسها إذا مُنيت بالهزائم الساحقة، وأصبحت نهياً لكل طامع فاستتيحت أراضيها ودنست مقدساتها، وخيم عليها البلاء الذي لا يرفع إلا إذا فاعت إلى رشدها فأعدت واستعدت



لغسل العار، والله سبحانه أوجب على المؤمنين أن يقاتلوا المشركين كافة وهذا الواجب يستوجب الأعداد التامة والتهيؤ الشامل للقتال قبل وقوعه. (١)

والحق لا يمكن أن تقوم له قائمة ولا يمكن أن يسود دون قوة تحميه وتتفاح عنه، "فالسيادة والقيادة للأمة الإسلامية لن تتأتى ولن توجد بدون هذه القوة والسيطرة والغلبة والسطوة، والأمة المسلمة يريد لها الله أن تكون قوية حتى تستطيع وتتمكن من أداء الرسالة التي أوجبه الله عليها وهي الدعوة الإسلامية وإقامة شريعة الله في العالم بأسره.

أن الدعوة الإسلامية وتطبيق شريعة الله لا بد لها من قوة تحميها وتحفظهما وتضمن بقاءهما، ولتردع من تسول له نفسه انتهاك أي منها". (٢)

فالاعداد واجب على الأمة المسلمة، وبتأمل آية الأنفال السابقة نجد ما يلي:

أ. "إن الأمر الإلهي الصادر إلى الأمة الإسلامية من خلال الكتاب الكريم هو أمر يتميز بالاستمرارية والأبدية، وأن التهاون في تنفيذ هذا الأمر يعني أن الأمة الإسلامية معرضة لآخطار كثيرة خصوصاً أن الأعداء كثيرون منهم من هو منظور، ومنهم غير منظور الذين لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى.

ب. أن الآية الكريمة تدعونا إلى تطبيق مفهوم الردع القائم على إرهاب العدو وذلك بالأعداد الدائم والمتنامي المستمر للقوة، وحيث يستوي في ذلك من مارس العداء للإسلام في السر والعلن أو في السر فقط.

ج. أيضاً تدعونا للحصول على المبادأة في العمل القتالي، والمحافظة عليها، والأمر هنا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى ما تتمتع به القوة المسلمة من كفاءة لرفع درجة استنفارها القتالي. (١)

وارهاب العدو يفيد في أمور كثيرة:

"أولها: أنهم لا يقصدون دار الإسلام.

ثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية.

(١) محمد أبو فارس، المدرسة النبوية العسكرية، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان ١٩٩٣، ص ١٠٦ باختصار.

(٢) السيد أبو عطية، النظرية العامة للجهاد، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ص ٩٤.

وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان.

ورابعا: أنهم لا يعينون سائر الكفار.

وخامسها: أن يرهبوا جانب المسلمين إذا ما فكروا في البدء بالعدوان<sup>(٢)</sup>. وفي اعداد القوه الضاربة يتمثل عامل قوي وركين في تحقيق نصر عباد الله المؤمنين وقد فسر النبي ﷺ لفظ القوة الواردة في الآية الكريمة فقال: "ألا أن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي".<sup>(٣)</sup>

وقال ﷺ: "أرموا بني اسماعيل فإن إياكم كان راميا وارمو وأنا مع بني فلان، فامسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال: وما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ: "أرمو فانا معكم كلكم".<sup>(٤)</sup>

وفي تفسير النبي ﷺ القوة بالرمي معجزة له، "فالتقدم العلمي الذي بلغ مداه في هذا العصر، يعتمد دقة الرمي أساسا فالمدافع والدبابات والطائرات والصواريخ كلها تتطلب الدقة في الرمي، وعلم الرمي يحتاج إلى علوم شتى، كالتبوغرافيا والأرصاء الجوية ... الخ.

وكالعلوم التي تتعلق بطبقات الجو وبسير المقذوف والأجهزة اللازمة للقياس، وكالعلوم البلاستيكية والعلوم الرياضية العالية - من زوايا واحتمالات - وكل ما يتعلق بالانحراف الناجم عن دوران الأرض والجاذبية ... الخ<sup>(٥)</sup>

ولهذا نبه النبي ﷺ إلى خطورة تعلم الرمي واتقانه ثم تركه لأن هذا يشكل عاملا لضعاف المسلمين بدل استمرارية التقوية والاعداد .

"وأما التدريب على السلاح فيدخل في عموم الآية السابقة أيضا، ويدخل فيه التدريب على جميع أنواع الأسلحة من رماية وطيران وغيرها، وتعلم الأساليب العسكرية ودراسة الخطط العسكرية في الدفاع والهجوم ونحو هذا"<sup>(٦)</sup>

(١) مصطفى أحمد كمال، اعداد الجيش في عهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ص ٥٢.  
 (٢) عثمان السعيد الشراقي، شريعة القتال في الإسلام، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء القاهرة، ص ١٧٦.  
 (٣) رواه البخاري، ج ٣، ص ١٠٦٢ (٢٧٤٣)، ج ٣، ص ١٢٣٤ (٣١٩٣).  
 (٤) رواه مسلم في صحيحه، ص ١٥٢٢ (١٩١٩)، و رواه ابن ماجة في سننه، ج ٢، ص ٩٤٠ (٢٨١٤)،  
 (٥) محمد سعيد غيبة، مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار المكتبي، ١٩٩٦، ص ٤٣.  
 (٦) محمد نعيم ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، دار النفائس، الكويت، ١٩٩٩، ص ١٠٥.

"والسلاح يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال ولئن كان السيف والرمح كافيين في القتال فيما مضى فقد كثرت اجناس السلاح وانواعه واصنافه في هذا الزمان فمنه البري والبحري والجوي ولكل منها مراكبه وسفائنه وطائراته وحاملاته التي تنقل الجند والعتاد والذواد والسلاح وغير ذلك. (١)

"وعلى الأمة أن تسعى للاعداد والحصول على أنواع القوة المختلفة واستخدام الأسلحة ينم مدى المستوى العلمي الذي وصلت اليه الأمة". (٢)

وهذه القوة تمثل وسيلة ارباب للاعداء الظاهرين وغير الظاهرين، ووسيلة وقاية كالتسلح النووي بين الدول الكبيرة في هذا العصر، فهو وسيلة ردع ووقاية، فالسعي ورائه ليس لاجل استخدامه لان فيه فناء للطرفين.

يقول المراغي: "أن تكثير الآت الجهاد وادواتها كما يرهب الاعداء الذين نعلم أنهم اعداء - يرهب الأعداء الذين لا نعلم أنهم اعداء، فالاستعداد للحرب يرهبهم جميعاً ويمنعهم من الاقدام على القتال، وهذا ما يسمى في العصر الحديث (السلام المسلح)". (٣)

والأمة قادرة في هذا العصر وبجدارة أن تنتج ما يلزمها من مختلف الأسلحة بما تمتلكه من قوة فكرية وعلمية لدى ابنائها، وبما تمتلكه من ثروات وأموال، وعليها أن تحفظ ماء وجهها وهي تستجدي شراء الأسلحة من الأمم الكافرة، حتى عندما تحصل عليه فانها لا تحصل على احدث الانواع واكثرها تطوراً فاستخدام ثروة النفط مثلاً وهو عماد الصناعة الحربية تجعل الأمة قادرة على بناء المصانع في اراضيها مستقدمة كل القدرات الفكرية التي تنقص أبناءها فهي قادرة على الخروج من ذاك المأزق بالايمان واستعادة ثقنتها بنفسها.

يقول محمد سعيد غيبة: "أن الأسلحة المستخدمة حديثاً ليس المسلمون بعيدين عنها بل هم قادرون على استخدامها بنفوق لأنهم ليسوا بعيدين عن العلم والتكنولوجيا، أن الأمة الإسلامية لا ينقصها تسليح أو تدريب، لكن تنتظر منظرين لا ليرسموا لها الطريق أو يبينوا لها الهدف، ولكن ليضعوا اقدامهم على أول الطريق، وتسير ورائهم بعزيمة تعيد من انقطع من وصل الابناء بالأباء" (٤).

(١) عبد الله غوشة، الجهاد طريق النصر، وزارة الاوقاف، الأردن، ص ١٧٥.

(٢) محمد سعيد غيبة، مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام، ص ٥٠ - ٥١، مرجع سابق.

(٣) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ١١ ص ٢١، مرجع سابق.

(٤) محمد سعيد غيبة، مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام، ص ٥٠ - ٥١، مرجع سابق.

ويقول عبد الله غوشة: "يجب على المسلمين في هذا العصر صنع ما تحتاج إليه الجيوش من الآلات والمدافع والبنادق والدبابات والطائرات والمناطيد وانشاء السفن الحربية بانواعها، ويجب عليهم تعلم الفنون وجميع الصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من آلات الحرب بدليل (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، ولئلا يكون المسلمون تحت رحمة من يصنع الذخائر والمعدات الحربية ان شاء منحهم واعطاهم وأن شاء منعها عنهم وحرّمهم منها فلا يعطيهم ما يحتاجونه ولو بالثمن"<sup>(١)</sup> "وللأمة في رسول الله ﷺ وصحابته قُدوة حسنة، فقد كان النبي ﷺ دائماً خير من يحسن اعداد القوة الضاربة مستخدماً كل ما يحتاج له من أنواع الأسلحة، كالخيل والسيف والرمح والقوس وغيرها من أنواع السلاح"<sup>(٢)</sup>.

وأنواع السلاح تختلف لا ريب في كل فترة عما سبقتها، فعلى طول الزمن توسعت مدارك الناس فانتجوا أنواعاً كثيرة من الأسلحة، ونحن نعرف ما حصل من تطويرها على مدى عشرات السنين الماضية، بل أن القدرة الصناعية تتغير من وقت لآخر حتى بلغ الأمر إلى صنع آلات الدمار والهلاك وفناء الأمم في اوقات قصيرة"<sup>(٣)</sup>.

ومما يجدر ذكره "ان حكم الإسلام في هذا الاعداد وأنه عبادة إذا فُصد به وجه الله تعالى يقتضي أن لا يُمنع أي فرد من المسلمين اقتناء السلاح لاستعماله في الجهاد عند الحاجة إليه، والحاجة إليه في مجتمع الإسلام قائمة على الدوام لانه مجتمع مجاهد، يبتغي اعلاء كلمة الله دائماً، وحماية دعوة الله عز وجل من اعدائها، ولان العدو قد يفاجئ منطقة من مناطق الاسلام، فيجب على أهلها الدفاع عنها فيحرم في شرع الله أن يُحرم المسلمون من السلاح، وخاصة بعدما تطورت الأسلحة الحديثة، ولو أن المسلمين اخذوا بهذا التوجيه الإسلامي في حروبهم مع اعدائهم في هذه الأيام لما استطاع العدو أن يأخذ شيئاً من اراضيهم"<sup>(٤)</sup>.

وقد اهتم القرآن اهتماماً بارزاً بالرباط وحراسة ثغور الدولة المسلمة قال تعالى: ﴿ يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

(١) عبد الله غوشة، الجهاد وطريق النصر، ص ١٢٨، مرجع سابق.

(٢) رؤوف شلبي، الجهاد في الاسلام، دار المكتبي، الكويت، ص ٢١٨ وما بعدها، وقد ذكر الأسلحة المستخدمة في عهد النبي ﷺ وصحابته.

(٣) محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الاسلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص ٨٨.

(٤) محمد نعيم ياسين، اثر الاسلام في تكوين الشخصية الجهادية ص ١٠٠ - ١٠١ (باختصار)، مرجع سابق.

ولا بد للرباط من قوة صبر وتحمل الصعاب والمشاق وله الأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى وما ورد في سورة الأنفال يدل على أهمية الرباط فقد ورد إفراد الرباط وهو نوع من أنواع القوة للدلالة على أهميته قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠]

قال القاسمي: "إن عطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية أفرادها، كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة".<sup>(١)</sup>

"فلا يجوز أن تخلو جبهات المسلمين وثغورهم في أية لحظة من عدد كاف من المرابطين فإذا لم تحصل الكفاية اثم المسلمون جميعاً، فإن كان السبب يعود للامام ومنعه المسلمين من الرباط والجهاد تحمل هو معظم الوزر، وإن كان السبب من الأفراد كان على الامام أن يجبر بعضهم على الرباط مراعيًا العدل في الاختيار"<sup>(٢)</sup>

ولاهمية الرباط قال رسول الله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها".<sup>(٣)</sup>  
"والمرابطة ليست في وقت معين ولا في حالة معينة بل هي مستمرة وتحتاج إلى الصبر والاحتساب وطلب الأجر، فالصبر زاد الطريق الطويل في سبيل الجهاد والدعوة إلى الله فلا ينفذ صبراً المؤمنين بل يظنون أثبت من أعدائهم"<sup>(٤)</sup>

يقول القاسمي: "لما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزاً، عظيماً، أبا الضيم، قويّ القنا، جليل الجاه، وفير السنا، اذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناحية الاقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجون الظلم والاستعباد، وعاش بنوه احقاباً متتالية، وهم سادة الأمم قادة الشعوب وزمام الحول والطول، وقطب روعيّ العز والمجد، لا يستكينون لقوة ولا يرهبون لسطوه، وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف، فاهملوا فرضاً من فروض الكفاية، فاصبحت جميع الأمة أئمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني، وكيف لا يطعم العدو بالممالك الاسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة وذخائر الحرب. بل كلها ما يُشتري من بلاد العدو؟ أما أن لها أن تنتبه من غفلتها، وتتشى معامل لصنع المدافع والبنادق

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٤ ص ٥٧، مرجع سابق.

(٢) محمد نعيم ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية، ص ١٠٥، مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري ج ٤ ص ١٠٥٩ (١٧٣٥).

(٤) محمد ناصر الجعوان، القتال في الإسلام ص ٨١، مرجع سابق.

والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد القى عليها تنقص العدو بلادها من اطرافها درساً يجب ان تتدبره وتتلافى ما فرطت به، قبل أن يداهم ما بقي منها بخيله ورجله".<sup>(١)</sup>

### ثانياً: اعداد العنصر البشري اللازم

أن اعداد الجنود الصالحين للجهاد يعد من أهم اسباب انتصار عباد الله سبحانه، فالجندي مهما حاز وامتلك من اسلحة متطورة ومحدثة ذات كفاءة عالية تبقى ميته ما لم تحملها نفس قوية تعمل بدأب واستمرار على اعلاء كلمة الله سبحانه والقرآن الكريم يطرح ضرورة اتخاذ العناصر البشرية القوية في كل شيء والمدربة على أساليب القتال المختلفة خير تدريب أسوة بنبيهم محمد ﷺ فقد كان ولا يزال أبرع الناس في استخدام الاساليب القتالية المناسبة في كل غزوة غزاها من كر وفر، واستطلاع واستخبار، ومكائد لامم الكفر وخداع لها، وخبرة واسعة في الاساليب الاعلامية في الحرب النفسية.

واعداد العنصر البشري يستلزم جهاد المؤمنين بأنفسهم في سبيل الله قال تعالى: ﴿أنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ [التوبة: ٤١].  
فالمجاهد يقدم للنصر أعلى ما يملك روحه رخيصة في سبيل الله "واعداد الرجال يكون في مرحلتين:

**المرحلة الأولى:** تبدأ من الولادة حتى القدرة على حمل السلاح، وهي مراحل الاعداد، ويتعاون على القيام بها البيت والمدرسة بتربية الطفل بما يبعث في نفسه قدسية مبادئه، وعزة اسلامه، فينشأ على آداب الجندي الاسلامية القرآنية.

**المرحلة الثانية:** تبدأ من قدرة الشخص على حمل السلاح، وهي مرحلة الرجولة بعد مرحلة التربية والتعليم السابقة وتتطلب تعاون الهيئة الطبية لاختيار الأصحاء، والهيئة التدريسية لاستكمال التدريبات العقلية والعسكرية".<sup>(٢)</sup>

"فالاسلام ينفرد بأن بناء المقاتل لا يبدأ عندما يلتحق الشاب بالقوات المسلحة، ولكنه يبدأ منذ مرحلة التنشئة على أساس أن بناء الانسان أصل لبناء المقاتل ثم يتعهد الاسلام المسلم

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج٤، ص٥٨، مرجع سابق.

(٢) أحمد المومني، التوعية الجهادية في الاسلام، الطبعة الأولى، دار الارقم، عمان ١٩٨٦، ص٤٥-٤٦.

بالتربية والتوجيه ليُجعل منه انساناً صحيح النفس والعقل والجسم، وبذلك يستطيع تحمل معاناة المعركة في أشد الظروف ثم يأتي بعد ذلك تدريبه على القتال. (١)

واعداد الجنود يكون في مختلف النواحي كالأعداد البدني، "فالاسلام يدعو دائماً إلى اعداد الرجال اعداداً سليماً للحرب، وكان الرسول ﷺ يطلب من اصحابه المعاونة والمساعدة في تكوين شخصية الجندي، ودعا إلى العناية بالصحة لذا اهتم اهتماماً بالغاً بالرياضة ليخلق من جنوده افراداً لائقين جسمانياً لتحمل اعباء المعركة ومواجهة عنفها وشدتها، فالرياضة تساعد على صقل الجسم واعداده، ولهذا مارس المسلمون انواعاً كثيرة من الرياضة كالعُدو وركوب الخيل والضرب بالسيف والمصارعة ورمي النبل، وكان الرسول يصرع الرجل القوي، ويركب الفرس عادياً فيروضه على السير ويتسلق في العدو". (٢)

"وكان يحرص على انتقاء المجاهدين من اصحاب البنية القوية فصحة الانسان وسلامة جسمه ونفسيته وعقليته وشعوره وسلامته من الامراض كل هذا يعتبر من شروط اساس دخول المجاهد سلك الجهاد، وكذلك يحسن ان يكون جهاده حسب قدرته ومعرفته وحسب امكانه ورغبته". (٣)

"فالقدرة البدنية التي يحملها المقاتل الفرد تزداد قيمتها بشكل كبير عند الصراع إذا كانت مع السلاح، وتتضاعف بعدد رفاقه المنتظمين معه حيث التعاون والانسجام". (٤)

والأمة المسلمة يجب عليها ان تعد العناصر البشرية علمياً وفكرياً، وخاصة أنها أمة العلم والمعرفة فقد زهت الدنيا بنور علمها، والقرآن الكريم دافع لها ففكرها وعنايتها بالعلم نابع منه ويعلم هذا القاصي والداني لذا فهي عندما تعد جنودها فكرياً وعقلياً تنفذ مهمة أوكلها القرآن لها.

"والاعداد العلمي ضرورة من ضرورات العصر لافراد الأمة كلهم، فلا غرو إذا اهتمت الأمم باعداد ابنائها اعداداً علمياً وسهلت لهم الطرق للتخصص في مجالات البحوث العلمية، واهتمت في المقدمة بانشاء المدارس والمعاهد والكلية العسكرية". (٥)

(١) مجلة الحرس الوطني، السعودي ص٣٦، ربيع الآخر - ١٤٠٦ - ديسمبر ١٩٨٥.

(٢) محمد فرج، السلام والحرب في الإسلام، دار الفكر العربي ١٩٦٠، ص ٨١ - ٨٢ باختصار.

(٣) صالح اللحيان، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، دار الصميعي، ص ٨٩ - ٩٩، (باختصار).

(٤) محمد سعيد غيبة، مقومات الشخصية العسكرية ص٢٢، مرجع سابق.

(٥) محمد الجعوان، القتال في الإسلام ص ٨٦ - ٨٧ (باختصار)، مرجع سابق.

وعلى الأمة كذلك ان تعد المجاهدين اعداداً نفسياً، "والاعداد النفسية الذي يتطلبه الجهاد في الشريعة الإسلامية - سواء كان قائداً أو فرداً عادياً تحت امره قائد معين - اعداداً نفسياً سليماً وهذا لا يتأتى إلا بتعبئة للجهاد تعبئة قوية تليق به كجندي ، وأن النصر حليفه وعليه أن يعلم أن النصر لا يأتي إلا بالتضحية والشجاعة والنفاء وأن النصر مع الصبر".<sup>(١)</sup>

وعلى الأمة أن تعد الجنود اعداداً عسكرياً عملياً متميزاً مستخدمين جميع الأساليب القتالية المتاحة، يقول محمد الجعوان: "لا بد من اعداد الافراد اعداداً عسكرياً بحيث يكونون قادرين على الذهاب إلى المعركة لو احتيج اليهم، فتقوم الجهات المسؤولة باعداد جماعة لقيادات السيارات مثلاً واصلاحها. وجماعة آخرين للشؤون الادارية والنواحي التموينية ليحلوا محل الذين يعملون في النقاط الخلفية في ساحة المعركة واعداد جماعة للقتال ومساعدة المقاتلين لتنظيف الأسلحة واحضار الذخيرة ونقلها إلى المقاتلين وهكذا".<sup>(٢)</sup>

والقائد قدوة للجنود، "والقدوة الحسنة من أعظم البواعث على الجهاد في سبيل الله، والقدوة السيئة من اعظم المثبطات على هذا الأمر العظيم، لان فاقد الشيء لا يعطيه".<sup>(٣)</sup>

ولا بد للعنصر البشري من قائد يوجهه وينظمه "والقائد لا يختلف عن غيره من الجند سوى في شجاعته ومهارته في اساليب القتال وقدرته على وضع الخطط المناسبة للعمليات الحربية مما يؤدي إلى النصر بأقل التضحيات، وكما أحسن رسول الله ﷺ في تربية أصحابه على حب الجهاد والشهادة في سبيل الله، فانه أحسن في جعل كثير منهم قادة بارعين، وكأنهم تلقوا التدريب العسكري وفن قيادة الجيوش في اشهر الكليات الحربية".<sup>(٤)</sup>

"وتعد القيادة هي العنصر الأهم في ادارة الصراع عموماً، والقتال خصوصاً ولقد اهتم الإسلام ببناء القيادة ايما اهتمام، ولا شك ان مسألة القيادة مسألة ليست سهلة فهي امانة ورسالة ويجب أن يكون القائد أسوة حسنة لغيره".<sup>(٥)</sup>

"والقيادة الناجحة تؤدي دائماً إلى النصر وتقود الجيوش إلى اهدافها ، تحقق ما القي على عاتقها من مهام ومسؤوليات، وصفات القائد تتعكس على جنده، وكيفما يكون الجند فاعمالهم تشبه اعماله وتصرفاتهم صورة عن تصرفاته، وقدرتهم على الحرب تتبثق من قدراته، إذا رأو منه

(١) السيد أبو عطية، النظرية العامة للجهاد، ص ٨١-٨٢، مرجع سابق.

(٢) محمد الجعوان، القتال في الإسلام، ص ٨٥، مرجع سابق.

(٣) عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته ص ٥، ج ١، مرجع سابق.

(٤) عمر أحمد عمر، الجهاد في سبيل الله، دار المكتبي، ص ٢٥٥.

(٥) السيد ابو عطية، النظرية العامة للجهاد، ص ٧٩ (باختصار)، مرجع سابق.



كسلا كسلوا، وأن رأوا فشلاً فشلوا وأن ثبت ثبتوا، وللجند المسلمين حقوق على قائدهم منها أن يرفق بهم في المسير فلا يرهقهم فيه فتضعف قواهم، وعلى القائد أن يتفقد عدة الجيش، وعليه أن يختار جنده فلا يجعل بينهم خائناً ولا مشركاً، ولا خائفاً أو جباناً.

وكان للقائد حقوقاً لدى جنده فيلزم الجنود في حق قائدهم طاعته، والدخول في ولايته لأن طاعته بالولاية وجبت".<sup>(٢)</sup>

ولا يخفى أن للقائد صفات يتم اختياره على أساسها كانت مدار حديث واسع في كتب الفقه الإسلامي.

"أما أهم الصفات التي ينبغي أن تتوفر في القائد العسكري أن يتحلى بالشجاعة والاقدام، فيكون جريئاً في اقتحام الحروب، وغير هيب من الموت وأن يكون ذا إرادة حديدية أمام الأفراد المقاتلين والفرسان المحاربين مضحياً من أجل الرسالة التي يحملها والمبدأ الذي يعتنقه، وإن فقدان صفة من هذه الصفات يعني الفشل والهزيمة له ولمن يقوده، فشجاعة القائد تكسب الجنود شجاعة واقبالاً على القتال كما أن جبنه وخوفه يضعف الروح القتالية عند الجنود مما يؤدي إلى الهزيمة".<sup>(٣)</sup>

وللمسلمين في كل زمان أسوة حسنة في قائد هذه الأمة، فعليها أن تستقي من عبقرية القيادة التي أدت إلى انتصاره وكانت مدرسة تخرج منها اعظم قواد التاريخ والذين سعدت الأمة بهم، وتراث الأمة العسكري خير شاهد على ذلك.

يقول محمد شيت خطاب: "أن التراث العربي الإسلامي من الناحية العسكرية، يملأ مكتبات أوروبا ومتاحفها، وترحز به مكتبات المخطوطات العربية في شتى اصقاع الدنيا. وحسبنا ان نذكر كتاب الفهرست لابن النديم الذي عدد فيه الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم، ونلمس أي تراث عسكري اصيل كلن للعرب والمسلمين منذ اقدم العصور"<sup>(٤)</sup>.

(١) السيد ابو عطية، النظرية العامة للجهاد، ص ٧٩ (باختصار)، مرجع سابق.

(٢) محمد فرج، السلام والحرب في الإسلام، ص ١١٨-١٢١ (باختصار)، مرجع سابق.

(٣) محمد أبو فارس، المدرسة النبوية العسكرية ص ٣٠ (باختصار)، مرجع سابق.

(٤) محمود شتيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، القاهرة، ص ٣٦-٣٧.

- ومحمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، كتاب الأمة، العدد ٣، قطر، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٤-٨٣.

فلا بد من الاهتمام بالعنصر البشري اهتماما كبيرا فهو ركن ركين من اسباب النصر "فالذين يحسبون أن النصر للإله ويهملون شأن الإنسان، إنما يضعون المقدمات التي سوف تسلمنا إلى نتائجها الخاطئة حتما". (١)

### ثالثا: الانفاق في سبيل الله

٥٦٩١٩٩

يعد المال من اهم العناصر الحيوية التي تعتمد عليها عملية اعداد القوة، ويستحيل وجود قوة للامة المسلمة بدون هذا العنصر، فهو عامل اساسي في تحقيق النصر واستقرار الامة كلها فهو "وسيلة اغناء وتحقيق رفاه للجميع، وواسطة متعينة لصون عزة الامة وكرامتها ودحر عدوان المعتدين عليها، فما بذلت امة بمالها إلا وحقاق بها النذل والاستعباد وتكالبت عليها الأمم". (٢)

وقد دعا القرآن الكريم إلى بذل المال رخيصة في سبيل اعداد الامة اعدادا قويا، قال تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ [البقرة: ٢٦١].

"والقرآن الكريم ابرز صورة هذه الأضعاف المضاعفة في جو حماسي يدفع النفس البخيلة إلى البذل والانفاق، كما يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الانساني كله، فيعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهية، صورة الزرع الذي يعطي اضعاف ما يأخذ ويهب غلاته مضاعفة بالقياس إلى بذوره" (٣).

"وعند دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم نجد الاقتران بين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس وتقديم جهاد المال على جهاد النفس لان الجهاد بالنفس انما يتبع جهاد المال الذي يسبقه.

"فالجهاد بالمال امر مكمل للجهاد بالنفس بل أن الجهاد بالنفس متوقف على المال فالمسال هو مصدر الانفاق والاطعام وشراء الأسلحة وتأمينها واعداد كل ما هو لازم للقتال". (٤)

وبالتالي للمال اثر كبير في تحقيق النصر وقد اعد الله سبحانه للمنفقين اجرا عظيما قال تعالى: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(١) محمود شتيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ١٤، مرجع سابق.

(٢) وهبة الزميلي، التفسير المنير، ج ٣ ص ٤٣، مرجع سابق.

(٣) رؤوف شلبي، الجهاد في الإسلام ص ١٨٠، مرجع سابق.

(٤) محمد الجعوان، القتال في الإسلام، ص ٢٩، مرجع سابق.

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله".<sup>(١)</sup>

وقد أندر الله سبحانه الذين يمنعون انفاق المال من الاغنياء ويبخلون به وتشح نفوسهم به، ولتنتظر إلى الصورة البيانية التمثيلية التي يعجز البلغاء عن رسمها بالدقة الكاملة حول الاغنياء الذين يكنزون الأموال ويمنعونها من القيام بدورها في الحياة. قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم يوم يحمى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

وعدم الانفاق في سبيل الله انما هو من صفات المنافقين قال تعالى: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

"ولقد سجل التاريخ الإسلامي في غضون عصوره ايام الجهاد والدين الحق بذل كثير من المسلمين الأموال والآنفس طلباً لما عند الله والدار الآخرة وذلك تقوية للجهاد في سبيل الله حتى يقوم البائلون بالواجب على وجه مطلوب، ففي غزوة تبوك دفع ابو بكر ماله كله، ودفع عمر نصف ماله، وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وتبرع عثمان بعشرة آلاف".<sup>(٢)</sup>

"فالانفاق في الجهاد يعود على اصحابه بالنفع في الدارين الدنيا والآخرة أما النفع الذي يعود على صاحبه في الدنيا فتعويض الله عليه ما انفق وزيادة، فالانفاق سبب للنصر، والنصر يترتب عليه غنيمة ويستتبع ذلك الخراج والجزية والعطاء الذي يعود منه شيء على المنفق بصورة مباشرة أو غير مباشرة... والنفع يعود على المنفق بمباركة الله عز وجل هذا المال وأما النفع في الآخرة فيثيبه الرب (تبارك وتعالى) على ما أنفق في الجهاد بثواب المجاهدين".<sup>(٣)</sup>

أن نفقة التطوع ليست هي المصدر الوحيد لاعداد المال وإنما يدعمها مصادر اخرى كالفيء. قال تعالى: ﴿ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾ [النشر: ٧]. والزكاة مورد مهم جداً للدولة الإسلامية قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها

(١) رواه البخاري، ج٣، ص ١٠٢٦، (٢٦٣٤)، ورواه مسلم، ج٣، ص ١٥٠٣ (١٨٨٨)،

(٢) صالح اللحيان، الجهاد في الإسلام، ص٨٨، مرجع سابق.

(٣) محمد أبو فارس، المدرسة النبوية العسكرية، ص١١٣، مرجع سابق.

والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله و الله  
 عليم حكيم﴾ [التوبة: ٢٦٠]، والغنائم مورد مهم للجيوش المسلمة قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال قل  
 الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم  
 مؤمنين﴾ [الأنفال: ٢١] وغيرها.

فالمال ضروري لتسليح الجيوش خصوصاً بعدما ارتقت الفنون العسكرية والصناعات  
 الحربية بالاضافة لما يلزمها من اعداد التموين اللازم واعداد وسائل العلاج من ادوية وادوات  
 وإذا لم يكن لدينا هذا الاعداد المالي فلن يكون النصر حليف امتنا. قال تعالى: ﴿وانفقوا في  
 سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واحسنوا أن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥].

#### رابعاً: احسان العمل والتعاون

يعد احسان العمل من اسباب النصر وعوامله التي لا يستغني عنها، وهو ضروري فسي  
 جميع مجالات الحياة. قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة:  
 ١٠٥].

فكل عمل لا بد من اتقانه، وعندما تسعى الأمة المسلمة للنصر تتضاعف أهمية الاتقان لان  
 عليها أن تنهض وتطور وتجيد الصناعات الحربية المختلفة وتجيد اساليب القتال المتنوعة.

واحسان العمل مطلوب من جميع المجاهدين افراداً أو جماعات، قواداً ومرؤوسين أينما  
 كانوا في الجو أو البر أو البحر، كل منهم يأتي بعمله على خير صورة مستنفذاً كل طاقاته فسي  
 ذلك، والعمل المتقن تزداد أهميته في حال الجهاد خصوصاً.

وللمنافسة دور فعال في اتقان العمل قال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين:  
 ٢٦]. فهي تجعل كل فرد يسعى ليكون عمله متقناً اكثر من غيره.

ولا بد أن يساند التعاون المنافسة في اتقان العمل، فروح العمل الجماعي تجعل الافراد  
 يتعاونون في اتقان عملهم من ناحية وتسهل الصعب من ناحية أخرى، ومتى كان العمل متقناً  
 كانت ثقة الجنود في انفسهم اكبر.

وإذا كان احسان العمل من الجميع اسهم هذا ولا ريب في تحقيق النصر فالعمل الجماعي  
 المتقن يجعل الصعب يتحقق ومن هنا تعمل القيادات الادارية على توزيع العمل على الوحدات  
 العسكرية المختلفة كل وحدة حسب القدرات التي تمتلكها فيشد بعضها بعضاً ويقوي بعضها

بعضاً وإذا احسنت الأمة عملها لا بد وأن تسعد وتتهض بنفسها عزيزة تأبى الضيم طاردة المعتدي مستجيبة لأمر ربها سبحانه.

## المبحث الثاني: الآيات الواردة في الأسباب المعنوية لنصر المؤمنين

### □ الاعداد المعنوي

تعد العوامل المعنوية من اهم ركائز النصر فهي تجعل الأمة تجاهد الكفر وأهله واثقة بربها وواثقة بنفسها، لا تهاب العدو مهما طغت قوته وتعاظمت، فلا تطلب النصر إلا منه سبحانه قال تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [ال عمران: ١٢٦] فالإيمان بالله عز وجل والتمسك بنهجه الكريم يحقق للأمة النصر المبين، وقد حدث هذا في العصور الزاهرة للأمة، فما دخلت الأمة جهاد مع الكفار وهي واثقة بربها إلا وحازت النصر مهما عز وصعب بمعونة الله سبحانه ودفاعه عنها. قال تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يجب كل خوان كفرو﴾ [الحج: ٣٨] والاعداد المعنوي رديف الاعداد المادي وتوأمه الملازم له، فلا بد من الاعداد الشامل فيه يتحقق الانتصار في المعارك. "والقوة المادية بقوتها الظاهرة مهما عظمت وروعت الناظر إليها لا تكفي للنصر ولا تعطي قدراً من الصحة المؤكد بفوز وانتصار صاحبها".<sup>(١)</sup>

وفي هذا يقول محمد فرج: "مهما بلغت قوة الجيش في عدده وعتاده فإن هذه القوة في العدد والعتاد لا تضمن النصر، إلا إذا كان أفراد الجيش قد أعدوا اعداداً معنويةاً فالثابت أن القوى المادية وحدها لا تكفي لاحتراز النصر وإنما يجب ان تعبأ أيضاً القوى المعنوية وكثير من العادة الانتصار في الحرب للقوى المعنوية دون المادية وكم من جيوش قليلة العدد والعدة انتصرت في معارك خاضتها ضد عدو يفوقها في العدد والعدة وذلك لأنها كانت رغم قلة عددها وعدتها تفوق عدوها في روحها المعنوية".<sup>(٢)</sup>

"والقرآن الكريم اعظم وسيلة تعبئة في الاعداد المعنوي؛ لقد أعاد الرسول جنده أولاً بالإيمان بالله عز وجل والإيمان بقدرته التي لا تحدها حدود، وبالإيمان بقدر الله وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعددهم كذلك بالإيمان برسالتهم وقدسيتها وأن

(١) صالح الحيدان، الجهاد في الإسلام، ص ٨، مرجع سابق.

(٢) محمد فرج، السلام والحرب في الإسلام، ص ١٠٤، مرجع سابق.

فيها الخير للبشرية وأن عليهم أن يحملوا هذا الخير إلى كل الناس، واعددهم كذلك بنصر الله أو الشهادة في سبيل الله واخوانهم سينتصرون من بعدهم وجعلهم كذلك يعلمون أن الحياة الدنيا قصيرة حقيرة، وأن الآخرة هي التي يجب على العاقل أن يطلب النعيم فيها، وعلمهم أن طبيعة الحياة أن يقوم الصراع فيها بين الحق والباطل وأن الحق لا بد أن ينتصر وأن هذا الصراع به يستطيع المؤمن أن يقدم برهان صدقه".<sup>(١)</sup>

### □ عوامل النصر المعنوية كثيرة ومتعددة أجملها بما يأتي :

#### أولاً: توحيد الأمة واتقاء التنازع والخلاف

"إن من عوامل وحدة الأمة، والدعوة إلى هذه الوحدة هي من طبيعة الإسلام، فهو الذي يزرع اصولها في قلوب المؤمنين ويمكن الشعور بها، ولا تدوم وحدة إلا إذا انعقدت عليها الضمائر والقلوب، وقد يتجمع الناس على ارض واحدة، تحت سيطرة حاكم واحد، يجمعهم بالترغيب أو الترهيب ولكنها وحدة مزعزة الأركان.

إن الإسلام يستأصل من قلوب المؤمنين كل شعور بالاختلاف ويوحد بينهم بوسائل واساليب كثيرة منها: أنه يعرفهم بوحدة اصلهم، وانهم انبثقوا من نفس واحدة، وبعد أن يهيء الإسلام قلوب اتباعه لقبول الوحدة يشرع في ادخالهم فيها بالفعل فيجمعهم على عقيدة واحدة، ثم يجمعهم على قيادة واحدة فيأخذون بهدي الله عن طريق رسول الله ﷺ ثم يجمعهم على تشريع واحد واحكام واحدة وقيم واحدة واخلاق واحدة ولغة واحدة وهي لغة القرآن".<sup>(٢)</sup>

"قوة الأمة هي القوة الحقيقية التي بواسطتها يتحقق النصر على الأعداء وتفرقها يؤدي إلى الهزيمة والضعف. قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقد حقق المسلمون السابقون النصر على أعدائهم بوحدة الكلمة وهو الطريق الذي يستطيع المسلمون اليوم بواسطته أن يحرروا أوطانهم وينالوا حريتهم ويحفظوا أموالهم وأهليهم من الفساد".<sup>(٣)</sup>

(١) أحمد نوفل، الحرب النفسية، ص ١١٣، مرجع سابق.

(٢) محمد نعيم ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية العسكرية، ص ٧٢، ٧٤ (باختصار)، مرجع سابق.

(٣) عبد الرحيم الزقة، الجهاد في الإسلام، مجلة الشريعة والقانون، ص ١٨٩، مرجع سابق.

يقول وهبة الزحيلي: "وأن الاعتصام والتمسك بالقرآن وبدين الله وطاعته والالتفاف الموحد حول احكام الله حلالها وحرامها، واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من أجل صون الحرمات والبلاد من عدوان المعتدين، فانه لم يتوافر لامة مقومات تجمع بين شعوبها وافرادها مثل ما توافر لامة الاسلام، وهي الآن مع الأسف أبعد الناس عن اجتماع الكلمة ووحدة الصف والغاية والمنهج"<sup>(١)</sup>.

لقد أمست وحده امتنا ضرورة ملحة حتى تعيش شيئاً من عزتها التي عاشتها في عصورها السالفة وهذا هو الطريق الوحيد الذي يعيدها إلى جادة الطريق وصوابها وهو طريق نصرها ورفعتها بين الامم وذلك ليس بصعب كما يصوره اعداؤنا فلا نلقي لهم بالأف في رسول الله استاذ البشرية كلها لنا قدوة، فقد وحد أمة العرب رغم عظيم التنازعات والتفرقة التي كانت تدب في اوصالها والتي صورها القرآن الكريم اروع تصوير وابهاه قال تعالى: ﴿هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبهم انه عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

"وعندما قدم الرسول ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وربطهم رباطاً محكماً بذلك الاخاء الذي اثمر المحبة والايثار ولكنه لم يتركهم يخلدون إلى الأرض ويقعدون لحرث الأرض وزراعتها مع حاجتهم إلى ذلك واغائتهم في انحاء الجزيرة على صفة غزوات شارك فيها بنفسه، أو سرايا أمر عليها بعض الصحابة"<sup>(٢)</sup>.

ولا بد لنا في هذا العصر أن نقنّدي برسولنا الأكرم، وما أحوجنا إلى ذلك إذ لم يرو أن أمة تفككت عراها واختلقت جماعاتها وفئاتها وتباينت آراؤها وتفرقت كلمتها واهدافها تمكنت من النصر على أعدائها فالنصر حليف الوحدة حليف الاتحاد ، حليف التناصر والتساند والتراحم والتعاطف"<sup>(٣)</sup>.

فلا بد من الاتحاد جيوشاً وشعوباً وحكومات ولتكن لنا عبرة في تفرق الأمم السابقة كبنى إسرائيل الذي يضرب المثل بتفرقهم، وقد سجل القرآن الكريم هذه الفرقة عليهم إلى الأبد. قال تعالى: ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك باتهم قوم لا يعقلون﴾ [الحشر: ١٤].

(١) وهبة الزحيلي ، التفسير المنير ج ٤، ص ٢٩، مرجع سابق.

(٢) عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله ص ٤٦٠، مرجع سابق.

(٣) عبد الله غوشة، الجهاد طريق النصر، ص ١٨٩، مرجع سابق.

وتوحيد كلمة الأمة يحتاج إلى جهد عظيم وواسع، ولديها القدرة والمؤهلات للتحقيق ذلك. يقول سعيد حوى: "إن العالم العربي بحكم توسطة في قلب العالم الإسلامي فإنه يتحمل هذا العالم الإسلامي كله، وسيلتف العالم الإسلامي كله حوله فيكون بمثابة اجنحة له. أن كل شعوب العالم الإسلامي لن تجد مشقة في الالتفاف حول الجسم العربي للشعور الفطري عند كل مسلم ان الشعب العربي هو القيادة الطبيعية للمسلمين. أن تلاحما بين الشعبين العربي والشعوب الإسلامية سيغير موازين الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم لصالح الشعوب الإسلامية ولصالح علاقات اكثر عدلا في العالم".<sup>(١)</sup>

ولك أن تتصور العالم كله امام وحدة الأمة المسلمة والانتصارات التي ستتحقق على درب اعلاء كلمة الله إن هي هيات الظروف لذلك وحاولت أن توجد هذه الوحدة فتتال حب الله تعالى ورضاه قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانوا بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤].

وهذه صورة رائعة على أهمية الوحدة وتراص الصفوف في الجهاد.

### ثانيا: طاعة الله ورسوله:

تعتبر طاعة الله ورسوله سببا للنصر ومفتاحا له، والأصل في المؤمنين طاعة الله سبحانه في كل ما أمر، ومعصية الله ورسوله سبب كل ضلال وخسران وهزيمة وقد يبطل النصر بسبب عدم الطاعة لله أو رسوله وتقصيرهم في شيء أمر به الله أو رسوله. "ولما كانت الطاعة في القتال شرطا اساسيا في اكمال انجاز المهمة لأهمية الوقت ودقته فقد حرص النبي ﷺ على تدريب اصحابه على الطاعة، فكانوا المثل الأعلى في اطاعة الله واطاعة رسوله واطاعة أولي الأمر من المؤمنين".<sup>(٢)</sup>

قال تعالى: ﴿واطيعوا الله والرسول لعلمكم ترحمون﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا﴾ [النساء: ٥٩].

(١) سعيد حوى، من أجل خطوط للامام، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٩، ص ١٤٧.

(٢) أحمد المومني، التعنية الجهادية في الإسلام، ص ٦٨، مرجع سابق.



"الطاعة أمر اساسي لنظام المجتمع وركن من اركان النظام العسكري فهو يفرض عقوبات متنوعة على من يخالف النظام وأوامر القواد من الجند على اختلاف رتبهم وتبلغ في بعض الحالات أشد العقاب وهو الاعدام ولولا ذلك لما ثبت في العالم حكم ولا سلطان.

ومخالفة اوامر القادة ضررا كبيرا، وكثيرا ما تؤدي إلى الهزيمة كما وقع للمسلمين في غزوة أحد حين خالف معظم الرماة أمر رسول الله ﷺ وتركوا اماكنهم التي عينها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام ليحموا ظهور المسلمين من كمائن العدو، لذا لا يخرج المجاهدون إلى القتال إلا بإذن الامير لان أمر الحرب موكل إليه وهو أعلم بكثرة العدد وقتلهم ومكان العدو وكيدهم فينبغي أن يرجع إلى رأيه لأنه أحوط للمسلمين". (١)

وقال رسول الله ﷺ: "اسمعوا واطيعوا وأن استعمل عليكم عبد حبشي". (٢)

والطاعة سبب لوحدة الكلمة والوحدة تكفل قوي متماسك في وجه العدو يصعب اختراقه وطاعة القائد واجبة ما لم يأمر بمعصية، قال رسول الله ﷺ: "إنما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن امر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وان يأمر بغيره كان عليه منه". (٣)

وما زال القرآن الكريم ينبئنا إلى يوم القيامة خطورة رفض الطاعة، قال تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ [ال عمران: ١٥٢].

فالقرآن الكريم يدعو للطاعة وينبه من المعصية ويحذر من مخاطرها، "والأنظمة العسكرية الحديثة اهتمت بهذه الصفة، ولكنها تستخدم القوة والقهر والقسوة في الحصول على الطاعة، وربما قتل الفرد إذا رفض امرا. وهو على العكس في الإسلام، فإن القائد يأمر اتباعه بالطاعة ضمن حدود الاستطاعة، فلا يستعمل القوة، والقهر أو الاجبار في الطاعة، حتى تبقى الروح المعنوية عالية لديهم". (٤)

(١) عبد الله غوشة، الجهاد طريق النصر، ص ١٩٣، (باختصار)، مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري، ج ٦، ص ٢٦١٢، (٦٧٢٣)، ورواه مسلم، ج ٣، ص ١٤١٧ (١٨٤١).

(٣) رواه البخاري، ج ٣، ص ١٨٠ (٢٧٩٧).

(٤) أحمد المومني، التعبئة الجهادية في الإسلام، ص ٦٩ (باختصار)، المرجع سابق.

وعلى المؤمنين التزام الطاعة لأنها موجبة للنصر ومحقة له، "فأوجب ما تكون الطاعة في المعركة وآخر ما يكون التنازع في المعركة، أن ساعات المعركة الحرجة لا تحتل النقاش، إن الأمور تجري بسرعة تسابق الزمن تسبقه أو تكاد، لا يوجد وقت للأخذ والرد، قائد يأمر، وأمر يطاع هذا شأن المعركة، نعم لا بأس بابداء الرأي أن استشرت لكن بايجاز وتنبية إلى أمر لكن عند الضرورة<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

يقول محمد رشيد رضا: "إن انقضاء التنازع والاختلاف هو ما تجري عليه الدول القوية ذات النظام المبني على الشورى في تنازع الاحزاب وتكتفي بالشورى العسكرية وهي مشروعة في الاسلام عمل بها ﷺ في غزوة بدر وفرضها الله تعالى في غزوة أحد وهي واجبة على من دونه من الأئمة والأمراء".<sup>(٢)</sup>

وامتنا أولى باتقاء التنازع من غيرها، ولن يحالفها نصر إلا إذا آلت لوحدها ورفعت لوائه بعدما سقط على الأرض.

### ثالثاً: الثبات وعدم الفرار

بعد الثبات وعدم الفرار من أهم عوامل النصر، وهو واجب على كل مجاهد، وقد توعد سبحانه كل من يفر من ساحة الجهاد لانه بذلك يزرع روح الزعزعة في الصفوف فتتهار.

"الثبات شيء لا بد منه لاكتساب النصر، فلم يعرف التاريخ قط جيشاً انتصر وهو فار من عدوه، لان الذين يفرون يطلبون بفرارهم النجاة، ويتشبثون بالحياة، وهؤلاء لا يعرفون طريق النصر لان النصر لا يتأتى إلا للصامدين الثابتين، وصفحات التاريخ مملوءة بالانتصارات التي أحرزتها الجيوش التي لم توهنها ويلات الحرب، ولم تزعزعها هجمات العدو، والثبات يدل على قوة الإرادة التي يتمتع بها الجيش حتى ولو كان ضعيفا لأنه ما دام ثابتا فهو في نظر العدو قوي قادر على المواجهة ومهما كان الجيش قليل العدد فان ثباته يضمن له النصر باذن الله".<sup>(٣)</sup>

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ

(١) مديرية الاقتاء العسكرية، فضائل المجاهدين، عمان، ص ٤٠.

(٢) محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١ ص ١٤١، (باختصار)، مرجع سابق.

(٣) محمد السيد الوكيل، القيادة والجندي في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٦، ج ٢

وبئس المصير ﴿الأنفال: ١٥-١٦﴾. فيحرم عدم الثبات والفرار من المعركة بموجب هذا النص القرآني لان الفرار والانهزام تكمن فيه الهزيمة إلا في حالين يجوز فيها الفرار . قال القرطبي: "المتحرف من جانب إلى جانب لمكايد الحرب غير منهزم، وكذلك المتحيز إذا نوى التحيز إلى فئة المسلمين ليستعين بهم فيرجع إلى القتال غير منهزم ايضاً".<sup>(١)</sup>

وحذر النبي ﷺ من الفرار وعدم الثبات وعده من السبع الموبقات فقال: "اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، واكل الربا، اكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات"<sup>(٢)</sup>.

وسيرته ﷺ تزخر ببناته وثبات صحابته في جهادهم لعدوهم فما هي بدر ام المعارك لولا ثبات المؤمنين فيها لما كنا مسلمين ولما نعمنا بهذه النعمة الجليلة - نعمة الاسلام - قال تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ [الأنفال: ٤٥].

"فيجب على المؤمنين أن يثبتوا في ساحة المعركة ويقفوا في وجوه عدوهم والسر في ذلك أن المؤمنين يعلمون أن النصر من عند الله ولا يشكون في وعدهم بالنصر، وهم يعلمون أن ملاقات عدوهم لا تقدم من اجلهم شيئاً، بل انهم يرغبون في الشهادة لانها تبلغهم الجنة فيقاتلون بشجاعة وجرأة ويثبتون في ساحة الوغي".<sup>(١)</sup>

ومما يعين على الثبات تذكر المواقف البطولية للمؤمنين الصادقين والمجاهدين المخلصين من سلف الأمة الذين ثبتوا حين كانت الأرض تتزلزل تحت اقدامهم قال تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ [الأحزاب: ٢٢] فرؤية الأحزاب لم تزدتهم إلا صبراً وثبات قدم ورسوخ نفس، وإيمان بأن النصر من الله وهم أهل له وعلينا أن نكون على إيمان وعقيدة صلبة تمكن من الثبات والصمود في وجه الكفار لا تخيفنا أعدادهم وعددهم بل تزيدنا ثباتاً على ثبات فنكون كالصخور في بطون الجبال راسية ثابتة.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٢٤٣، مصدر سابق.

(٢) رواه البخاري، ج٣، ص ١٠١٧ (٢٦١٥)، ج٦، ص ٢٥١٥ (٦٤٦٥)، ومسلم، ج١، ص ٩٢ (٨٩).

### رابعاً: التوكل الكامل على الله

التوكل على الله يكون عندما يعلو إيمان المسلم ويرتقي اليقين في قلبه، فيدرك أنذاك أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، على المؤمن واجب الأخذ بالأسباب حسب استطاعته ثم يترك الأمر لله سبحانه. قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٤٩].

"فالتوكل على الله بعد اعداد جميع القوى التي لا بد منها حسب المستطاع لتكون الأمة قوية قادرة على الدفاع عن حقوقها وحماية بلادها والقيام بالدعوة الحقّة، وانما ينزل النصر من عند الله عندما تبذل الأمة جهدها وآخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعد ذلك إلى الله، فالنصر من عند الله بيده العزة والذلة والنصر والهزيمة. فالاعتماد على الله والتوكل عليه والتصديق بلفائسه من اعظم اسباب النصر والثبات في مواقف القتال فان الذي يؤمن بأن لها غالباً على امره يمدّه بمعونته الالهية لهو جدير بان يستخف بالاهوال ويثبت في القتال ثبات الجبال، فالإيمان بالله التوكل عليه ورسوخ العقيدة له اثر كبير في احراز النصر"<sup>(١)</sup>.

والقرآن يشير إلى قضية ضرورة الاخذ بالاسباب ، قال تعالى: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ [الطلاق: ٣] فانه سبحانه يكفي المؤمن المتوكل امره، وليحرص من كيد الشيطان وترهيبه لنفس المؤمن وهدم عنصر التوكل على الله، وليدرك أن الله هو الناصر . قال تعالى : ﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [ال عمران: ١٦٠]. و ينبغي أن لا يختلط مفهوم التوكل مع مفهوم التواكل ابدا سواء في الحياة الفكرية أو العملية، وهذا الخلط موجود مع الأسف في حياة المسلمين.

يقول سعيد حوى: "فتجاذب الكثير من المسلمين في كل شيء وخاصة في قضايا السياسة والحكم اتجاهاً: اتجاه يلغي الاسباب بحجة التوكل على الله، واتجاه يحسب كل شيء بمنطق الاسباب المادية ويلغي قضية التوكل وينسى القوانين الربانية الخاصة، إذا وجد الايمان واهله، والذي نقوله: أن الله عز وجل أمرنا ان نعمل ضمن عالم الاسباب والقوانين وامرنا ان نبذل جهداً في اعداد كل ما يلزم ، وأمرنا مع هذا كله بالتوكل الكامل عليه و علمنا أن له تعالى تأييداته

(١) عبد الله غوشة، الجهاد طريق النصر، ص ١٩٤ (باختصار)، مرجع سابق.

الخاصة للمسلم والمسلمين إذا توافرت فيهم خصائص محددة فما لم يع المسلم هذه الأمور مجتمعة يكون على خطأ عظيم".<sup>(١)</sup>

"فالسلاح والحماسة والشجاعة وعدد الحرب وآلاته كلها القديم منها والحديث لا تجدي نفعا ولا تدفع ضرا ما لم يؤازرها أيماننا بالله ونصرنا من عنده فإذا لم يصاحبها كانت مغولة القوى مسلوبة القدرة طائشة الأهداف".<sup>(٢)</sup>

### خامسا: الدعاء وذكر الله كثيرا

بعد ذكر الله تعالى ودعاؤه من عوامل النصر المهمة ولا يدرك ذلك حق الادراك إلا من جرب هذا الكنز العظيم، فهو طب القلوب مما ابتليت به من فتن الدنيا ولأوائها وهو العروة الوثقى التي تشد قلب المؤمن وتربطه بالله - عز وجل - وكلما كان الانسان ذاكرا لله - تعالى - كلما كان في معية الله فيطمئن قلبه".<sup>(٣)</sup>

قال تعالى: ﴿يا ايها الذي امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥].

وأحوج ما يكون اليه المسلم في ساح الوغي ذكر الله ودعاؤه الذي يبعده عن الخوف أو اليأس، ويكون الذكر باللسان والقلب حتى لا يهاب قوة الاعداء مهما عظمت فهو قد بذل كل قدرة لديه وجهد فتبقى قوة الله لذا يدعو الله ويذكره، فالذكر يبسر العسير ويفتح أبواب الفرج فيظفر المؤمنون بالنصر على الاعداء. وقد حض القرآن الكريم على الدعاء ووجه العباد لذلك قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال أيضا: ﴿واذا سألك عبادي عني فاتي قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة: ١٨٦]. ودعاء الله وذكره مطلوب في السراء والضراء، ولكن أهميته تلمس القلب أكثر في الضراء فما زال الدعاء له جدواه حتى في زمن اسلحة الحديد والنار فانه يرفع معنويات المجاهدين ويقوي العزائم والهمم تطيب به النفوس وتطمئن به القلوب.

وقدوتنا في ذكر الله ودعائه النبي ﷺ فما هو في بدر يذكر الله ويدعوه، فيتصل بربه مستمدا القوة والمدد والعون منه حتى سقط رداؤه عن منكبيه قال تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم

(١) سعيد حوى، من أجل خطوة للأمام، ص ٢٦، مرجع سابق.

(٢) عبد الرحيم الزقة، الجهاد في الإسلام، مجلة الشريعة والقانون، ص ١٩٤، مرجع سابق.

(٣) محمد الوكيل، القيادة والجندي في الإسلام، ج ٢ ص ٢٥٣، مرجع سابق.

فإنه يحب الصابرين لذلك هو معهم فليمضوا في إقامة دين الله صابرين على أهوال الحروب وللصبر اجر جميل وجزاء كريم، وهل عاقبة الصبر الجميل إلا الجزاء الجميل. قال تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ [النساء: ١٠٤] .

"والمؤمنون معرضون لمكائد الأعداء ومؤامراتهم ولقد مر بأهل الحق من المؤمنين الأولين ضروب من الشدة و العذاب واحاطت بهم المصائب والنوائب من كل جانب وتكالبت عليهم الفئات الشريرة والمنافقون والمشركون وكان مصيرهم في كفة القدر لكنهم ما وهنوا لما اصابهم ولا استكانوا ولا عرف اليأس إلى قلوبهم سبيلا بل صبروا وثبتوا وضحوا بارواحهم وانفسهم واموالهم في سبيل الله وفي سبيل حريتهم وبلادهم ومقدساتهم حتى جاء الحق وظهر امر الله وعلت كلمته فكانت هي العليا وزهق الباطل ودنت كلمته فكانت السفلى". (١)

وإذا صبر المجاهدون فلهم النصر وان قل عددهم وقلت عدتهم قال تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ [آل عمران: ٢٤٩].

إن الصبر ثمرة لقوة ايمان المؤمنين وتقتهم بربهم فهم يبقون على اتصال مع ربهم من خلاله ويدركون أنه ضرورة في حياة البشر، فحياة المجاهدين محفوفة بالمخاطر والمكاره، وهذا يتطلب من المجاهدين صبرا.

"لذلك نهى الرسول ﷺ عن تمني لقاء العدو لما في ذلك من الشدة والابتلاء ولان المرء لا يعلم حقيقة نفسه، وهل يقدر على الصبر والثبات امام العدو ام لا. اما حين يقع اللقاء بين الجيشين ويتعين القتال، فلا بد من الصبر لاحراز النصر"، (٢) قال رسول الله ﷺ: "لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا". (٣)

"ومن ضروب الحرب النفسية ذات الاثر القوي في التمكين من النصر على العدو التزود بالصبر الذي يجده المسلم رصيذا ينفق منه، لقهر نوازع الضعف والوهن، إذا عرضت له، فلا يدخل عليه من صور الحرب واهوالها ما يزلزل كيانه، ويهد بنيانه، ويسول له الفرار من

(١) عبد الله غوشة، الجهاد طريق النصر، ص ١٩٣، مرجع سابق.

(٢) عمر أحمد عمر، الجهاد في سبيل الله، ص ٢١٦، مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري، ج ٣، ص ١١٠٢ (٢٨٦٣).

المعركة أو الاستسلام للأسر والشاهد لهذا، أن المسلمين في غزوة بدر لم يؤسر منهم رجل واحد، على حين أسر من المشركين سبعون".<sup>(١)</sup>

وقد فرق محمد أبو فارس بين الثبات والصبر فقال: "الثبات يكون عند لقاء العدو ومقابلته لأول وهلة، إذ قد تحدث الانسان نفسه ان يفر من وجه عدوه، اما لكثرتة أو لتفرقة أو لرهبته أو لغير ذلك فكان الامر من الله تبارك وتعالى ان يوطن المجاهد على ملاقاته العدو والثبات وعدم الفرار. أما الصبر فالمراد به هنا بعد بدء القتال واثاء النزال وهو مرحلة أشد على النفس واصعب على الفرد لما فيها من عنت ومشقة وآلام، إذ يرى المقاتل الرؤوس تتهاوى، والاشلاء تتناثر، والابطال تجندل الدماء تنهمر"<sup>(٢)</sup>.

وفي صبر إمام المجاهدين خير قدوة لكل مسلم، فقد بلغ دعوته صابرا على أذى الكفار، وخاض المعارك الفاصلة ضاربا ارواح الامثلة في الصبر، وكان ﷺ لا يدع مناسبة أو فرصة الا ويحض فيها اصحابه على الصبر فينطلقون مجاهدين حاملين شعلة النصر حريصين من أن تتطفئ أو يخبو نورها.

فالصبر خير زاد يتزود به المؤمنون في كل زمان ومكان، يقول الطبطبائي: "الصبر اقوى عون على الشدائد واشد ركن تجاه التلون في العزم وسرعة التحول في الإدارة وهو الذي يخلى بين الانسان وبين التفكير الصحيح المطمئن . حيث يهجم على الخواطر المشوشة والافكار الموهنة لارادته عند الاحوال والمصائب من كل جنب فانه مع الصابرين"<sup>(٣)</sup>.

### سابعا: أسباب الالهية غيبية

إن الله جنودا لا يعلمهم إلا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [المنز: ٣١]. والنصوص القرآنية تذكر بعض جنود الله الخفية، ومنها امداد الله المؤمنين بالملائكة قال تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين﴾ [الأنفال: ٩]. "فنزول الملائكة سبب من اسباب النصر لا يحتاج اليه الرب تعالى، وانما يحتاج اليه المخلوق فيعلق القلب بالله وليثق به، فهو الناصر بسبب وبغير سبب".<sup>(٤)</sup>

(١) عبد الكريم الخطيب، الحرب والسلام في الاسلام، دار نجد ص ٤٨.

(٢) محمد أبو فارس، تفسير سورة الأنفال، مكتبة المنار الاردن ١٩٩٦، ص ١٠٧.

(٣) الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٩٦، مرجع سابق.

(٤) القرطبي، ج ٢، ص ١٢٥، مصدر سابق.

فإنه سبحانه قادر على نصر المؤمنين دون انزال هذا الجند، ولكن أراد بهذا الامداد تحقيق  
البشرى للمؤمنين بالنصر فتطمئن بذلك قلوبهم.

وقد اوردت كتب التفسير امر مدد الملائكة هل كان روحيا أم أن الملائكة قاتلت في  
غزوة بدر؟

نجد من قال أن المدد كان روحيا ليس أكثر ومن هؤلاء المفسر محمد رشيد رضا، ومعلوم  
ان صاحب المنار مصلح اجتماعي تأثر بالغرب وانبهر بحضارته المادية، ولماذا نستبعد قتال  
الملائكة، فهو نابع عن قدرة التقدير سبحانه التي لا تحدها حدود ويمثل اعظم نعم الله تعالى على  
جميع الموحدين فقد انتصر الاسلام وهو في المهد أي في مرحلة الاولى ولولا هذا النصر ما  
وصلنا هذا الدين لذلك سميت غزوة بدر بغزوة الفرقان.

كما ان العقل البشري له قدرة محددة فهو لا يدرك كل شيء، فالايمان بالغيبيات من  
اساسيات العقيدة الاسلامية.

يقول محمد رشيد رضا موضحا ما ذهب اليه: "اما معنى هذا الامداد بالملائكة فهو من  
قبيل امداد العسكر بما يزيد عددهم وعدتهم قوتهم ولو النفسية وهذا هو الظاهر"<sup>(١)</sup>  
و يقول الرازي: "أجمع أهل التفسير والسير ان الله تعالى انزل الملائكة يوم بدر  
وانهم قاتلوا"<sup>(٢)</sup>

ويقول وهبة الزحلي: فكان هذا الامداد فعليا من قبيل امداد العسكر بما يزيد عددهم  
وشاركت الملائكة في القتال وليس ذلك من قبيل الاعداد المعنوي كما اشار اليه صاحب  
المنار."<sup>(٣)</sup>

وهناك عوامل اخرى عديدة من جنود الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ  
اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [التح: ٧] والتي منها منته وفضله على عباده المؤمنين في غزوة بدر بالنعاس،  
والنعاس اول النوم، والنعاس لا يكون إلا مع الأمن، فكان له دور في إذهاب خوف المؤمنين  
وتهدئة أعصابهم، فالنعاس ولو لفترة قصيرة يساعد على بعث النشاط والقوة.

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٣ ص ٣٥١، مرجع سابق.

(٢) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ٣ ص ٣٥١، مصدر سابق.

(٣) وهبة الزحلي، التفسير المنير، ج ٤ ص ٧٢، مرجع سابق.



قال رشيد رضا: "من اسباب ظهورهم على المشركين القاؤه تعالى النعاس عليهم حتى غشيتهم ، أي غلب عليهم ومن غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف كما ان الخائف لا ينام ولكن قد ينعس، والنعاس فتور في الحواس واعصاب الراس يعقبه النوم فهو يضعف الادراك ولا يزيله كله فمتى زال كان نوما ولذلك قال بعضهم هو اول النوم".<sup>(١)</sup>

ومن الاسباب الغيبية الموجبة للنصر الماء الذي انزله الله من السماء نعمة منه للمؤمنين، قال المراغي: "لهذا المطر اربع فوائد: تطهيرهم حسياً بالنظافة، وازهاب رجس الشيطان ووسوسته، الربط على القلوب أي توطين النفس على الصبر وتثبيتها، تثبت الاقدام به ذاك ان هذا المطر لبّد الرمل وصيّره بحيث لا تغوص فيه أرجلهم فقدروا على المشي كيف أرادوا ولولاه لما قدروا على ذلك".<sup>(٢)</sup>

وفي غزوة الاحزاب ارسل الله سبحانه ريح كانت جند من جنود الرحمن في ايام باردة فكفأت القدور واقتلعت الخيام، وكتب السير تفصل ذلك تفصيلا واسعا. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ [الاحزاب: ١٩].

وكذلك القاء الرعب وتمكينه من قلوب الكافرين. قال تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماؤاهم النار وبنس مثوى الظالمين﴾ [ال عمران: ١٥١].

وكذلك تقليل الكفار في اعين المؤمنين حتى يتصلب عودهم في قتال امة الكفر والباطل. قال تعالى: ﴿اذ يريكهم في منامك قليلا ولو اراهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سئم انه عليم بذات الصدور﴾ [الانفال: ٤٣].

ومن عوامل النصر الغيبية رؤية الكافرين المؤمنين اضعافهم فيدب الرعب في قلوبهم وتطرق الهزيمة نفوسهم قال تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار﴾ [ال عمران: ١١٣].

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ص ٥٠٨، (باختصار)، مرجع سابق.

(٢) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ٩ ص ٤٩٢-٤٩٣، مرجع سابق.

## الفصل الثاني

آيات الواردة في أقسام نظر المؤمنين

أورد السياق القرآني صوراً متعددة للنصر، وإنما يتحكم في هذه الصور الميدان التي تنتمي إليه، فهناك النصر العسكري، والنصر الاجتماعي الدعوي، والنصر الاقتصادي والنصر الاعلامي.

### المبحث الأول: النصر العسكري:

يُعد النصر العسكري ابرز صور النصر، فهو عماد من اعمدة انتصار الامة وقوتها وسيادتها واستقلالها، وقد خاض المسلمون في القرون الاولى فحققوا الانتصارات العسكرية الباهرة، فالنبي ﷺ غزا الكفار غزوات عديدة مجاهداً الكفار ورافعا لواء التوحيد، وسار على نهجه الصحابة فحققوا الانتصارات العسكرية العديدة، والجهود التاريخية الاسلامية من دراسات وابحاث ومؤلفات تبرز هذه الناحية وتهتم بها كثيراً.

فالسباق القرآني فقد اورد انتصارات عسكرية عديدة، ففي سورة البقرة وردت صورة من صور هذا النصر ممثلة في قتال طالوت وجالوت وغلبة طالوت وجنوده المؤمنين جالوت. قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الملائكة من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين . وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم. وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فاته مني إلا من اغترف غرفة بيده فشرّبوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده. قال الذين يظنون انهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٥١].

هذه احدى صور النصر العسكري المادي الذي نلمس نتائجه ونراها تمثلت فيها سنة الله الثابتة في نصر عباده المؤمنين، هذه الصورة التي تُنبأ عن امور عسكرية ضرورة لا يستغني عنها المجاهدون في سبيل الله في كل زمان ومكان كما سترى بعد قليل.

يقول المراغي: "أن الأمم إذا قهرها عدوها تهن قوتها ويغلب عليها روح الجبن وتلبس ثوب الذل والمسكنة، فإذا أراد الله إحياءها بعد موتها نفح روح الشجاعة والإقدام في خيارها وهم الاقلون فيعملون ما لا يعمله الاكثرون.

وفي الآية من العبرة والفوائد الاجتماعية أن الأمم حين اضحت قد تفكر في الدفاع حين الحاجة اليه، وتعزم على القيام به إذا توافرت الشروط التي يتخيلونها، فإذا توافرت لهم ضعفوا وجبنوا وزعموا أن ما هم عليه من القوة غير كاف لمقاومة الاعداء والتمسوا لانفسهم المعاذير واكثروا من التعديلات الواهية".<sup>(١)</sup>

وقد أورد السياق القرآني حواراً بين الملا من بني اسرائيل وبين نبيهم الذي لم يذكر القرآن اسمه يتضمن الطلب من النبي ملكاً يقاتلون تحت رايته لانهم ملوا الذل والانكسار والجبن، فما كان من نبيهم الخبير باخلاقهم إلا ان استنكر عليهم ذلك الطلب لادراكه مخابئ نفوسهم الخبيثة التي تتطوي على الذل والفرقة والتنازع قائلاً: ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال إلا تقاتلوا﴾ فهو قد توقع منهم ذلك.

وكان ردهم بأن دافع القتال لدينا موجود فلماذا لا نقاتل قائلين: ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا﴾.

يقول محمد رشيد رضا: " أي داع لنا يدعونا الى أن لا نقاتل وقد وجد سبب القتال وهو اخراجنا من ديارنا باجلاء العدو ايانا عنها"<sup>(٢)</sup>.

وبعد ذلك الحوار نتج ان الله سبحانه قد مَنَّ عليهم وتفضل بجعل طالوت ملكاً لهم، يقاتلون تحت رايته ويجاهدون بامرته إلا أن نفوسهم التي زُرعت على الجدل والنزاع اعترضت على ملكية طالوت، فلم يرضوه لهم قائداً بناءً على معايير جاهلية وخاطئة للقيادة اساسها رفعة النسب وكثرة المال.

يقول الفخر الرازي: "استبعدوا جداً أن يكون هو ملكاً عليهم، قال المفسرون: وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين، من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن

(١) المرجع السابق، ج٢، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٢ ص ٣٨٢، مرجع سابق.

يعقوب ومنه موسى وهارون، وسبط المملكة، سبط يهوذا ، ومنه داوود وسليمان، وأن طالوت ما كان من أحد السبطين".<sup>(١)</sup>

ويعلمهم الله أسس اختيار القادة المجاهدين والتي من خلالها يحققون النصر على الاعداء فتتنفع بهم امتهم وتبقى قوية زاهرة بهم.

قال تعالى: ﴿الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء﴾<sup>[البقرة: ٢٤٧]</sup> وطالوت قد امتلك مزايا القيادة فهو مؤهل من عند الله سبحانه لقيادة بني اسرائيل وهذه المزايا أو المؤهلات هي:

"أولاً: الاستعداد الفطري وهو في المنزلة الأولى من الأهمية ومن ثم قدمه .

ثانياً: السعة في العلم الذي يكون به التدبير ومعرفة مواطن ضعف الأمة وقوتها وجودة الفكر في تدبير شؤونها.

ثالثاً: بسطه الجسم وكمال قواه المستلزمة لصحة الفكر، فقد جاء في امثالهم العقل السليم في الجسم السليم، وللشجاعة والقدرة على المدافعة والهيبة والوقار.

رابعاً: توفيق الله بتسخير الاسباب التي لا عمل له فيها. وهذا ما عناه سبحانه بقوله: ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾<sup>[البقرة: ٢٤٧]</sup>.<sup>(٢)</sup>

وبذلك نرى أن القيادة لها خصائص لا بد من توافرها، وأنه لا يصلح أي مجاهد للقيادة والناس ليسوا سواء في امتلاك هذه الخصائص، فها هو رسول الله محمد ﷺ كم كان ماله عندملا أخرج من رحم صحراء الحجاز أمة عريقة لها تاريخ نير لا تطفئه السنون بمرورها عليه بفجرها وليلها، فقد بنى أمة ذات كيان قوي استغرقت سني عمرة بعد البعثة فلا غرو أن يهز الغرب اعطافه اعجاباً به، وعلى دربه سار صحابته الكرام فقد كانوا قواداً رواداً كخالد بن الوليد وابو عبيدة عامر بن الجراح واسامة بن زيد وغيرهم فما كانوا أهل مال. وانما كانوا أهل ايمان وفكر وقوة ورباطة جأش ومؤهلات نفسية قيادية اخرى.

ورغم الاختيار الرباني لطالوت أن يكون ملكاً ينطوون تحت رايته ويجاهدون بامرته، إلا أنهم كانوا على تشدد مقيت وغلو كبير لذلك اخبرهم نبيهم أن التابوت ومجيئه اليهم علامة ذاك

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٦ ص ٥٠٤ ، مصدر سابق.

(٢) حمد المراغي، تفسير المراغي ، ج ٢ ص ٣٦٨، مرجع سابق،

وانظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار ج ٢ ص ٣٨٤.

الاختيار الرباني، وقد كان بنوا اسرائيل يتفاعلون ويستفتحون به على عدوهم وقد كثرت الروايات الاسرائيلية والتاريخية حول هذا التابوت ذكرتها كتب التفسير.

ولما رأى بنو اسرائيل التابوت ساروا تحت قيادة طالوت مسارعين الى الجهاد غير شاكين في النصر، فسار بهم قاصدا دروب الجهاد، وهنا ظهرت حنكة هذا القائد المظفر وعلمه وقوته في اختيار العناصر التي تحت قيادته حتى يعلم الصادق من الكاذب والقوي من الضعيف والمؤمن الشاك من الكافر وعلى هذا الاساس يتصرف فكان اختبارهم بالنهر وكانت مراتب الاختبار ثلاثة.

"أولا: من يشرب فيروي ولا يبالي بمخالفة الامر، وهذا يتبرأ منه.

ثانيا: من يأخذ بيده غرفة يبيل بها ريفة وهو مقبول على ما به من نقص في الجملة.

ثالثا: من لا يذوق ابدأ وهذا هو المولى والنصير الذي يوثق باتحاده ويعول على جهاده" <sup>(١)</sup> وقد ثبت في الاختبار قلة من الجند "ذلك أن القوم كانوا قد فسد بأسهم وتزلزل ايمانهم واعتادوا العصيان فسهل عليهم عصيانهم وشق عليهم مخالفة الشهوة وإن كان فيهم هوانهم، ولم يبق من اهل الصدق في الايمان والغيرة على الملة والأمة إلا نفر قليل، والعدد القليل من اهل العزائم يفعل ما لا يفعل الكثير من ذوي المآثم". <sup>(٢)</sup>

وهنا تظهر أهمية الطاعة للقائد، وهي تعد من الدساتير العسكرية في هذا الزمان لانها عنصر ركين يساعد في تحقيق النصر كما اسلفت في الفصل الماضي فالجندي الذي لا يصلح يمثل مع امثاله عنصر تشتت وتفرق يساعد على جر الهزيمة، لذلك الاستغناء عنه أفضل.

وثبت مع طالوت الطائعون، المؤمنون فقاتلوا جالوت، لم يفروا بل كان ثباتهم كثبات الجبال واستعانوا على ذلك بذكر الله ودعائه والتوكل الخالص عليه قال تعالى: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم ياذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الحكمة وعلمه مما يشاء﴾ <sup>(البقرة: ٢٥١)</sup>. وهذه سنته في نصر عباده المجاهدين الصابرين .

وورد في السياق القرآني صورة أخرى من صور النصر العسكري متمثلة بالقسائد الفذ الذي دانته له الدنيا ما بين مشرقها ومغربها وهي صورة فذة حقا. قال تعالى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سألتوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا

(١) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ٢ ص ٣٧٣، مرجع سابق.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٢، ص ٣٩١-٣٩٢، مرجع سابق.

القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قتلنا يا ذا القرنين إما إن تعذب وإما إن تتخذ فيهم حسناً. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً. وإما من آمن وعمل صالحاً فله جزءاً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً. ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً كذلك وقد احطنا بما لديه خبراً ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بيني الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطراً فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً. قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً﴾ [الكهف: ٨٣-٩٨].

كان ذو القرنين مجاهداً وقائداً صالحاً حقق انتصارات عسكرية ضخمة فقد ملك زمام قوة يجاهد الباطل ويحطمه من خلالها فلم يبق له بقية، وحول ذكره في القرآن الكريم اختلافات واسعة بناء على كثرة الروايات التاريخية والاسرائيلية المتناقضة والتي يعجب لها العقل كثيراً. يقول صلاح الخالدي أثناء تحقيقه في ذكر ذي القرنين وجهاده وانتصاره العسكري الباهر الذي وصل به إلى أطراف الدنيا: "وقف المؤرخون والمفسرون جميعاً أمام قصة ذي القرنين، وكثيراً منهم حاولوا بيان ما فيها من مبهمات وتحديد تفصيلاتها التاريخية والواقعية وأوردوا في ذلك أقوالاً كثيرة غالبها مأخوذ من الاسرائيليات وأخبار أهل الكتاب، وفيه خرافات واساطير واقاويل وإباطيل وقد نتج عن ذلك تشعب البحث في تفصيلات القصة، والاختلاف الشديد بين المؤرخين والمفسرين فيها، وجدالهم ونقاشهم حولها".<sup>(١)</sup>

لذا سيكون الحديث عن ذي القرنين بما يخدم ما نحن بصدد من انتصاراته العسكرية التي حققها، فالدارس لقصة ذي القرنين لا بد وأن يلمح أضواء حول الجهاد العسكري والقيادة وقد ذكرها القاسمي تحت عنوان تنبيه خاص أجملها بما يلي:

"١. إن الله رفع ذو القرنين ومنحه قوة، والله يرفع بعض الناس درجات على بعض ويرزق من يشاء بغير حساب ملكاً ومالاً.

(١) صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت ١٩٨٩، ص ٢٤٣.

٢. في ذكره الإشارة إلى القيام بالاسباب والجري وراء سنة الله في الكسوف من الجد والعمل وأن على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظفر، فإن ما قصّ عن الاسكندر من ضربه في الأرض الى مغرب الشمس ومطلعها وشمالها وعدم فتوره ووجد أن اللذة في مواصلة الاسفار وتجشم الاخطار، ثم احرازه ذلك الفخار اكبر عبرة لاولي الابصار.

٣. وفي ذكره تنشيط الهمم لرفع العوائق وأنه ما تسمرت الاسباب فلا ينبغي ان يقبل عذراً في الخمول والرضا بالدون، بل ينبغي أن ينشط ويمثل في حرارته حلاوة عقباه من الراحة والهناء كما قضى الاسكندر عمره ولم يذق إلا حلاوة الظفر ولذة الانتصار، إذ لم يكن من الذين تقدهم المصاعب عن نيل ما يبتغون.

٤. وجوب المبادرة لمعالي الامور من الحداثة، إذ من الخطأ التسوية فيه إلى الاكتهال فان الاسكندر لما تبوأ ملك أبيه كان في ريعان الشباب، فهاجم اعظم الملوك واكبر جيوشهم ولم يقف في وجهه عدد ولا عدد وخاض غمرات الردى غير هياب ولا وجل.

٥. إن من قدر على اعدائه وتمكن منهم، فلا ينبغي له أن تسكره لذة السلطة يسوقهم بعض الاذلال، وتجريهم غصص النكال، بل يعامل المحسن باحسانه والمسيء بقدر اساءته.

٦. إن على الملك إن اشكى إليه جور مجاورين ان يبذل وسعه في الراحة والأمن دفاعاً عن الوطن وصيانته للحرية، قياماً بفريضة دفع المعتدين وامضاء العدل بين العالمين، كما لبي الاسكندر دعوى الساكنين في بناء السد .

٧. على القائد أو الملك التعفف عن اموال رعيته والزهد في اخذ اجره في مقابله عمل يأتيه، ففي ذلك حفظ كرامته وزيادة الشغف بمحبته.

٨. التحدث بنعمة الله تعالى إذا اقتضاه المقام كقول الاسكندر في مقام تعففه عن اموالهم عليهم «ما مكنى فيه ربي خير» [الكهف: ٩٥].

٩. تدعيم الاسوار والحصون في الثغور وتقويتها لينتفع به على تطاول الاجيال ، فإن البناء غير الرصين لا ثمرة فيه.

١٠. مشاطرة القائد أو الملك العمال في الاعمال ومشارفتهم بنفسه إذا اقتضى الحال، تنشيطاً لهمهم وتجرتة لهم وترويحاً لقلوبهم، وقد كان الاسكندر يقاسم الرجال الاتعاب ويدير العمل بنفسه قال تعالى : «أتوني افرغ عليه قطراً» [الكهف: ٩٦]. وتعريف الغير ثمرة العمل المهم ليعرفوا قدره فيظهروا شكره<sup>(١)</sup> قال تعالى: «هذا رحمة من ربي» [الكهف: ٩٨].

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٥ ص ٥٦ - ٥٨، (باختصار)، مرجع سابق.



## المبحث الثاني: النصر الاجتماعي (الدعوى)

أورد السياق القرآني صورة للنصر الاجتماعي في ميدان الدعوة والدعاة، وإنما سمي نصر اجتماعي للميدان الذي ينتمي إليه، وهو نصر يرسخ العقيدة والإيمان في النفوس، لذا نجده نصرًا عارماً أثاره منتشرة في مساحة واسعة في المجتمع.

ومن الصور التي أوردتها القرآن الكريم من هذا النوع انتصار السحرة على فرعون أثناء دعوة موسى عليه السلام له، وهو خير مثال لانتصار الإيمان في الحياة على الكفر، والعزيمة على الجهل.

قال تعالى: ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا الساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون. قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين. يأتوك بكل ساحر عليم. وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين. قال نعم وانكم لمن المقربين. قالوا يا موسى إما أن تلقي وأما أن نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم. وأوحينا إلى موسى أن القي عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم عن هذا لمكر مكرموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمة قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لئلا جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف: ١٠٩-١٢٦].

يقول سيد قطب في ظلال هذا الصراع، وهذه المعركة بين الحق والباطل والتي هزم فيها الباطل وخذل امام الايمان.

"يقف الطغيان عاجزاً امام الايمان وامام الوعي، وامام الاطمئنان، يقف الطغيان عاجزاً امام القلوب التي خيل اليه أنه يملك الولاية عليها، كما يملك الولاية على الرقاب، ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف في الاجسام ، فإذا هي مستعصية عليه لانها من أمر الله. لا يملك أمرها إلا الله، وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار الله؟ أنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بانتصار العقيدة على الحياة وانتصار العزيمة على الألم، وانتصار الانسان على الشيطان.

أنه موقف حاسم في تاريخ البشرية باعلان افلاس المادية، فهذه القلة التي كانت منذ لحظة، تسأل فرعون الاجر على الفور، وتمني بالقرب من الشيطان هي ذاتها التي تستعلي على فرعون، وتستهن بالتهديد والوعيد، وتقبل صابرة محتسبة على التنكيل والتصليب. ويذهب التهديد ويتلاشى الوعيد، ويمضي في طريقه لا يتلفت ولا يتردد ولا يحيد. لقد ادرك السحرة بعد أن أشرق نور الايمان في قلوبهم، وجعل لهم فرقانا في تصورهم أن المعركة بينهم وبين فرعون وملئة هي معركة العقيدة وانه لا ينقم منهم إلا ايمانهم برب العالمين، فهذا الايمان على هذا النحو يهدد عرش فرعون وملكه وسلطانه ويهدد مراكز الملأ من قومه وسلطانهم المستمد من سلطان فرعه".<sup>(١)</sup>

"فظهر بطلان سحرهم وادراكهم فجأة لأية موسى وعلمهم بأنها من عند الله لا صنع فيها لمخلوق ملأت عقولهم يقيناً وقلوبهم ايماناً فكان اليقين الحاكم على الاعضاء والجوارح هو الذي القاهم على وجوههم سجداً لرب العالمين الذي بيده ملكوت كل شيء وزالت من نفوسهم عظمة فرعون الدنيوية الزائلة بعد ان ظهر لهم صفاره أمام هذه الآية فنطقوا بما حكى الله عنهم: ﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾"<sup>(٢)</sup>.

وليمعن الناظر حجم هذا الانتصار المحقق وهزيمة القوى العظمى المتمثلة في فرعون وجنوده في نظر الناس ويقرب من هذه الصورة انتصار أصحاب الاخدود الذين أدرکوا أن الجهاد واعلاء كلمة الله لا بد له من تضحيات كبيرة بحجم هذا الهدف العظيم، فتحريقهم كان كالشعلة التي اوقدت النار في الهشيم فقد تبعهم المؤمنون وساروا على دربهم ثابتين على التوحيد كنبات اخوانهم فان فيهم اعظم قدوة وأرقى اسوة قال تعالى: ﴿والسماوات ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد. أن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠-١١].

إن قصة اصحاب الاخدود نموذجٌ فذٌ للمنتصرين، وصورة نصر مضيئة في المجتمعات البشرية كلها، فقد ثبت أهل الحق والايامن في وجه الطغيان والباطل، فهم حملة عقيدة انتصروا فكانوا ءائمة الموحدين في كل زمان.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٣٤٩ - ١٣٥٠ (باختصار)، مرجع سابق.

(٢) أحمد المراغي، تفسير المراغي ج٩، ص ٣٧٥، مرجع سابق.

وقد اوردت السنة النبوية قصة اصحاب الاخدود توضيحاً وتفسيراً لآيات سورة البروج، قال ﷺ: "وكان ملك فيما كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: أني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً اعلمه السحر، فبعث إليّ غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد اليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب . فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي. وإذا خشيت اهـلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال: اللهم أن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذ الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له: الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من امرك ما اري وأنت ستبتلي فإذا ابتليت فلا تدل عليّ وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء . فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال: انسي لا اشفي احداً أنما الله يشفي فان أنت آمن بالله دعوت الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: ولك رب غيري . قال: ربي وربك الله. فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجاء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلع من سحر ك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل. فقال إني لا اشفي أحداً أنما يشفي الله. فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجاء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من اصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به إلى الجبل فقال: اللهم اكفينهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل اصحابك. قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور. فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاذنّفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفينهم بما شئت فاتكفأت بهم السفينة فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك. فقال: ما فعل اصحابك. قال: كفانيهم الله. فقال للملك: انك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال: وما هو. قال: تجمع الناس في صعيد واحد تصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبة على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغة فوضع يده في

صدغة في موضع السهم فمات. فقال الناس: أمنا برب الغلام. أمنا برب الغلام أمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذر قد آمن الناس فأمر بالاخذود في افواه السكك فخذت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له افتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري فانك على حق".<sup>(١)</sup>

ولك ان تتأمل المؤهلات التي منحها الله للغلام من ذكاء وتخطيط لدعوة الناس الى التوحيد، عندما قال للملك بأمر الصلب امام الناس وتسميته بالله عند قتله بعدما فشل الملك باغراء الغلام.

فالملوك والرؤساء يحرصون على اخفاء الحقائق عن الناس ولهذا السبب طلب سيدنا موسى عليه السلام من فرعون المواجهة امام الناس بينه وبين سحرة فرعون. قال تعالى: ﴿قال موعدهم يوم الزينة وأن يحشروا الناس ضحى﴾ [طه: ٢٥٩]. قال القرطبي: "يقول علماؤنا أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد. يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام، في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به وبذله نفسه في حق اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنة وعظم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله ورسخ الايمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم" <sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثالث: النصر الاقتصادي:

ينتمي النصر الاقتصادي إلى دائرة النصر المادي، وكلنا يعلم مدى أهمية هذا النصر وذلك من خلال الهزائم المتتالية التي تكال لامتنا من الدول الكافرة، رغم امتلاكنا لمقومات النصر الاقتصادي وقد اورد القرآن الكريم صورة لهذا النصر في سورة يوسف عليه السلام فقد عاشت مصر نصراً اقتصادياً في عهد سيدنا يوسف عليه السلام بفضل الخطة الاقتصادية التي رسمها منظماً فيها عنصرى الانتاج والانفاق من رؤيا الملك التي رآها. قال تعالى: ﴿وقال الملك

(١) رواه مسلم، ج ٢، ص ٢٢٩٩ (٣٠٠٥).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ١٩٣، مصدر سابق.

إني أرى سبع بقرات يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ  
أفتوني في رؤياي أن كنتم للرؤيا تعبدون» (يوسف: ٤٣).

فالملك قد رأى سبع بقرات عجاف يأكلن بقرات سمان، وسبع سنبلات يابسات يأكلن سبع  
سنبلات خضر والصورة كما ترى شاذة غير مشاهد مثلها في الواقع إذا كيف يأكل الضعيف  
القوي السمين.

يقول المراغي: "إني رايت فيما يرى النائم رؤيا جليلية كأنني أراها الآن، سبع بقرات  
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتعلت العجاف السمان، ورايت سبع سنبلات  
خضر قد انعقد حبها، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضرو  
حتى علبن عليها فجمع الكهنة والعلماء". (١)

وكان تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لرؤيا الملك، عبارة عن وضع خطة اقتصادية  
استغرقت سنين طويلة جعلت مصر منتصرة اقتصاديا على ما جاورها من البلدان، حتى كانت  
تلك البلاد تأتي لمصر تأخذ قوتها منها.

وهنا نلمح قيمة النصر الاقتصادي بالنسبة للامة مما يبقيها امة مرهوبة الجانب مهيمنة  
ولها سلطة قوية، وهذا النصر الاقتصادي نشهده في واقعنا اليوم، فنرى دول الغرب ذات  
الاقتصاد القوي لها الهيمنة والسلطة والتحكم في تلك الدول الضعيفة مع أن مقومات نصرها  
الاقتصادي مبني على ثروات الأمة المسلمة المستضعفة.

وقد أورد السياق القرآني خطة النبي يوسف الاقتصادية، قال تعالى: ﴿وقال الذي نجا  
منهما وادكر بعد امة أنا انبئكم بتأويله فارسلون. يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات  
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع إلى الناس لعلمهم  
يعلمون، قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم  
يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن إلا قليلاً مما تحضون ثم يأتي من بعد ذلك عام  
فيه يفاث الناس وفيه يعصرون» (يوسف: ٤٦-٤٩).

أن يوسف الصديق فسر رؤيا الملك منظماً خطة اقتصادية من خلال ذلك التفسير.

يقول محمد رشيد رضا: "قال يوسف مبيناً للملأ ما يجب عليهم فعله لتلافي ما تدل  
عليه هذه الرؤيا من الخطر على البلاد والعباد، قبل وقوع تأويلها الذي بينه في سياق هذا

(١) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ٤ ص ٤١٢، مرجع سابق.

التدبير العملي، وهذا ضرب من براعة الاسلوب والايجاز، لا تجد له ضربياً في غير القرآن، خاطب أولي الامر بما لقنه للساقي خطاب الامر للمأمور والحاضر، فاجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دابا مستمراً، كما قال تعالى: «وسخر لكم الشمس والقمر دائبين». سبع سنين بلا انقطاع، قال الزمخشري: تزرعون: خبر في معنى الامر كقوله تعالى: «تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون» وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب المأمور به، فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الامر قوله: فما حصدتم فدروه في سنبله أي فكل ما حصدتم منه في كل زرع فتركوه أي ادخروه في سنبله بطريقة تحفظه من السوس بعدم سريان الرطوبة اليه: الحب لغذاء الناس والتبن لغذاء البهائم والدواب. إلا قليلا مما تأكلون في كل سنة من هذه السنين مع مراعاة القصد والاكتفاء بما يسد حاجة الجوع". (١)

ويقول سيد قطب: "ثم يأتي بعد ذلك شبع شداد" لا زرع فيهن" "ياكلن ما قدمتم لهن"، وكان هذه السنوات هي التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها لشدة نهمها وجوعها، "إلا قليلا مما تحصدون"، أي إلا قليلا مما تحفظونه وتصونونه من التهامها، ثم تتقضي هذه الشداد العجاف المجذبة، التي تأتي على ما خزنتم وادخرتم من سنوات الخصب، تتقضي ويعقبها عام رخاء، يغاث الناس فيه بالزرع والماء، وتتمو كرومهم فيعصرونها خمراً، وسمسمهم وخسهم وزيتونهم فيعصرونه زيتاً. وهنا نلاحظ أن هذا العام الرخاء لا يقابله رمز في رؤيا الملك فهو اذن من العلم اللدني الذي علمه الله يوسف، فبشر به الساقي لبيشر الملك والناس بالخلاص من الجذب والجوع بعام رخي رغيد". (٢)

أن خطة سيدنا يوسف بمصر كانت خطة تطوير اقتصادي ونهوض يحمي الامة من السقوط مهتما بعناصر عدة "فنجده قد حدد الاهداف في مضاعفة الانتاج وتقنين الاستهلاك أو ترشيده ثم تخزين الطعام، وهذا يقتضي خطة تفصيله لان الهدف العام الكبير ليس شيئاً إن لم يقترن بخطته التفصيلية وهنا ياتي دور السياسات والوسائل والادوات والموارد البشرية والاجراءات والبرامج والموازنة التقديرية". (٣)

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المناري، ج ١٢، ص ٢٦٤، مرجع سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٩٤، مرجع سابق.

(٣) أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان ١٩٨٩، ص ٤١٥.

يقول عبد العزيز كامل حول النهوض الاقتصادي الذي حققه يوسف الصديق لمصر:  
"يفسر يوسف الرؤيا ويقسمها الى ثلاث مراحل:

١. تزرعون سبع سنين دأباً...

٢. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد...

٣. ثم يأتي من بعد ذلك عام...

هذه الخطة التي تستغرق خمسة عشر عاماً أن رؤيا الملك فيها تقتصر على المرحلتين الأولى والثانية، ومدتها معاً أربعة عشر عاماً. وان المرحلة الثالثة لم ترد في رؤيا الملك ولذلك كانت من مقام النبوة وكذلك تفاصيل العمل في المرحلتين الأولى والثانية.

ولنعرض ملامح هذه الخطة الطويلة:

١. الطابع الغالب على المرحلة الأولى هو: الانتاج والادخار مع استهلاك محدود، فيوسف حدد خط الانتاج بالزراعة وحدد استمرار الانتاج الزراعي بسبع سنين العمل فيها دائب لا ينقطع، ومع هذا الجهد الكبير في الانتاج المستمر كان هناك تحديد واضح للاستهلاك.

٢. فإذا ما انتهت سنوات الانتاج، بما فيها جهد متصل واستهلاك محدود، كان على الخطة أن تقابل تحديداً ضخماً هو توفير الاقوات سبع سنوات عجاف، وبعبارة اخرى: بعد الانتاج والجهد الدائب في المرحلة الأولى سيأتي تحمل ايضاً في المرحلة الثانية وهو تحمل يحتاج الى تنظيم دقيق يصل فيه الطعام الى كل فم.

٣. ومع هذا التحمل والتنظيم الدقيق، ينبغي إلا تأتي السنوات العجاف على كل المدخرات مكان الجزء المدخر هو "الخميرة" التي تستطيع بها الأمة أن تقابل متطلبات البذر الجديد بعد السنوات العجاف، أي إعادة استثمار المدخرات. وسيدنا يوسف وازن بين ثلاثة جوانب: الأول: الانتاج، والثاني: الاستهلاك والثالث: الادخار، وأن يعيد استثمار المدخرات".<sup>(١)</sup>

ومؤشرات النصر الاقتصادي الذي تحقق للديار المصرية في عهد سيدنا يوسف، واضحة فقد اصبحت متجه كل الجوار قال تعالى: ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل

(١) أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص ٤١١ - ٤١٢، (باختصار)، نقلا عن عبد العزيز كامل، مواقف اسلامية، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩١٩، ص ٨٣-٨٦.

فأرسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون. قال هل أمنتكم عليه إلا كما أمنتكم على اخيه من قبل فالله خيرا حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم. قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ [يوسف: ٦٣-٦٥].

وبعد ذلك يوالي السياق القرآني الصب في مجرى القصة الاساسي، قصة يوسف عليه السلام.

### المبحث الرابع: النصر السياسي:

يمثل النصر الإعلامي صورة من صور العنصر المعنوي الهامة وتتضاعف أهميته في هذا العصر، فالحروب الاعلامية متشعبة تلقي بظلالها على امتنا من كل حذب وصبوب وهي تسعى لأن تضيع للامة ما بقي من شخصيتها وتلقي انفاسها فتركذ جثة هامة تزيد الهزيمة من ثقلها.

وقد أورد السياق القرآني هذه الصورة من النصر، وهو نصر لا تتجرد فيه الاسلحة من اغمدها وإنما تظهر فيه الاسلحة النفسية وحسن استخدام طبائع النفس من خوف ورهبة أو حزن أو فرح أو غيرها في هذا النصر، وهذا النصر السياسي الاعلامي هو نفسه ما يعبر عنه بالحرب الباردة في العصر الحالي وهو ما نشهده بين كثير من الدول وقد استخدم النبي مخابئ النفس ومكنوناتها في تحقيق النصر على قريش في صلح الحديبية، وهو نصر اعلامي عظيم كان مقدمة أو مفتاحا لفتح مكة موطن قريش وموطن النبي محمد ﷺ .

فقد رأى رسول الله ﷺ رؤيا وعبر عنها السياق القرآني في سورة الفتح، قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ [الفتح: ٢٧]. هذه الرؤيا كانت الداعي الذي دعى النبي محمد ﷺ لقصد مكة زائرا واستجاب المسلمون له فجهزوا انفسهم وساروا معه وقد ابطأ كثير من الاعراب عن استنفار النبي.

قال ابن اسحاق: "وهو يخشى من قريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فابطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين



والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى، واحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربـه، وليعلم الناس أنه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له".<sup>(١)</sup>

إن سوق النبي ﷺ الهدى واحرامه له معنى تعبدي كبير، فالناس عندما يرونهم بهذا الحال يعلمون ان هدفهم ليس حربي وانما هو ديني، ومكة مقصد العرب في الجاهلية والإسلام، ولك أن تتدبر هذا الموقف المليء فطنة وذكاء نبويا.

ولما ذاع خروج النبي ﷺ إلى مكة ووصل قريش اعدت عدتها للحرب حتى قال النبي ﷺ شفقة بهم: "يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فان هم اصابوني كان الذي ارادوا وأن اظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين"<sup>(٢)</sup>.

وعمد النبي إلى تغيير مسار طريقه نحو مكة وهذه خطة تعتبر "بمثابة عملية للتمويه والتغطية الاعلامية واثارة الحرب النفسية ولفت الانتظار وتوجيه الافكار إلى ما يخدم اغراض واهداف الرحلة"<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا بعد عن الصدام المسلح حتى لا تراق الدماء في تلك البقعة الطاهرة "وقد تكون أول ثمرة من ثمرات هذه الخطة الاعلامية الناجحة هو ايجاد البلبلة في صفوف قريش المرابطة على الخط الرئيسي بين مكة والمدينة ومن ثم قلب هذا الوضع العسكري عند قريش مما جعلها في موقف المدافع بدلا من موقف المهاجم، فلا تدري من أي جهة سينقض عليها المسلمون وهو وضع يضعف قوتها"<sup>(٤)</sup>.

وقد ارسلت قريش عدة مفاوضين للنبي ﷺ حتى يرجع عن مكة ولا يدخل حرما صافا منها وكبرياء امام قبائل العرب، فهي على يقين بانه لن يأتيها إلا زائرا معتمرا يسوق الهدى امامه.

وتتابع المفاوضات على المسلمين وكان آخرهم سهيل بن عمرو الذي وقع الصلح مع النبي ﷺ بعدما علمت قريش أن اصحاب محمد بايعوه على الموت "بيعة الرضوان".

وكان أهم بنود الصلح: تأجيل العمرة للعام القادم، وأن تضع الحرب اوزارها عشر سنين يأمن فيها الطرفان، ومن أراد أن ان يدخل من العرب في حلف محمد فليندخل ومن اراد أن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٢٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٢٩، مصدر سابق.

(٣) المصدر ذاته، ج٢، ص ٢٣٠، مصدر سابق.

(٤) سليم حجازي، منهج الاعلام الاسلامي في صلح الحديبية، الطبعة الأولى، دار المنار جده ١٩٨٦، ص ٨٦

يدخل في حلف قريش فليدخل، ومن أتى محمدا مسلما من قريش رده إليهم، ومن أتى من قريش من المسلمين مرتدا فليس للمؤمنين المطالبة به".<sup>(١)</sup>

"وننتج هذا الصلح لم تنحصر على المسلمين وقريش فقط. بل انعكست نتائجه أيضا على قبيلتين من اعظم القبائل العربية المجاورة للحرم، وهما (خزاعة وبنو بكر) فقد انتهى هذا الصلح حالة الحرب القائمة بين هاتين القبيلتين لمدة عشر سنوات ودخلت قبيلة بني خزاعة في عهد المسلمين ودخلت قبيلة بنو بكر في عهد المشركين القرشيين"<sup>(٢)</sup>.

ومظاهر النصر الاعلامي السياسي في صلح الحديبية أجمله فيما يلي:

"أولا: لقد تفرغ المسلمون لنشر الدعوة في الجزيرة العربية وخارجها، إذ بعد توقف الحرب وحصول السلم أخذ الرسول ﷺ يرسل الدعوة والسفراء إلى الامراء والرؤساء والملوك يدعوهم بدعوة الاسلام .

ثانيا: لقد تفرغ المسلمون لعدو لثيم تجمعت فلوله في خيبر إذ دخل إليها بنو فينقاع ويهود بني النضير، وصارت خيبر وكرا لمؤامرات اليهود يكاد فيها للإسلام والمسلمين.

ثالثا: استطاع الرسول ﷺ بعقده الصلح مع قريش ان يفصل بين قريش والقبائل العربية الاخرى في الجزيرة العربية، ومن هذه القبائل ما كان طامعا في المسلمين وعدو لهم، لقد تفرغ الرسول ﷺ لهذه القبائل بعد ان عزلها عن قريش، وسير لها السرايا تلو السرايا وغزاها في عقر دارها وخض شوكتها.

رابعا: الاعتراف بالكيان السياسي للمسلمين ، إن مشركي مكة الذين طردوا المسلمين من مكة واستولوا على ديارهم واموالهم واضطهدوهم لم يكونوا يعترفون لهم ولا لدينهم بالوجود وإذا بهم اليوم يعترفون بكيان سياسي للمسلمين، يقف معهم على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.

خامسا: إن الرسول ﷺ والمسلمين لم يتراجعوا عن مطلبهم وهو زيارة بيت الله الحرام والطواف به، والسعي بين الصفا والمروة ولم تنص الاتفاقية على حرمانهم من حقهم المشروع بل انها تنص على ثبوت هذا الحق لهم، ويجب أن يؤده بعد عام وقد أدوه فاعتمروا.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٦، مصدر سابق.

(٢) سليم حجازي، منهج الاعلام الاسلامي في صلح الحديبية، ص ١٩٠، مرجع سابق.

سادسا: بعودة الرسول ﷺ والمسلمين دون أداء النسك قد أظهر المشركين على حقيقة أنهم ليسوا أهلا لسدنة هذا البيت، ان النبي يعظم هذا البيت ويمتنع عن سفك الدماء فيه، فقد ربح من حيث خسر المشركين.

سابعا: إن ارجاع المسلم الفار بدينه الى مكة سمح للمستضعفين أن يشكلوا عصابة قوية ارهقت قريش مما جعلتها ترجوا رسول الله أن يلغي ذلك البند ويقبل هؤلاء كما كان هذا عوناً للمؤمنين على المشركين فينقل اليهم تحركات المشركين واخبارهم واما عدم ارجاع قريش من جاءها من المسلمين مرتدا فهذا المرئد لا فائدة في بقاءه في المجتمع الاسلامي بل قد تكون الفائدة في تطهير المجتمع منه وابعاده عنه، لانه سيكون عامل فتنة في المجتمع ومعمل هدم فيه.<sup>(١)</sup>

وهذا النصر ادى إلى نصر أكبر عندما فتحت مكة بسبب نقض المشركين قريش وحليفاتها قبيلة بنو بكر العهد مع المسلمين وحلفاؤهم من بني خزاعة، فجهز النبي ﷺ جيشا للفتح.

\* \* \* \* \*

(١) محمد أبو فارس، غزوة الحديبية، دار الفرقان - عمان، ط١ ١٩٨٤، ص ١٢٠-١٢٧.

**الفصل الثالث**  
**الآيات الواردة في ثمار نصر المؤمنين**  
**في حياة الأمة**

اقامة هذه القاعدة حتى مع الاعداء ولتجلي فكرك في عظمة هذا الامر قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شننان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨].

وايضا كقاعدة الشورى التي يتم من خلالها الاخذ بأفضل اراء ابناء الامة. ووجهات نظرهم في القضايا التي لا نص فيها وما اكثرها مع تطور الحياة فيصلوا بذلك الى احسن النتائج، فالرأي الصادر عن جماعة من اهل الشورى اكثر صوابا وخصوصا ان الناس عقولهم متفاوتة فلا يوجد عقلان متشابهان فافهام الناس مختلفة ومداركهم مختلفة وكل يدلي بدلوه، قال تعالى: ﴿وامرهم شورى بينهم﴾ [الشورى: ٣٨] وفي بيان اهمية هذه القاعدة الجلية ودورها في احقاق الحق في حياة الامة امر الله سبحانه ونبيه الكريم المعصوم عن الخطأ بمشورة أمته، وفي هذا احترام لارادة الامة مما يعود عليها بثمره احقاق الحق وابطال الباطل والسنة النبوية تزجر بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم امته.

والامة المسلمة لا تستطيع ان تسعى لتطبيق هذه القواعد في المجتمع والقضاء على الباطل الا اذا كانت قوية منتصرة، أما اذا كانت مهزومة فلك أن تتخيل مقدار الباطل المنتشر وانتفاشه على الحق الذي يصغر امام هذا الباطل ان كل ميادين الحياة تشهد انتفاشة الباطل بكل صورته ففي الميدان الاجتماعي حقوق أبناء الامة مهدورة هنا وهناك، وفي المجال الاقتصادي ثروات الامة تطولها يد الباطل ثم تمن علينا بها وفي المجال الاعلامي ترى الباطل بصورة الحق، وفي المجال السياسي ترى الباطل له الرياسة والسلطة والعلو في حين الحق مدحورا ضعيفا هزم أصحابه فخبأ ضياؤه وانزوى يرجو نصرهم.

فقد كانت امة الاسلام منتصرة رداً طويلاً من الزمان سعدت الامة بالحق المقام في ارجائها الذي جعلها تعامل اعدائها بقواعد ديننا العادل، ودليل ذلك "وجود الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين الى اليوم فهو دليل ساطع على التسامح الذي مارسوه مع هذه الاقليات على الرغم من مرور اربعة عشر قرناً على حكم المسلمين لهذه البلاد. بيد اننا نرى الصورة عكسية في الاندلس (اسبانيا) حالياً التي مرّ عليها حكم ثمانية قرون للمسلمين والنصارى يعيشون معهم بأمان واطمئنان فلما انقلبت اوربا النصرانية عليهم وغلبتهم أبادوا خضرائهم وسحقوهم بحقد صليبي أحمر وفتحوا محاكم التفتيش ومسحوا عن وجه ارض الأندلس وجود أي مسلم".<sup>(١)</sup>

(١) تيسير خميس العمر، العنف والحرب في الاسلام، الطبعة الأولى، دار الافاق، دمشق ١٩٨٦، ص ٢٦٨.

وبالنصر تستطيع الامة ان تنتصر على جيش العملاء "هذا الجيش الموجه لخلخلة العقيدة في النفوس بشتى الاساليب في صورة بحث وعلم وادب وفن وصحافة وتوهين قواعدها من الاساس)) (١).

وهذا الجيش هو الذي يمثل جبهة النفاق والذي يسعى للباطل يسهل تأديبه واخذ الحذر منه لان ظهورهم في الشدة اوضح فالشدة هي التي توضح اهدافهم وتكشفها، فلا بد من الحذر منهم واتخاذ العيون عليهم لايقاف نشاطهم في صفوف الامة فلا يكونوا كالسوس الذي ينخر في عظمها.

ان الامة المسلمة من خلال انتصارها تقر دين الله في الارض وتحفظه وتدعو اليه الناس جميعا، ولا يكفي ان يكون المسلم مهتدياً سائراً على طريق الله وحده، بل لابد وان يقوم بواجب الدعوة واصلاح وهداية غيره من المسلمين وذلك لعدة اسباب هي:

"أولاً: ان الله تعالى ارسل رسوله ﷺ الى الناس جميعا ورسالته باقية الى يوم الدين ومقصدها هداية الخلق اجمعين ليفوزوا بالسعادة في الدارين، وقد بلغ عليه الصلاة والسلام رسالة ربه فكان لابد للمسلمين من النهوض من بعده وتبليغ دعوة الاسلام الى اهل الارض.

ثانياً: ان بقاء الشرك يؤثر عاجلاً أو آجلاً على معاني الاسلام القائمة في أي جانب من جوانب الارض فقيام المسلم بدعوة أهل الشرك الى الله يفيد ويقيه شرور الكفر.

ثالثاً: دفع الهلاك والعذاب عن المسلمين" (٢) قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] والامة المنتصرة عندما تقوم بواجب الدعوة تعمل على وقف الغزو الفكري والذي يتمثل بصور عديدة كالاستشراق والتبشير وغيرها، فتعمل على دفن حقد وضراوة اعداء الاسلام وتجعل للإسلام راية خفاقة في الارض.

وما ابهى ان يحيا المسلمون في الدنيا في ظلال الامة وهي منتصرة مستظلة بظلال الحق لكن امتنا ضعيفة الآن انتشر فيها الباطل انتشاراً يملُ القلب من ذكره ويصعب على اللسان حصره نسأل الله تعالى ان يعينها من أجل النهوض من هذا الضعف فتعود قوية كما كانت منيرة الدنيا ببهاء الحق.

(١) جمعة أمين ، الفريضة المفترى عليها، الطبعة الأولى، دار الدعوة، الاسكندرية ١٩٩٧، ص ٣٩٦.  
 (٢) محمد السيد محمد يوسف، التمكين للامة المسلمة في ضوء القرآن، الطبعة الأولى، دار السلام. مصر ١٩٩٧، ص ٩٧-٩٨.

## المبحث الثاني تحقيق الأمن في شتى مجالات الحياة:

ان امن الامة المسلمة في اراضيها من اعظم النعم واجلها، والامة عندما تكون منتصرة قوية عزيزة بايمانها بالله سبحانه تستطيع السعي لتحقيق الامن في ارجاء اراضيها وبقوة، فيطمئن الفرد والاسرة والمجتمع كله ويحيوا حياة طيبة في اوطانهم لا يخافون على اراضيهم من ان يغتصبها كافر جاحد ولا يخافون على انفسهم واموالهم واعراضهم ودينهم وعقولهم ونسلهم من ان يتعدى عليه، وهذا الامن الذي يتحقق للامة المنتصرة يفتح الطريق للمؤمنين ان يسعوا في هذه الارض عاملين راجين ثواب الله سبحانه وأمانة في الآخرة.

ولا يمكن للمؤمنين ان يعيشوا آمنين ما دامت امتهم هزيلة تعيش الهزيمة وتتفلسفها مع كل نفس تأخذ في هذه الحياة فلا ترى الا الخوف والفرع الذي يعيشه أبناءها اعينهم تترقب وقلوبهم وجلة من انتفاش الباطل واهله.

وكلما تطورت الحياة ومرت عليها السنون كلما زادت مصادر الخوف والفرع مما يوجب على الامة تحقيق سبل الامن للمؤمنين كأفراد وكجماعات بغير "فتطور المجتمعات وتغاير العصور والاختلاف هي مقومات الواقع، كل ذلك في مصادر الخوف والقلق الاجتماعي ومن ثم يستدعي التجديد في "سبل" و آليات الامن التي يواجه بها الاجتماع الاسلامي جديد الخوف والقلق الذي يغتال طمأنينة الانسان".<sup>(١)</sup>

وحتى يعطي المؤمنون جهودهم ووقاتهم وطاقتهم لابد ان تحقق لهم الامة الامن وهو من متطلبات الحياة الاساسية، فقد قرنه الله سبحانه مع حاجة الانسان الى الطعام، مما يدل على عظيم اهميته وجليل قدره، قال تعالى: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [سورة قريش: ١-٤].

مما يدل على اهتمام السياق القرآني بأمر الامن ذكره نبي الله ابراهيم عليه السلام وهو يدعو ربه متضرعا بأن يجعل مكة المكرمة بلداً آمناً قال تعالى: ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً﴾ [البقرة: ١٢٦]. ومكة هي البلد الامن من كل البلاد وهذه نعمة خص الله بها سبحانه مكة، وعندما يلزم الخوف الامة المؤمنة فلا بد ان تستعيد بذكرتها سبب ذلك وستجده حتماً: انه الاعراض عن طريق خالقها قال تعالى: ﴿ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكى ونحشره يوم

(١) محمد عمارة، الاسلام والأمن الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٣.

القيامة أعمى» [طه: ١١٤]. والخوف يشكل ضيقاً وضنكاً عظيماً يجثوا على صدر الأمة ولا بد لها من ان تزيله بالسير على نهج ربها وتتابع مسيرتها في طريق الايمان. ولننظر مما في بصيرتنا الى خطورة التكب عن نهج الله القويم قال تعالى: «وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع بما كانوا يصنعون» [النحل: ١١٢].

انظر إلى لباس الخوف الذي ترتديه الأمة في هزيمتها، هل يقبها من قر أو حر وهل يقوم لجسمها قائمة به، لا بد وأنه لباس تأنفه وتستعيز منه السنة الذاكرين.

"والنص يسم الجوع والخوف فيجعله لباس ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقاً لان الذوق اعمق اثراً في الحس من مساس اللباس للجلد، وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف حس الجوع و الخوف والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس".<sup>(١)</sup>

والامة في نصرها ترتدي لباس الامن والطمأنينة ذاك الامن الذي يعم كل نواحي الحياة، الامن الشامل الذي يأمن به العباد على انفسهم وحياتهم والذي تأمن به الامة على اوطانها وأراضيها "فهو امن ينظم عدداً من الجوانب ولا يختص بالجانب الذي قصره كثير من الناس عليه بل يتجاوزه ليشمل الامن العقدي، والامن النفسي، والامن الفكري، والامن الاقتصادي، والامن الاجتماعي، ونحوها مما يعتبر الامن مطلباً ضرورياً فيه".<sup>(٢)</sup>

وكل انواع الامن السالفة الذكر لا يمكن ان تتحقق الا اذا كانت الامة منتصرة اولا ومحقة الامن على شتى اراضيها من كيد الاعداء من اغتصاب او استلاب بعض الارض.

"لذلك لا سبيل الى اقامة الامن للانسان الذي يريده الاسلام الا بوطن آمن يكون الوعاء الذي يأمن فيه الانسان على اسلامه ويحقق فيه الاسلام الامن لهذا الانسان".<sup>(٣)</sup>

والامة المنتصرة تستطيع ان تحقق الامن في ذاك المجتمع الذي يرتبط برابطة العقيدة ورابطة الاخوة قبل أي رابطة اخرى، فرابطة العقيدة تضيق كل انواع الروابط امامها وتذوب فلا تبقى لها قائمة في نفوس المؤمنين كرابطة اللون او الجنس او اللغة. والامن يمثل نوع من

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢١٩٩، مرجع سابق.

(٢) عبد الله الشيخ المحفوظ، خطاب الأمن في الإسلام، الطبعة الأولى، أكاديمية نايف للعلوم الامنية، الرياض، ١٩٩٩، ص ٣.

(٣) محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، ص ١١١، مرجع سابق.



تكريم الله لعباده المؤمنين "وفي ظلال الامن والطمأنينة يؤدي كل فرد واجبه على احسن ما يكون وتؤدي كل جماعة واجبها على احسن ما يكون"<sup>(١)</sup>.

"ففي جو الامن تتبلور المواهب ويجد الفكر الانساني فرصة سانحة لبيدع ليتعامل مع محيطه ليعمل ذهنه فيما يشاهد من حوله من مخلوقات ليكتنه كنهها فيشيد العمارة الجميلة والمباني الشامخة وليخرج خبيئ الأرض وباختصار فهو يعمر الكون عمارة جميلة جديدة بهذا المخلوق المنتصب القامة الذي زوده الله بالعقل وجعله خليفة في الارض"<sup>(٢)</sup>.

اما اذا انعدم الامن فلن يكون الانسان منشرح الصدر مندفعاً الى العمل نشيطاً، بل يكون كسولاً بسبب فقد الطمانينة، فلا يتحقق ازدهار ولا تقدم في الامة، لان كل ما يعمل به سعياً للازدهار والتقدم معرض ان يفقده في اية لحظة فيبقى لذلك قلق النفس حائر القلب مرعوب الفكر، الخوف يصادر الخير الكامن فيه لذلك لا تقدم ولا ازدهار ولا رقي وهنا يكمن دور الامة المنتصرة ان تقضي على كل خوف وتحقق الامن للناس سالكة منهج الاسلام القويم، الذي يجعل من اولى اهتماماتها عونه ركنا تسعى اليه الامة أفراداً وجماعات عبر التاريخ حتى لا يتهددها. لا يهددها عدو ولا يحدق بها خطر ولا ينال منها الباطل بتأمرها عليها. والامن كما هو من نعم الله سبحانه في الدنيا فهو من نعمه في الآخرة قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون﴾ [الاسلام: ٢٨٢]. وقال تعالى: ﴿ان المتقين في مقام امين﴾ [الدخان: ٢٥١]. وحتى ندرك عظم شعور المؤمنين بالامن، وان يُظل الامة بظلاله، لابد وان يجيل الانسان فكره سريعاً بعصور الاسلام الاولى "حيث كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه واصحابه بمكة مكثوا نحو من عشر سنين يدعون الى الله وحده، و الى عبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى امرهم الله تعالى بالهجرة الى المدينة وامرهم بالقتال، وكانوا خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله تعالى ان يصبروا"<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك ابدلهم الله بعد الخوف امناً فظهروا على جزيرة العرب ومن ثم خرجوا فاتحين منيرين الدنيا بنور الاسلام مقيمين دعائم الحق فكان فضلهم لا ينكر على مر الزمان.

(١) أحمد عمر هاشم، الامن في الإسلام، دار المنار ١٩٨٦ الأزبكية، ١٩٨٦، ص ٢٧.

(٢) عبد الله الشيخ محفوظ، خطاب الامن في الإسلام، ص ٢٦، مرجع سابق.

(٣) أحمد عمر هاشم، الامن في الإسلام، ص ١٨، مرجع سابق.

وفي هذا الزمان لو تم عمل استفتاء بين المؤمنين حول مدى شعورهم بالامان وعدم الخوف بصدق وصفاء سواء امنهم على مستوى كونهم افرادا او على مستوى امة ماذا ستكون النتيجة!!!!!!

اذا لا بد لنا من العودة الى منهج الله والسعي لتحقيق النصر باستيفاء اسبابه ومن ثم يأتي دور تحقيق الامن في جميع المجالات ولك ان تتخيل نتيجة الاستفتاء حول شعور الاممة بالامن. ولا يغرننا الاعلام الغربي عندما يصور لنا مدى الامن الذي تعيشه امتهم المنتصرة ماديا بل علينا ان نسألهم كم هم الافراد الذين يعيشوا هذا الامان بحق ويشعرون به وتقر به نفوسهم عندئذ فقط نستطيع ان نقدر قيمة الامن الحقيقية عندهم، ولنا ان نسترشد في الوصول الى ذلك بمراكز الطب النفسي عند تلك الامم وكم هو نسبة روادها من ابنائها.

### المبحث الثالث: تحقيق استخلافه الانسان في الارض:

"ان امر الخلافة فكرة تفرد بها الاسلام، فلم تدع اليها عقيدة سواه، ففي الاسلام مبادئ وقواعد تضمنتها الاديان والعقائد الاخرى كالبعث والحساب والنبوة ووحدة البشر والمساواة بين الناس والعدل، مع تسامي الاسلام في هذه المفاهيم ولكن مبدأ خلافة الانسان لله هي عقيدة تكشف عن انسانية الاسلام الشاملة عن نظرتة المحيطة للكون، ورفع مقام الانسان أعلى عليين والمناداة به سيدا لهذا الكون بلا طغيان ولا استئثار بالخير بل ليكون خيرا عاما لكل ما في الكون من مخلوقات الله"<sup>(١)</sup>.

فقد اسند الله تعالى الخلافة لأدم عليه السلام واخبر الملائكة بذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>[البقرة: ٣٠]</sup>. وهذا الاستخلاف انما هو تكريم وتفضيل لادم عليه السلام من خالقه عز وجل فقد جعل الله في ادم وذريته الاستعداد لأمر الخلافة التي هي اشرف منزلة في الكون لانها نيابة عن الله سبحانه وتعالى في اعمار الارض واصلاحها وهذا هدف ينبغي لتحقيقه قوة كبيرة وامة منتصرة، اما الامة المهزومة فلن تستطيع ان تحقق اعمار الارض بدين الله سبحانه. وقد سخر الله سبحانه كل ما في الكون للانسان عوناً منه سبحانه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>[الن: ٣٠]</sup>. فالمؤمنون مسيطرون على الارض بكل ما فيها ومستأمنون لتتفـيـذ

(١) محمد طيبيات، الانسان في القرآن، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٣٥.

مهمة الاستخلاف وهذا يستوجب شكره سبحانه على هذا الفضل والكرم والمنة قال تعالى: ﴿هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها﴾ [مرد:٦١].

قال الزمخشري: "استعمركم فيها" امركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه<sup>(١)</sup>.

ومما يشير إلى أهمية الاستخلاف وجوب تحقيقه ان مادة الخلافة وردت في السياق القرآني مرات عديدة قال تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ [فاطر:٣٩]. وقال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم﴾ [الانعام:١٦٥]. وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم انما يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر من بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:٥٥].

وتعتبر هذه الآية من علامات النبوة فقد استخلف الله المؤمنين في عهد النبي ﷺ ومكن لهم دينهم في الارض وعبدوه سبحانه بأمان بعدما كانوا خائفين "والخلافة ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الاصلاح والتعمير والبناء وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه الى مستوى الكمال المقدر لها في الارض اللائق بخلقة أكرمها الله.

ان الاستخلاف في الارض قدرة على العمارة والاصلاح، لا على الهدم والافساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتفاع بالنفس والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة الى مدارج الحيوان. وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعدهم ان يستخلفهم في الارض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم. وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها، فقد وعدهم الله ان يستخلفهم في الارض ويجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الارض، ودينهم يأمر بالاصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الارض، ويأمر بعمارة هذه الارض، والانتفاع بكل ما اودعها الله من ثروة، ومن رصيد، ومن طاقة، مع التوجه بكل نشاط فيها الى الله<sup>(٢)</sup>.

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٢٧٨، مرجع سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٢٧٨، مرجع سابق.

كما وعد سبحانه الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالأمن بعد الخوف فيتغير حالهم من الضيق إلى السعة. وامتنا في هذا العصر بعدت بها الشقة عن الشروط الواردة في هذه الآية الكريمة من الإيمان الصادق والعمل الصالح لذلك ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت فلم يستطيع ان تقوم بواجب الخلافة الموكل لها، فضيقت التكريم والتكليف بعجزها وهزيمتها التي تحياها.

ومما يذكر ان الله سبحانه عندما استخلف الناس لم يجعلهم بهذا الاستخلاف يفعلون ما يريدون دون رقيب او حسيب، لا وانما قصر ذلك الاستخلاف على الاهتداء بهدية فيؤمنوا به ويوحده فلا يجعلوا معه شريك ويطيعوه فيما يأمرهم به ويتجنبوا ما ينهاهم عنه مع فتنة الشيطان وكيد. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا فَمَا يَأْتِيكُمْ مِنْهُ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩]. وقد جعل الانسان اثناء استخلافه مرتباً بسنن عديدة يخضع لها ويسير وفقها بالاضافة الى امداده بما يؤهله للقيام باعمار الارض خير اعمار كالعقل الذي يعد من اعظم نعم الله، به يميز الانسان بين الخير والشر، بين الحق والباطل وبه يحصل العلوم التي تعتبر عاملاً أساسياً لقيام اعمار الارض.

وكالإرادة ايضاً، ومن الناس من تتغلب فيه ارادة الخير على الشر ومنهم العكس، وكل مجازي بما يختار لان كل فرد مستخلف ويعد خليفة لله ونائباً له على هذه الارض، "فعمارة الارض له عليه السلام - أي لأدم- ولذريته، وليست له وحده، وكذلك التكليف والتكريم لأدم عليه السلام انما هو تكريم للانسانية عامة".<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الاحزاب: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: ٧٠].

ان قدرة القيام بالخلافة بالنسبة للامة يرجع الى مدى النصر الذي تحققه امام الباطل واهله والذين يمثلون الاغلبية في الارض، وقد سعت الامة المسلمة في العصور السابقة الى اعمار الارض بدين الله فتوسعت الدولة الاسلامية وكثر رعايا المؤمنون فأصبحوا دعاة يهدون غيرهم الى توحيد الله سبحانه كل منهم حسب الميدان الذي يعيش فيه، "فكل مسلم في المجتمع الاسلامي

(١) عبد الرحمن المطردي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، الطبعة الأولى، مكتبة وهبه القاهرة، ١١٩٠ ص ٣٣٧.



الحضارة مصادر مهمة هي الوحي الالهي من جهة، وجهود العرب واصحاب البلاد التي فتحها المسلمون من جهة اخرى، فالحضارة العربية الاسلامية نتاج الوحي والشعوب الاسلامية، وهذا يؤيد ضرورة الوحدة الاسلامية فكل المسلمين لهم دور في ابداع هذه الحضارة الاسلامية عندما شرحوا القرآن الكريم وطبقوا توجيهاته في حياتهم الخاصة والعامة".<sup>(١)</sup>

وقد تعرضت حضارة الامة المسلمة لكثير من التيارات المناوئة التي حاولت النيل من مسيرتها الحضارية الا انها باءت بالفشل لان الاسلام يحمل كل المقومات الحضارية، "ولم يكن الاسلام حضارة عنصرية، لان الدعوة الاسلامية في جوهرها دعوة عالمية لا تعرف التقييد العنصري بل ولا تقبله، ومن ثم اندفعت الدعوة الاسلامية تبليغ الرسالة في مشارق الارض ومغاربها".<sup>(٢)</sup>

والتساؤل الذي يفرض نفسه الآن، لماذا توقفت الحضارة الاسلامية عن النمو وفرغ اناؤها وما لها من عراقة شهد بها العدو قبل الصديق؟ والجواب ان الامة المسلمة بنت هذه الحضارة عندما كانت قوية منتصرة فلم تتجاوز في بنائها قرنا من الزمان في حين حضارات اخرى استغرق بنائها قرون ولم تمد اجنحتها في الارض كما مدت الحضارة الاسلامية اجنحتها. والامم في حال الهزيمة ومنها الامة المسلمة لا يمكن ان تقدر على بناء حضارة والعدو ينهشها من كل جانب، وروح الهزيمة تنقلها فتبقيها مرتبطة بالارض متناقلة عن النهوض. "ان الصراع الذي ظهر في جزيرة العرب عندما بدأت بواكير الدعوة الاسلامية كذلك والتحديات الخارجية كان لابد ان يصطدم بها الاسلام اثناء دعوته ادى ذلك إلى ان يكون للمسلمين قوة تحمي ظهورهم وطاقة حربية كبيرة تدفع عن الاسلام التحديات التي تجابهة ومن هنا نشأت فلسفة اعداد القوة العسكرية الاسلامية كوسيلة من وسائل الدعوة، وتحصينا عن الكيان الاسلامي وليس معنى هذا ان القتال كان هو الوسيلة الوحيدة التي استخدمتها الدعوة الاسلامية، وانما كانت دعوة الاسلام السلمية إلى الاسلام ونبذ القتال هي الوسيلة التي تسبق استخدام القوة في الدفاع عن الدعوة الجديدة التي لا بد وان تفرض حدودها والا تعرضت للاستئصال".<sup>(٣)</sup>

فمن اجل ان تبقى الحضارة قائمة لا بد من قوة تحميها وتدافع عنها فاذا انعدم وجود هذه القوة دخلت الامة في طور الهزيمة التي يتبعها انهيار حضارتها رسماً رسماً وقد دخلت الامة

(١) أحمد شبلي، صراع الحضارات، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣٢.

(٢) سليمان الخطيب، اسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ص ٢٣٠، مرجع سابق.

(٣) المرجع ذاته، ص ٢٣٠.

المسلمة هذا الطور في هذا العصر شغلها تباكيها على حضارتها الماضية و بدل نفض الغبار الذي اصاب روحها وطمس معالم النصر فيها فبادت تبطلق بمأقبيها الى حضارة الغرب المادية ورفعته فيها وتبدي اعجابها بما رأت، وما علمت ان حضارة الغرب غاب عنها بل مفقود منها العنصر الروحاني الايماني الذي هو عماد النصر الحقيقي والحضارة الحقيقية، ولذلك فالغرب يعاني من ازمة خانقة تنذر بانهايار حضارته المادية لانها وصلت عمر الشيخوخة فهي انتجت كل ماتخترته طاقاتها في عالم المادة ورغم ذلك تشعر من داخل نفسها بالفقر والضعف لذلك حاولت ان تعالج نفسها في بعض ازمانها في ميدان علم النفس الذي ما زال العالم كله على بدايته واقف. "وهي بذلك تحاول ان تسد الثغرة الروحية في بناء الحضارة المادية بعلم يسير على مناهج العلوم التجريبية المادية ونجح علم النفس حين تواضع واخفق حين جمح ينشد فلسفة نفسية كاملة او دينا واثار في نجاحه واخفاقه الى الضمير الغائب: الى الدين"<sup>(١)</sup>.

"إننا كثيراً مهما وصفنا الحضارة الغربية بالتألق والازدهار، فإن ذلك لا يصدق عليها إلا من حيث الطلاء الخارجي لها فحسب، وما يفتتن الناس منها إلا بهذا الطلاء، وما ينجذبون إليها إلا بسر من ذلك الطلاء وحده"<sup>(٢)</sup> لذلك حضارة الغرب المادية تعتبر غير صالحة حتى تأخذ الأمة المسلمة بها، وقد حاول الاستعمار كثيرا صهر الأمة المسلمة في حضارة الغرب فلم ينجح رغم عون كثير من المتفرنجين من ابناء الامة لهم فهي متقدمة ماديا تقدم بهر المتفرنجين لكنها غير متقدمة دينيا وروحيا، فهي تحيا توازن مختل بين الروح والمادة، وحتى يأخذ لفظ الحضارة معناه الحقيقي لابد من ان يكون التوازن بين الناحية المادية والناحية الروحية.

"والواقع ان لكل امة حضارة وانه من خطل الرأي ان تحاول دولة مستعمرة ان تفرض حضارتها على امة اخرى خاصة اذا كانت هذه الدولة المستعمرة هي هذا الغرب بحضارته المادية المتحللة وكانت الامة التي تجري معها المحاولة هي الامة الاسلامية صاحبة الحضارة الجامعة المستمدة من مفهوم الدين الحق، ولكن النفوذ الاستعماري الغربي بما ورائه من خلفيات مطامع امبراطورية الربا كان يستهدف سحق هذه القيم الاساسية للمسلمين وذلك بدفنهم في هذه الحضارة المادية واذلال نفوسهم وجباههم على عتبة الفساد هذه الالوان الوحيدة التي ساقها مسن حضارته الى بلاد المسلمين بفكرة مسبقة هو ان السبيل الوحيد للسيطرة على هذه الامة يتركز في احتوائها وصهرها حتى تفقد ذاتيتها ووجودها المعنوي، وقد كشفت تجربة الاحتكاك في

(١) أنور وجدي، الإسلام والحضارة، دار الاعتصام، ص ٩١.

(٢) محمد سعيد البوطي، منهج الحضارة الانسانية في القرآن، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٨٣، ص ١٧٢.

حدود قرن او اكثر استحالة انصهار المجتمع الإسلامي في الحضارة الغربية مهما علت صيحات الدعاة الغربيين مهما بلغت مرحلة الضعف<sup>(١)</sup>.

فامتنا الان تعيش هزيمة سبقتها نكسات ونكبات ورغم ذلك لم تفقد وجودها المعنوي فقد كاملاً فهي تعيش الاسلام حتى ولو بشكل خاطيء مما يمنع انصهارها في بوتقة الغرب المادي وامتنا في هذا العصر بسعيها وراء اعداد القوة اللازمة للنصر تنتصر وليس ذلك ببعيد ولا مستحيل كما يوهما به الغرب ومن ثم قدرة على بناء حضارة تسعد الانسانية بدل الشقاء الذي تحياه، فالهزيمة ليست مرحلة تعيشها الامة اجبارا لا وانما ذلك باختيارها نتيجة لتكبتها عن طريق الله سبحانه مما يجعلها امة متوقعة على نفسها غير واثقة بنفسها وقدراتها.

ويطرح البوطي سؤالاً ويجب عليه اما السؤال "ماذا يجب ان يفعله المسلمون كي يستعيدوا الحضارة التي متع بها اسلافهم عن طريق اتباعهم لمنهج القرآن وتعليماته يجب من اجل ذلك ان يتحقق المسلمون بالشروط التالية:

أولاً: وجود الرغبة الكافية لديهم في السعي الى استعادة هذه الحضارة، وهذه الرغبة يجب ان تصطبغ بها الامة كلها او اغلبيتها العظمى، فلا قيمة لتلك الرغبة المتحرقة التي تجيش في صدور أحاد الناس، قلوا أو كثروا.

ثانياً: القضاء على التجزؤ وأسبابه، ومحال ان يتحقق العمل الجماعي الا بعد انصهار الجماعة في وحدة حقيقية مترابطة، ومن المعلوم ان التجزؤ من أهم الأسباب التي تكسر موجبات التخلف بشتى صورته وأنواعه.

ثالثاً: الاستقرار النفسي والفكري، ويتحقق قسط كبير من هذا الاستقرار في ظل الوحدة فلا بد من قطع اسباب الاضطراب النفسي والفكري الذي يجتاح اليوم سواد هذه الامة، وبلاءنا العظيم لا يتمثل في نشأة هذه الاسباب ولكنه يتمثل في طول الفترة الزمنية التي استغرقتها المرور في هذا المنعطف.

رابعاً: تلاحم النقة بين قطاعات الامة، واقصد بقطاعاتها ما يشمل الحكم وسائر فئات الامة على السواء.

خامساً: استخدام الطاقات التربوية بكل عواملها وادواتها عن طريق بذل جهد تربوي وعلمي، حتى تنتشع الامة بالبصيرة القرآنية التي تتجلى من خلالها حقائق هذا الكون<sup>(٢)</sup>.

(١) أنور وجدي، الإسلام والحضارة، ص ١٨٧ (باختصار)، مرجع سابق.

(٢) محمد سعيد البوطي، منهج الحضارة الانسانية في القرآن، ص ١٨٢ - ١٩٧ (باختصار)، مرجع سابق.



### الباب الثالث

الآيات القرآنية الواردة في نصر أولي العزم من الرسل

(( نماذج تطبيقية ))

## الفصل الأول

الآيات الواردة في نصر أولي العزم من الرسل

إن مهمة الأنبياء والرسل هي مهمة عظيمة جليلة اصطفى الله مجموعة من البشر وضع فيهم الاستعداد اللازم للقيام بتبليغ الناس هدى الله الواحد الأحد الذي شرع لهم فيه الحلال ليتبعوه والحرام ليتجنبوه، فرسالتهم من حيث الأصل واحدة، حيث هي الدعوة إلى التوحيد، ولكن كان لكل بني أسلوبه الذي يتناسب مع زمانه الذي بعث فيه ومع قومه الذي بعث إليهم، وكان منهم من عرفوا بـ "أولي العزم".

قال تعالى: ﴿ فاصبر كما صبر أولي العزم ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وهذه الآية كانت منار إدلاء المفسرين بأرائهم المختلفة حول معرفة من هم أولي العزم من الرسل. قال الزمخشري: "أولي العزم" أولوا الجد والثبات والصبر".<sup>(١)</sup> فصبرهم وشدة ثباتهم أثناء تبليغ أقوامهم دعوة التوحيد كان سبباً في تسميتهم بـ "أولي العزم". قال القرطبي: "قال ابن عباس: ذوو الحزم والصبر".<sup>(٢)</sup>

إن الناظر لكتب التفسير يرى مدى الاختلاف الواسع في تحديد أولي العزم من الرسل والتي يمكن حصرها بداية في أمرين أساسيين هما:

**الأمر الأول:** مَنْ ذهبوا إلى أن الرسل جميعهم أولوا عزم، فهذه صفة لكل الرسل لا تختص بها مجموعة عن أخرى، وهذا باعتبار أن "من" في آية الأحقاف جاءت للبيان.

قال الزمخشري: "يجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة كل الرسل"<sup>(٣)</sup>.

**الأمر الثاني:** من ذهبوا إلى أن "أولي العزم" بعض الرسل وليس كلهم، وأن "من" في آية الأحقاف إنما تفيد التبعية.

قال الزمخشري: "من" من يجوز أن تكون للتبعية ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء"<sup>(٤)</sup>.

وهذا الرأي ابتداء به أثناء تحقيقه في المسألة ومثله القرطبي<sup>(٥)</sup>.

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٢٨، مصدر سابق.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٤٥، مصدر سابق.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٢٨، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٢٨.

(٥) انظر: منذر عادل، الفرج بعد الشدة عند أولي العزم من الرسل، رسالة ماجستير - غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٧ فصل في أمر أولي العزم معتمداً عدداً كبيراً من التفسير ١٩٩٧.

والرأي الثاني للمفسرين القائل بأنهم بعض الأنبياء كان مثار وجود خلاف حول تحديد أسماء أولي العزم من الأنبياء، خصوصاً أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة النبوية دليل قطعي يدل على هذه المجموعة، فكثرت الأقوال التي احتوت أسماء متعددة للرسول، فقد ذكر القرطبي على سبيل المثال ما يزيد عن عشرة أقوال في تحديد أولي العزم<sup>(١)</sup>. وكان لابن كثير تحقيق في المسألة أيضاً فاعتمد في تحديد أولي العزم أشهر الأقوال وأكثرها شيوعاً بين المفسرين فقال:

"وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها: إنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورة الأحزاب والشورى"<sup>(٢)</sup>. وآية الأحزاب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]. وآية الشورى قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ [الشورى: ١٣].

### المبحث الأول: نصر الله لسيدنا نوح عليه السلام.

"لما فشت المعاصي بين الناس وتجاوزوا المعاصي إلى الشرك، وعكفوا على عبادة الأصنام، أرسل الله عز وجل نوحاً إليهم لينذرهم العذاب الأليم إذ تمادوا في غيهم، وظلوا على شركهم ولكنهم لم يلتفتوا لتحذيره، واستخفوا بنصحه"<sup>(٣)</sup>.

"وظل قوم نوح يعبدون الأصنام دهرًا طويلاً، واتخذوها آلهة، يرجون منها الخير ويستدفعون بها الشر، ويردون كل شيء في الحياه إليها، فأرسل الله لهم نوحاً عليه السلام، رزقه الله صبراً على الجدل، وقدرة على تصريف الحجج وتبصراً بمسالك الإقناع، فناضلهم وجادلهم، ثم صابرهم وطاولهم، فمد لهم حبل أناته، وأفرغ عليهم معسول كلماته، ولم يضعف في إيمانهم، رجاؤه، ولم يدع اليأس يسلك سبيلاً إلى قلبه بل أخذ يفتن في الدعوة ويجاهد في إبلاغ الرسالة، فدعاهم ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية"<sup>(٤)</sup>.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٤٥-١٤٦، مصدر سابق.

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٧، ص ٣٠٥، مصدر سابق.

(٣) محمد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، الطبعة الأولى، دار القلم - بيروت، ١٩٩٤، ص ٣.

(٤) محمد جاد المولى، قصص القرآن، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣، ص ١٥ (باختصار).

قال تعالى: ﴿ قال ربّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزددهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصرروا واستكبروا استكباراً ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لاترجون لله و قاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ [نوح: ١٤-٥].

إن دعوة سيدنا نوح عليه السلام استغرقت مختلف الأوقات من ليل ونهار، ومختلف الهيئات كلها من سر وعلن، قال الزمخشري: "قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الإبتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناسبة في السر، فلما لم يقبلوا نثى بالمجاهرة فلما لم تؤثر نثت بالجمع بين الأسرار والإعلان، ومعنى "ثم" الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الأسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من أفراد أحدهما".<sup>(١)</sup>

ولكن القوم في غيهم سادرون، وفي جدالهم ناقمون فقد كبرت على نفوسهم كلمة التوحيد فرفضوها، وأقاموا حرباً شعواء على نبيهم فاتهموه بالباطل تهماً لم يقرأوا لها أركاناً ولم يجدوا للبرهان عليها سبيلاً، فما هم يستكبرون أن يكون نبياً لهم، وهو بشر مثلهم، قال تعالى: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومة ما نراك إلا بشر مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرائلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ [هود: ٢٧]

قال الرازي: "إنهم طعنوا في نبوته بثلاثة أنواع من الشبهات: فالشبهة الأولى: إنه بشر مثلهم، والتفاوت الحاصل بين أحاد البشر يمتنع انتهاؤه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين، والشبهة الثانية: كونه ما اتبعه إلا أرائل من القوم، والشبهة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وما نرى لكم علينا من فضل﴾ والمعنى: لا نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل، فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الأحوال الظاهرة، فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات"<sup>(٢)</sup>.

وهذا حال الدعاة في كل زمان، فإن أمة الكفر تحسن فن الاتهامات والسخرية والتحقير للدعاة قال تعالى: ﴿ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين. قال يا قوم ليس بي ضلالة

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص ١٦٢، مصدر سابق.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٦، ص ٣٣٦ (باختصار)، مصدر سابق.

ولكني رسول رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٦٠-٦٢].

كما اهتموه بالجنون وكثرة الجدل، قال تعالى: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ [مرد: ٣٢] وقال تعالى: ﴿قالوا لنن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ [الشعراء: ١١٦].

ولم ييأس منهم حتى استمرت دعوته لهم ألف سنة إلا خمسين عاما "اشتعلت المعركة بين الموجتين المتضادتين، موجة النور وعلى رأسها نوح عليه السلام وموجة الظلام وتعم الناس جميعا، ووقف العظيم وحده مدة على امتداد ٩٥٠ سنة يحاور ويجادل ويبين ويرغب ويرهب ولكن دون جدوى. (١)

قال تعالى: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ [العنكبوت: ١٤].

فلما وصل في دعوته قومه إلى نقطة النهاية أوحى الله إليه أن الهداية عقت في نفوسهم وأنه لن يؤمن أحد منهم غير السابقين الذين آمنوا معه.

قال تعالى: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ [مرد: ٣٦].

قال سيد قطب: "القلوب المستعدة للإيمان قد أمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه، هكذا أوحى الله إلى نوح وهو أعلم بعبادة، وأعلم بالممكن والممتنع، فلم يبق مجال للمضي في دعوة لا تفيد، ولا تحفل ولا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم، لا على نفسك فما هم بضاريك شيء، ولا عليهم فإنهم لا خير فيهم ودع الأمر فقد انتهى". (٢)

إن الصبر قد بلغ حده دون أن يسفر عن خير القوم فيؤمنوا عندها توجه إلى ربه ملتجأ طالبا نصره ومدده قال تعالى: ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ [النمر: ١١]. دعاء واستنصارا هز صده أرجاء الكون منذرا بنهاية الطغيان وأهله. ولقد انتصر الله لدينه ولنبيه نوح فأعزه وأكرمه مستجيبا دعواه وكان له خير الناصرين قال تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعلم المجيبون، ونجينا وأهله من الكرب العظيم. وجعلنا ذريته هم الباقين. وتركنا عليه في

(١) محمود شلبي، حياة نوح، دار الجيل، ص ٢١.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٨٧، مرجع سابق.

الآخرين. سلام على نوح في العالمين. انا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا  
المؤمنين [الصفات: ٧٥ - ٨١].

وليلمس قلبك عظيم أمر الدعاء وأثره، وجلال المستجيب وعظمته، لذا عُدَّ من أهم  
عوامل النصر.

ولم تكن نصرة الله لنبيه سحرية فورية لا وإنما علمه أن يأخذ بأسباب نصره لذلك أمره  
سبحانه أن يصنع الفلك وكانت هذه الخطوة الأولى على طريق النصر و التي شككت مزيد  
صلف وكبرياء من الكافرين الجاحدين، ولما أتمَّ نوح عليه السلام أمر ربه وركب ومن معه من  
المؤمنين الفلك ، "منتظرين الوعد الموعود والأمل المرتقب، فما أبدع هذا المنظر لجدته  
ونوعه، أفلا يكون هذا مدعاه لطلب السخرية والاستهزاء من قوم لجّوا في عنادهم وأصسروا  
واستكبروا استكباراً، منظر لم يألفه القوم، ولم تجر به العادة من قبل فما معنى هذا؟

قوم يحبسون أنفسهم فيما صنعوه بأيديهم فما معنى هذه البدعة وما مغزاها؟ هذا ما  
كانوا يقولونه في أنفسهم ويجيش في صدورهم، وما دروا ما سيكون من شأن هذه القلة  
وشأنهم معهم" (١).

ولنتأمل في عظيم نصر الله لنبيه نوح عليه السلام والذين آمنوا معه، فأبواب السماء  
فتحت فانهمر الماء بعنف حتى لكانها مغلقة والماء ورائها قد حبس، وتفجرت الأرض عيون  
ماء، وأنظر إلى التعبير القرآني ودقته في قوله "أبواب" وليس باب، وفي قوله "فجرنا الأرض"  
وكان الأرض كلها أصبحت كتلة واحدة من الماء، وبين هذا الماء الصاعد من بطن الأرض  
وذاك النازل من السماء ابحت عن الكفار ومصيرهم.

ولننظر كيف كان نصر الله لنبيه نوح عليه السلام، هذا النصر الذي دل على سنة ربانية  
ثابته منذ القدم، سنته في نصر عباده الصالحين وعدم التخلي عنهم، فقد غرقت الأرض ونجى  
الله نوحاً والمؤمنين.

قال سيد قطب: "حركة كونية غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة، تبدأ بإسناد الفعل  
إلى الله مباشرة "ففتحننا" فيحس القارئ يد الجبار تفتح "أبواب السماء" بهذا اللفظ وبهذا الجمع  
"بماء منهمر" غزير متوال وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها "وفجرنا الأرض عيوناً" وهو تعبير  
يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض كلها، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيوناً.

(١) حسن اسماعيل منصور، دراسات قرآنية، باختصار - مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة - ١٩٧٧، ص

والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض "على أمر قد قدر" التقيا على أمر مقدر، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر، طائعان للأمر، محققان للقدر، حتى إذا صار طوفاناً يطم ويعم ويغمر وجه الأرض، ويطوي الدنس الذي يغشى هذا الوجه وقد يؤس الرسول من تطهيره، وغلب على أمره في علاجه، امتدت اليد القوية الرحيمة إلى الرسول الذي دعا دعوته، فتحرك لها الكون كله، امتدت هذه اليد بنجاة وتكريم".<sup>(١)</sup>

إن مظاهر نصره الله لسيدنا نوح عليه السلام، "تمنح الثقة في نصره وعونه، وتؤكد لهم أن الله عز وجل - لا يمكن أن يتخلى عن عباده المؤمنين ولا أن يتركهم لقمة سائغة للطغاة والظالمين، ولكنه سبحانه يمهّل ولا يهمل، فقد بذل نوح أقصى ما يمكن أن يبذله داعية، وبالرغم من أن موقف قومه منه ومن دعوته لم يكن يوحى بأي أمل في استجابتهم له وإيمانهم بما جاء به فإن نوحاً - عليه السلام - ظل يدعوهم بغير ملل، ويعرض عليهم رسالته في ثقة تامة بالحق الذي يدعوهم إليه، ولم يكتف نوح بالتبليغ، ولم يمكث عن الدعوة بعد أن أخبره الله تبارك وتعالى بأنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن.

لم يندم نوح على ما بذله من جهد، لأنه يعلم أن الله لن يضيعه، وإن لم يثمر، فليس عليه إلا البلاغ، ولم يعتبر العمر الطويل الذي قضاه معهم قد ذهب إدراج الرياح أوضاع سدى، ولكنه كان موقناً بأنه سيكون له أثره الإيجابي في الأجيال التي تتابعت في فترة الرسالة"<sup>(٢)</sup>.

ولا بد أن نسلك مسلك النبي نوح عليه السلام، فمن الله وحده ننشد النصر ونطلبه، فلا نلجأ إلا إليه لأنه بيده وحده وسائل التمكين، هو مالكاها والمتصرف فيها وهو وحده القادر على نصرنا، وما علينا إلا أن نضع أقدامنا على الطريق ونسير على المنهج، فمن يبدأ بدرج على درب النصر يزدده الله نصراً على نصر، ومن يبقى يعيش الهزيمة قابلاً في ظلالها يزدده الله ذلاً على ذل.

### البحث الثاني: نصر الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

"لقد كان إبراهيم عليه السلام نشطاً في الدعوة إلى الله لا يفتأ يذكر قومه وعشيرته بالرجوع إلى الله، لقد ناقش وحاور، وجدل وأقام الحجة، وفي كل الأحوال كان حليماً رقيقاً

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، سور ق القمر.

(٢) محمد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، دار القلم دمشق، ١٩٩٤، ج ١، ص ٩٨ (باختصار).



لين الجانب، دعا أباه للإيمان برفق وحنو فأبى وهدد وتوعد ولكن إبراهيم لم يفقد صوابه، ولا إترانه وظل مشفقاً على أبيه راغباً في هدايته" (١).

"ولم يبدأ الدعوة مع أبيه بتسفيه معبوداته أو تحقير آلهته، لئلا ينفر منه أو يصم أذانه عنه أو يرميه بالعقوق والحجود، بل رتب الكلام معه على أحسن اتساق، وخاطبه بالقول اللين والأدب الجميل، وابتدأ حديثه معه بذكر بنوته، ليستثير عطفه، وتمسّ شغاف قلبه، ثم سأله عما يدعو إلى ركوته إلى الأصنام، وعكوفه على عبادتها مع إنها لا تسمع دعاءه وثناءه، ولا تبصر خضوعه وخشوعه، ولا تستدفع في بلاء فتدفعه". (٢)

قال تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً، يا أبتِ إنني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهداك صراطاً سوياً. يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ [بريم: ٤١-٥٤].

قال أبو السعود: "لقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتجّ بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب على متن المكابرة والعناد، ولا يُكذب بالكلية عن حجة الرشد، ولم يسمّ أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق" (٣).

وقد أغلظ الأب على ابنه الرفيق به ناسياً ما بينهما من الأبوة والبنوة مصراً على عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً ﴾ [بريم: ٤٦].

ثم توجه سيدنا إبراهيم إلى ميدان أوسع في دعوته، فدعا قومه كلهم إلى توحيد الله عز وجل، فأقام عليهم الحجة والبيان هادماً بها كل أسس عقائدهم الفاسدة. قال تعالى: ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٥]. لم يجدوا مستنداً يستندون إليه في مواجهة حجج إبراهيم عليه السلام إلا احتجاجهم بالنقليد.

(١) السيد عبد المقصود عسكر، في صحبة الرسل الكرام، الطبعة الأولى، دار البشير، طنطا، ٢٠٠٠م، ص ٦٨.

(٢) محمد جاد المولى، قصص الأنبياء، ص ٣٣، مرجع سابق.

(٣) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٤، ص ٢٤٢، (باختصار)، مرجع سابق.

قال الزمخشري: "وما أفبح التقليد والقول المستقبل بغير برهان، وما أعظم كيد لشيطان للمقلدين حيث استدرجهم أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وغفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادون في نصرته مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم"<sup>(١)</sup>.

وإلى هذا أشار سيد قطب ناعياً على المقلدين موضحاً أنهم خاسرون حرية الإيمان حيث قال: "هو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمتها الحقيقية لا التقليدية، فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من المقدسات الوهمية التقليدية والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل"<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا المستند لقوم سيدنا إبراهيم، هو المستند ذاته الذي قيل للأنبياء كافة قال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف: ٢٣]. لذلك وجدناه قد سلك معهم مسلكاً عملياً جريئاً مندفعاً بإيمانه بربه، فقد حطم أصنامهم المعبودة حتى يقيم عليهم حجة لا قبلها ولا بعدها فهي لا تضر ولا تنفع، وقد كان بهذا المسلك ذا قوة وخشية لله ما بعدها خشية.

"وهذا درس يتعلمه أصحاب الدعوات، فلا يظنوا أن سلاح العلم والحجة والبرهان ماض مع كل إنسان، لا فهناك مكابرون يعرفون الحق ويزيغون عنه، ويرون الصواب ويحيدون عنه لهوى في نفوسهم ولاستحواذ والشيطان عليهم. لا شك أن سلاح العلم والمنطق والحجة والبرهان من أقوى الأسلحة التي يجب على الداعي أن يستعد بها، ولكنه وحده لا يكفي"<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى مبيناً مسلك سيدنا إبراهيم عليه السلام معهم: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاناً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم، قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد عملت ما هولاء ينطقون. قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم. أفب لكم

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٥٧٥، مصدر سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٣٨٥، مرجع سابق.

(٣) أحمد البراء الأميري، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، دار المنارة، جدة، ١٩٨٦، ص ٧٨.

ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴿[الأنبياء: ٥٧-٦٩]﴾

ونجاته من النار كانت أول مظهر من مظاهر نصره الله سبحانه وعونه لنبيه إبراهيم عليه السلام إن جعل النار المحرقة برداً وسلاماً على نبيه، وهي نصره عظيمة من رب عظيم قال الرازي في كيفية برودة تلك النار ثلاثة وجوه:

"أحدها: أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحتراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق، والله على كل شيء قدير.

وثانيهما: أن الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كما فعل بخزنة جهنم في الآخرة، وكما أنه ركب في بنية النعامة لا يضرها ابتلاع الحديد المحماة. وثالثهما: أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه"<sup>(١)</sup>.

وقال القاسمي معلقاً على هذه الأوجه الثلاثة: "قال المحققون: والأول أولى لأن ظاهر قوله ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً﴾ أي أن نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها، لا أن النار بقيت كما كانت."<sup>(٢)</sup>

واصطدام إبراهيم عليه السلام مع قومه، وتعذيبهم له أمر يتجدد مع الدعاء في كل الأعصر وإن اختلفت صورة والوانه.

قال سيد قطب: "وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على إبراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى، ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهز، فكم من ضيقات وكربات تحيط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية، وأن هي إلا لفته صغيرة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتتعش ولا تخدم، وتعود بالخير وهي الشر المستطير"<sup>(٣)</sup>.

فلنتأمل كيف كانت المعونة والتأييد لهذا النبي الكريم إذ غيّر سبحانه طبائع الأشياء بكلمة كن فهو نعم المعين والنصير والمؤيد. قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧].

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٨، ص ١٥٩، مصدر سابق.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٥، ص ١٦٣، مرجع سابق.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٣٨٨، مرجع سابق.

وهذا مظهر آخر من مظاهر نصره الله لنبيه إبراهيم عليه السلام مبنى على نجاته من النار إذا قرر النبي إبراهيم اعتزال قومه وما يعبدون وهجرانهم بسبب الكفر الذي يعيشون. قال تعالى: ﴿و قال إني مهاجر إلى ربي﴾ [الصافات: ١٩٩].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات: ١٩٩]. قال: "هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلاصه الله من النار "قال إني ذاهب إلى ربي". أي مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه "سيهدين". فيما نويت من الصواب. قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام"<sup>(١)</sup>.

وقد يَسرَّ الله سبحانه وتعالى الهجرة لنبيه إبراهيم عليه السلام، وقال سيد قطب: "وهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية، هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته، يترك أباه وقومه وأهله ووطنه، وكل ما يربطه بهذه الأرض وبهؤلاء الناس، ويدع وراءه كل شيء مسلماً نفسه لربه، لا يستبقى منها شيئاً، موقن أن ربه سيهديه، وسيرعى خطاه وينقلها في الطريق المستقيم، أنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع من أواصر شتى إلى أصرة واحدة لا يزعجها في النفس شيء، أنه التعبير عن التجرد والخلوص والإستسلام والطمأنينة واليقين"<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر نصرته سبحانه لهذا النبي الحليم تحجبه ولده إسماعيل من الذبح عندما رأى رؤيا في المنام وهو يذبح ولده إسماعيل، قال تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا الهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم﴾. [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

قال ابن عاشور: "والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه، وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه، فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والوليد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لامحالة، وقد علمت أنه سأل ولداً ليرثه نسله ولا يرثه مواليه، فبعد أن أقر الله عينه بإجابته سؤله وترعرع ولده، أمر بأن يذبحه، فيندم نسله، ويخيب

(١) القرطبي، أحكام القرآن، ج ١٥، ص ٦٥، مصدر سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٩٩٤، مرجع سابق.

أمله، ويزول أنسه ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه، وذلك أعظم الابتلاء فقابل أمر ربه بالإقبال".<sup>(١)</sup>

ولكن الله سبحانه فدى إسماعيل الذي كان مثال الطاعة والتسليم، فلم يخف ولم يفزع وأسلم لله كما أسلم والده الذي أخبره بالرؤيا.

قال سيد قطب: "إنه لا يأخذ ابنه على حين غرة لينفذ إشارة ربه وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المؤلف من الأمور، فالأمر في حسه هكذا، ربه يريد فليكن ما يريد، وأبنة ينبغي أن يعرف وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلاماً لا قهر أو إضطراراً، لينال هو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر ويتذوق حلوة التسليم".<sup>(٢)</sup>

وقد صدق إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، وأطاع إسماعيل أباه، وقد ظهرت طاعتها وتسليمها لله فلم يبق معنى لاراقة الدم.

"فالابتلاء قد تم، والإمتحان قد وقع، ونتائجه قد ظهرت، وغايته قد تحققت، فالله لا يريد إلا الإسلام والإستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تضره عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الأبن فلذة الكبد، ولو كانت هي النفس والحياة".<sup>(٣)</sup>

فانظر إلى عظيم نصره الله الذي من على نبيه بعد الشدة التي لقيها فهل لنا في ذلك عبرة؟

### المبحث الثالث: نصر الله لسيدنا موسى عليه السلام.

وافق نصر الله سبحانه وتأييده لنبيه موسى منذ أن كان طفلاً رضيعاً ، فقد تجبر فرعون بني إسرائيل واستعبدهم وكان النبي موسى من هؤلاء القوم نجاه الله من القتل عندما جعل فرعون يد القتل تعيث في أبناء بني إسرائيل، فقتل الرجال والأطفال واستحيا النساء وعم البلاء، قال تعالى: ﴿ أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ [التصوير: ٤].

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ١٥٠ مرجع سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٩٩٥، مرجع سابق.

(٣) المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢٩٩٦، مرجع سابق.

قال القاسمي: "إن فرعون تكبر وتجاوز الحد في الطغيان في أرض مصر" وجعل أهلها شيعاً". أي فرقاً وأصنافاً في استخدامه وطاعته "يستضعف طائفة منهم"، وهم بنو إسرائيل".<sup>(١)</sup>

وقد عاشت أم موسى شدة وبلاء عظيمين عندما ولدت موسى، فحافظت عليه من أن يقتل على يد فرعون ورجاله خوفاً منه على ملكه بسبب سماعه أبناء مفادها أن زوال ملكة يكون على يد فرد من بني إسرائيل، فأوحى الله إليها أن ترضعه وتلقيه في اليم ولا تخف ولا تحزن لأنه سبحانه راده إليها قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إن رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [التقصص: ٧].

وقد تربى هذا الطفل الصغير في بيت عدو الله وعدوه فرعون بعدما أنقذه الله من الغرق ومن على أمه فرده إليها وكانت هي مرضعته، قال تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطنين. وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾ [التقصص: ٨-٩].

قال الطبري: "فالتقطه آل فرعون ظناً منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم ليكون قرة عين لهم، فكانت عاقبة النقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه"<sup>(٢)</sup>.

فإنه سبحانه أراد إنقاذ بني إسرائيل بموسى ليكون سبباً في إعادتهم برسالة الله، وامرأة فرعون هي أرادت تحقيق هدف معين لكن القدرة الإلهية هي التي زرعت هذه الرغبة لديها، فالإنسان يقصد أمراً معيناً ويحدث شيء غيره، فقد أرادوا موسى قرة عين لكنه كان حزناً لهم وعدواً.

ومن مظاهر نصره الله وعونه وتأييده لنبيه موسى عليه السلام أن نجاه من أن يؤخذ بدم قتيل قتله خطأ من قوم فرعون، قال تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين. قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت عليّ قلن أكون ظهيراً للمجرمين، فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي إستنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين. فلما أراد أن يببطش بالذي هو عدو لهما قال يا

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٥ ص ٤١٦، مرجع سابق.

(٢) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٣٢، مصدر سابق.

قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فجاءته أحدهما تمشي على إستحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين» [التصن: ٢٣-٢٥].

فهذا نص ينبئنا عن النصر الذي ناله موسى والأمن فقد كان بأمس الحاجة إليه.

قال سيد قطب: "وما نكاد نستغرق مع موسى في مشهد المناجاة حتى يعجل السياق بمشهد الفرج. يا فرج الله. يا لقربه ويا لنداءه: إنها دعوة الشيخ الكبير استجابة من السماء لدعوة موسى الفقير، دعوة للإيواء والكرامة والجزاء على الإحسان، وكان موسى بحاجة إلى الأمن، كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد، ومن ثم أبرز السياق القرآني في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور "لا تخف". فجعلها أول لفظ يعقب به على قصصه ليلقى في قلبه الطمأنينة، ويشعره بالأمان، ثم بين وعلل "نجوت من القوم الظالمين" فلا سلطان لهم على مدين، ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرر" (١).

وانظر إلى آثار نصر الله سبحانه النبي موسى عليه السلام عندما خرج ببني إسرائيل من مصر تجاه البحر، وقد كانوا كثيري الشكوى لنبيهم من ظلم فرعون وتعذيبه إياهم. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

فقد أوحى الله لسيدنا موسى عليه السلام أن يخرج في الليل باتجاه البحر وإنهم متبوعون ومن معه من قبل فرعون وجنوده الذي قضى أمره وبدأ بتنفيذه للتخلص والقضاء العاجل على موسى ومن معه.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢] ولحق فرعون وجنوده موسى ومن معه عليه السلام، حتى دب الرعب في قلوب بني إسرائيل وجزعت قلوبهم وكادت تصل الحناجر كلما إقترب فرعون وجنوده منهم.

قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرُقِينَ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٢] ولا بد من تدقيق النظر بثقة هذا النبي بربه، فقد علم اليقين أن الله ناصر المؤمنين وأن هذه سنة من سننه الثابتة والتي لا تتغير ولا تتبدل،

(١) المرجع السابق ج٥، ص ٢٦٨٦.

وكان سبب نصرهم ونجاتهم آنذاك أمر الله لنبيه بالقاء العصا في البحر فظهرت اليابسة وعبر بمن معه ونجو من فرعون وظلمة الذي خسر وهلك وانهزم وها هو بعدما كانت الأنهار تجري من تحته كما يزعم جعلها تجري فوقه هزيمة وصغاراً وخسرانا قال تعالى: ﴿فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي أَيْمٍ بِأَيْمِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَاتُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وقد من الله على بني إسرائيل بهذه النجاة وهذا النصر، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهُامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [التصن: ٥-٦].

### البحث الرابع: نصر الله لسيدنا عيسى عليه السلام:

سيدنا عيسى عليه السلام هو رابع أولي العزم من الرسل الكرام، بعثه الله لبني إسرائيل هادياً ومرشداً ومبلغاً عن ربه، وانزل معه الإنجيل قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [ال عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وكما ولد آدم عليه السلام من غير أب وأم بقدره الله تعالى، كذلك ولد عيسى عليه السلام من غير أب، أما أمه فقد كانت السيدة مريم ابنة عمران والتي نذرتها أمها لخدمة بيت الله عندما حملت بها ظانئة أن الله سيرزقها مولوداً ذكراً وليس أنثى، ولكن هذا لم يمنع من الوفاء بالندى.

"فنشأت مريم بين مظاهر الطهر والنقاء والصفاء وترعرعت ونمت تكلؤها عناية الله ورعايته، فلما بلغت مبلغ النساء أراد الله سبحانه أن يجعل لها من الكرامة ما لم يتيسر لغيرها من نساء العالمين، فهياً لها الحمل دون أن تتوافر أسبابه".<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [ال عمران: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [ال عمران: ٤٥].

وقد سجل القرآن الكريم قصة حمل السيدة مريم بعيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَذَتْ بِهِ مَكَاتًا قَصِيًّا فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ

(١) محمد الطيب النجار، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة، دار الاعتصام، ص ٢٧٦.



تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقرني عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا» [مريم: ٢٢ - ٢٦].

فمولد النبي عيسى عليه السلام كان قصة محنة وشدة وبلاء عاشتها السيدة مريم عليها السلام أيدها الله بنصره وعونه وحفظها برحمته، هذه الرحمة التي نالها أيضا ولدها عيسى، فقد أظله الله بظلال رحمته منذ أن كان طفلا قال تعالى: ﴿وجعني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ [مريم: ٣١-٣٣].

وجاء هذا النبي مصدقا لما بين يديه من التوراة، داعيا بني إسرائيل إلى توحيد الله مزيلا عنهم استار الظلمة والجهل حتى يعيشوا حياة النور والخير والهداية. قال تعالى: ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ [المائدة: ٤٦].

فرسالته كانت موافقة لرسالة موسى عليه السلام من حيث الأصل، إلا أن بني إسرائيل عاندوا وكابروا وجددوا فأيده الله ونصره بصحبة كرام "الحواريون" وكان هذا مظهر تقوية ومدد وعون منه سبحانه لهذا النبي الكريم، قال تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر، قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا به واشهد بأننا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣].

وقد ذكر المفسرون أقوالا عديدة في تحديد هؤلاء الحواريون إلا أنهم كلهم يلتقون في قول القاسمي: "هم طائفة من بني إسرائيل انتدبت للإيمان بالمسيح عليه السلام فوازره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه - جمع حواري - وهو الناصر أو المبالغ في النصره".<sup>(١)</sup> وقد نصر الله سبحانه سيدنا عيسى عندما نجاه من القتل، فقد أرادت بنو إسرائيل قتله، وكانت هذه عادة عندهم تقتل أنبياء الله لهم بغير حق، فنجاه منهم تكريما وتنعما منه سبحانه.

قال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٢، ص ٦٦، مرجع سابق.

ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيمًا [النساء: ١٥٥-١٥٨].

"وهذا نفي قاطع بقتل اليهود للمسيح وصلبه، واخبار بأن الذي قتل هو شخص آخر ألقى عليه شبه المسيح فقتله اليهود، واخبار بأن اتباع المسيح مختلفون في أمره، فمنهم من يقول ابن الله، ومنهم من يقول أنه صلب فعلا، ومنهم من يقول بل رفع إلى السماء".<sup>(١)</sup>

قال ابن عاشور: "والذي يجب اعتماده بنص القرآن أن المسيح لم يقتل ولا صلب وأن الله رفعه إليه ونجاه من طالبيه".<sup>(٢)</sup>

(١) محمد الطيب النجار، تاريخ الأنبياء في القرآن، ص ٢٩٢، مرجع سابق.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٢٢، مرجع سابق.

## الفصل الثاني

الآيات الواردة في نصر نبي الأمة محمد ﷺ والمؤمنين

## المبحث الأول: نصر الله سبحانه محمد ﷺ في مكة المكرمة خلال دعوته قريش

إن حياة النبي محمد ﷺ نبي هذه الأمة تزخر بالقدوة والمثل الأعلى، هذا المثل الذي ما فتأت أمم الكفر تبحث عنه، أما أمته عليه الصلاة والسلام فحياته أمامهم كصفحات الفجر الناصع يستقون من سيرته القدوة الحسنة فتمتلاً بها نفوسهم كبرياء و إيمان بربهم، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]

إن الحديث عن آيات النصر في القرآن العزيز يحلو ويطيب بسيرته العطرة، فلا بد من تطيب هذا البحث المتواضع ببهاء النصر في حياته حتى يكون لنا ضياء أمل مشرق في ظلام الهزيمة الدامس.

لقد عاش ﷺ في ظلال النصر وذاق حلاوته حينما كان يدعو قومه قريش، وهنا تلقى الحيرة نفسها على العقل فيحترق في ذكر مظاهر النصر في حياته والمعونة الإلهية له أثناء دعوته قريش صلى الله عليه وسلم إذ تسود في هذه المظاهر صفحات طوال، ولكني سأذكر منها ماله علاقة مباشرة بهذا البحث لأن الحصر يصعب ولئلا يطول المقام.

إن النبي محمد ﷺ أحب الأنبياء إلى الله وأمام الدعاة كلهم، وهذه الدعوة تحتاج إلى السير في درب طويل من التضحيات والجهاد، سارها رسول الله ولقي في سبيلها الأذى والابتلاء والشدة والضراء، فقاومته قريش مقاومة عنيفة محاولة القضاء على كل ذرة إيمان يدعو إليها صلفاً وكبرياء وتعنتاً.

ولما فقد رسول الله ﷺ النصير في مكة، وضيق قريش عليه فسدت السبل أمامه حتى لا يلتفت الناس لدعوته، فتقلب نفسه في واحات الحزن، فجاءه ضياء نصر ومؤازرة ومعونة من مولاه الحق، فقد أسري من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ثم عرج إلى السموات العلا، وفي هذا قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [الإسراء: ١].

"إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاماً، وبذلك كانا علاجاً مسح متاعب الماضي، ووضع بذور النجاح للمستقبل. إن رؤية طرف من آيات الله العبري في ملكوت السموات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين، وتصغير جموعهم، ومعرفة عقابهم". (١)

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، الطبعة الخامسة، دار القلم، ١٩٩٤، ١٣٢.

"وقد عانى رسول الله ﷺ ألواناً كثيرة من المحن التي لاقاها من قريش، وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف، ولقد ظهر في دعائه الذي ناجى به ربه ما يتعرض له كل بشر من الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير، وذلك مظهر عبودية الإنسان لله تعالى، وظهر في التجائه ذلك شيء من معنى الشكاة إلى الله سبحانه وتعالى، والطمع منه في عافيته ومعونته، ولعله خشي أن يكون الذي يلاقه إنما هو بسبب غضب من الله عليه لأمر ما ولذلك كان من جملة دعائه قوله: "إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي".

فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج بعد ذلك تكريماً من الله تعالى له، وتجديداً لعزيمته وثباته ثم جاءت دليلاً على أن هذا الذي يلاقه ﷺ من قومه ليس بسبب إن الله قد تخلى عنه، أو أنه قد غضب عليه، وإنما هي سنة الله مع محبيه ومحبيهم، وهي سنة الدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن".<sup>(١)</sup>

وقد شكل الإسراء والمعراج نقطة دفع للنبي صلى الله عليه وسلم ليوصل دعوته ويصبر ويثبت فإن الله معه رغم أسوار العداة التي نصبت له وحصون المكر الذي كادت له، ورغم هذه الحرب الشعواء التي شنت عليه من كل حذب وصوب بغية تحطيم هذه النفس المعترزة بخالقها، فقد سخرها منه ومن أصحابه واستهزؤا بهم، "وظنوا أن وسائل السخرية والتهكم التي جنحوا إليها ستهدم قوى المسلمين المعنوية فيتوارون خجلاً من دينهم، ويعودون كما كانوا إلى دين الحق الذي شرفه الله به، بل كان المسلمون يتزايدون، ولم تقلح طرق الاستهزاء في الصد عن سبيل الله أو تشويه معالمها، إنها زادت شعور المسلمين بما تزخر به الوثنية من معرات ومخازر تستحق الفضيحة والاستئصال. وما تصنع سخرية الجهول بالعالم"<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون. من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾. (مرد: ٣٨، ٣٩)

وبسبب الحروب النفسية التي شنتها قريش على النبي ﷺ لم يجد بداً في نهاية المطاف من الهجرة من مكة إلى الموطن الذي احتضن الدعوة والداعية، إلى المدينة المنورة ففي أواخر العهد المكي صعدت قريش من مقاومتها وطورت من أساليبها إلى حد التآمر على قتل النبي ﷺ وتوزيع دمه على القبائل كما خططوا لذلك في دار ندوتهم، وقد وصف القرآن الكريم مؤامرتهم

(١) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، الطبعة الحادية عشرة، دار الفكر، ١٩٩١، ص ١٢-١٣.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ١٠٦ - ١٠٧، مرجع سابق.

بقوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال: ٣٠]

لقد كان حصاد هذه الحملات المحمومة المسعورة على المسلمين في الفترة المكية نصراً للمؤمنين وهزيمة للكافرين، وكانت الهجرة فتحاً كما أيقنت قريش<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٤٠].

"فيا الثقة العظمى تتسكب في حنايا نفس الرسول الكريم، ويا للتأييد الرباني المطلق الذي ما بعده من تأييد! إن الله معنا، فأي قوة تثبت أمام الرسول الكريم وقوة الله معه؟ وأي تدبير يقف في وجهه وعناية الله تحوطه وتصونه وترعاه؟ ويا للسكينة تغشى نفس الرسول المطمئنة بنصر الله، فإذا هي تمضي في الطريق الوعر، وكلها ثقة بهذا النصر، مهما اشتدت وعورة الطريق.

لقد كان الله قادراً على نصر رسوله دون أن تدمى أقدامه بأشواك الطريق، ولكنها مشيئة الله اقتضت أن هذا هو طريق الدعوات، وعلى الدعاة في كل زمان ومكان أن يسلكوه ونفوسهم مترعة ثقة بنصر الله وتأييده".<sup>(٢)</sup>

"لقد وضع رسولنا ﷺ خطواته الأولى في الدرب صوب المدينة وقلبه يخفق بهذا الدعاء "وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً" وكان يعلم جيداً أن حركة الإنسان في التاريخ لا تستقيم وتصل إلى هدفها إلا أن يرفع الإنسان بصره وفؤاده وعقله وسمعه وحسه إلى السماء يتلقى عنها الصدق والنصر، ولكنه لم ينس لحظة أن هذا التوجه إلى السماء يجب أن يقترن بثبات الخاطر على الأرض ويتحمل مسؤولية السمع والبصر والفؤاد بأمانة كاملة وبصياغة الحرية الإنسانية بما ينسجم في المدى القريب والبعيد مع قدر الله ونواميسه وسنته، وبدون هذا التناغم بين مشيئة الله وحرية الإنسان، بين نور السماء وشفافيتها وبين كثافة الأرض ووعورة الطريق، بدون هذا الحوار الدائم الفعال بين الإنسان وخالق الإنسان، بين انطلاق الروح وشد الجسد، بدون هذا التواصل الدائم بين الحضور

(١) أحمد نوفل، الحرب النفسية، ص ٤٢، مرجع سابق.

(٢) محمد علي الهاشمي، شخصية الرسول ودعوته في القرآن، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

والغياب، بين عالم المشاهدة المباشرة والغياب البعيد، بدون هذا وذاك لن تكون هناك حركة جادة ولا مصير عظيم".<sup>(١)</sup>

"وفي حدث الهجرة لك أن تتصور موقف المشركين وتأمّرهم، لك أن تتصور موقف هؤلاء حين علم رجال قريش خروج المسلمين إلى المدينة، ورأوا أن مكة قد أفقرت من المسلمين الذين تركوا وراءهم متاعا كثيرا، لأن الهدف الذي تحركوا من أجله أعلى وأسمى من كل ما عداه وأكثر إلحاحا من تلبية مطالب جسدية فقط في أيديهم، ورأوا أنهم إن لم يتدبروا أمرهم، وينظروا في مستقبل أيامهم، فإن أمر الإسلام لا محالة غالب، ومن ثم اجتمعوا في دار الندوة، ليتخذوا قرارا حاسما في هذا الأمر".<sup>(٢)</sup>

وقد علم النبي ﷺ بهذا المؤتمر العلني وعرف حقيقة ما أرادوا به، وقد أشار السياق القرآني إلى هذا المؤتمر وما تم فيه من اقتراحات للتخلص من محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قال سيد قطب: "لقد كانوا يمكرون ليوتقوا رسول الله ﷺ، ويحبسوه حتى يموت؛ أو ليقتلوه ويتخلصوا منه؛ أو ليخرجوه من مكة منفيا مطرودا، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعا، ليتفرق دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر.

والصورة التي يرسمها قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ صورة عميقة التأثير، ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش، وهم يتآمرون ويتذاكرون ويدبرون ويمكرون، والله من ورائهم محيط، يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون.<sup>(٣)</sup>

وقد عزم النبي محمد ﷺ على ترك مكة موطنه ومسقط رأسه متجها إلى المدينة المنورة، "ولا نعرف بشرا أحق بنصر الله وأجدر بتأييده مثل هذا الرسول ﷺ الذي لاقى في جنب الله ما لاقى ومع ذلك فإن استحقاق التأييد الأعلى الذي لا يعني التفريط قيد أنمله في استجماع أسبابه وتوفير وسائله.

(١) عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، الطبعة التاسعة، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٥، ص ٥٧.

(٢) سعيد المرصفي، الهجرة النبوية ودورها في بناء المجتمع، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، ١٩٨٢، ص ١٢٥.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٥٠١، مرجع سابق، (باختصار)

ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع في حسابانه مكانا للحظوظ العمياء.

وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنه كل شيء في النجاح ثم يتوكل بعد ذلك على الله لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله، فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يلومه على هزيمة بلي بها، وقلما يحدث بعد ذلك إلا عن قدر قاهر يعذر المرء فيه!

وكثيرا ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيبا حسنا، ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار".<sup>(١)</sup>

"فما من خطوة خطاها رسول الله ﷺ أو كلمة تفوه بها من فمه الطاهر الشريف أو فعل فعله ﷺ، الا وكان بتخطيط وبهدف وكانت عناصر الخطة:

الهدف: التوجه إلى المدينة والوصول إليها بسلام.

أبو بكر: الرفيق الصديق المصاحب للرسول.

علي بن أبي طالب: الجندي الفدائي الذي يفدي الرسول بنفسه.

المكان الآمن المؤقت: غار ثور.

التموين: عن طريق أسماء بنت أبي بكر.

تعمية أخبار النبي والمسلمين عن عيون قريش: عامر بن فهيرة.

دليل الرحلة: عبد الله بن أريقط وكان ماهرا.

موعد الإنطلاق من الغار: بعد ثلاثة أيام".<sup>(٢)</sup>

"لقد انطلق النبي ﷺ متوجها إلى المدينة يتلو كلام الله سبحانه وتعالى: ويدعوه بهذه التي تنزلت على قلبه عند أول خطوة أراد أن يخطوها في هجرته، قال تعالى: ﴿وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ [الإسراء: ٨٠]."

وهكذا ينبغي على الدعاة إلى الله إلى الله في كل زمان ومكان أن يجمعوا بين الأخذ بالأسباب المادية وبين حسن الاتصال بخالق هذه الأسباب وموجدها والأمر بالأخذ بها، أنهم

(١) محمد الغزالي، *فقه السيرة*، ص ١٥٩، مرجع سابق.

(٢) محمد أبو فارس، *الهجرة النبوية*، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢، ص ٣٥-٣٧.



ينبغي أن يتضرعوا إلى الله عز وجل بالدعاء والرجاء، ويجب أن يوقفوا أن الفصل بين هاذين الأمرين هو الهلاك بعينه وهو الانحراف عن الجادة المستقيمة، بل هو في الحقيقة فقد لمعالم الطريق.

وما من حركة تطلب النصر على أعدائها أضعفت صلتها بربها أو قطعت هذه الصلة إلا وتتابع عليها الهزائم وذاتت الولايات وسلط الله عليها عدوها فأخذ بعض ما في أيديهم".<sup>(١)</sup>

يقول عماد الدين خليل مشيراً إلى أهمية الدعاء وأثره في تحقيق النصر في هجرة النبي ﷺ: "أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل قلبه يخفق بدعاء الله، وهو يرسم الخطط، ويضع الضمانات، ويهيئ الموارد والإمكانات والدفع الكفيلة بإيصاله إلى هدفه، لم يجيء هذا الدعاء قبل التخطيط فحسب، ولا جاء بعده فحسب، فليس في علاقة الإرادة البشرية بالمشيئة الإلهية - خلال الحدث - قبلية ولا بعدية وإنما تسير الاثنان في انسجام رائع، لأن هذه من تلك، ولأن الإنسان في أصغر جزئيات الحركة وفي أكبرها إنما ينفذ قدر الله وناموسه في الأرض، في مدى الحرية التي أتاحت له، أما أن يجيء الدعاء والتوجه قبل التخطيط فحسب أو بعد التنفيذ فحسب فهو من قبيل الثنائيات التي ترفضها مبادئ السماء أشد الرفض لأنها تفصل بين الله والإنسان، وتقسّم خط الاثنان في حركة التاريخ بما لا يتفق أساساً والسنن الكبرى".<sup>(٢)</sup>

فإذا كانت الأمة جادة في بغيتها النصر، ينبغي أن لا تكفي بالخطب الرنانة التي تلقى على المنابر، بل يجب أن تضع السياسات لتحقيقه مهما استغرقت من الوقت، وفي رسول الله ﷺ لها قدوة.

"ويلاحظ أن النبي ﷺ قد كتم أسرار مسيره، فلم يطلع عليها إلا من لهم صلة ماسة، ولم يتوسع في اطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم.

وقد استأجر دليلاً خبيراً بطريق الصحراء ليستعين بخبرته على مغالبة المطاردين ونظر في هذا الاختيار إلى الكفاية وحدها، فإذا اكتملت في أحد - ولو مشركاً - استخدمه وانتفع بموهبته.

ومع هذه المرونة في وضع الخطة فإن النبي عليه الصلاة والسلام أصر أن يدفع ثمن راحلته، وأبى أن يتطوع أبو بكر به، لأن البذل في هذه الهجرة ضرب من العبادة ينبغي الحرص عليه وتستبعد النيابة فيه.

(١) المرجع ذاته، ص ٤٢-٤٣.

(٢) عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ١٢٨، مرجع سابق.

وانفق الرسول عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر على تفاصيل الخروج، وتخيروا الغار الذي يأوون إليه، تخيروه جنوباً في اتجاه اليمن لتضليل المطاردين وحددوا الأشخاص الذين يتصلون بهم في أثناء اللجأ إليه، ومهمة كل شخص. وأوعز الرسول عليه الصلاة والسلام إلى علي بن أبي طالب في هذه الليلة الرهيبة أن يرتدي بردة الذي ينام فيه، وأن يتسجى به على سريره، وفي هجعة من الليل وغفلة من الحرس، نسل الرسول عليه الصلاة والسلام من بيته إلى دار أبي بكر ثم خرج الرجلان في خوخة في ظهرها إلى غار ثور، إلى الغار الذي استودعته العناية مصير الرسالة الخاتمة، ومستقبل حضارة كاملة، وتركته في حراسة الصمت والوحشة والانقطاع<sup>(١)</sup>.

إن هذا الاستعداد الدقيق والتخطيط المنظم الواعي والتنفيذ العملي المرتب لخطة الهجرة أدت إلى نجاحها نجاحاً باهراً، "ليوقن الناس أن الله ينصر أوليائه الذين ينصرونه، ويتحملون في سبيل الله ذلك العنت والمشقة والأذى"<sup>(٢)</sup> قال تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» [الطلاق: ٣]

لقد كانت الهجرة نصراً للإسلام مثلت نقطة تحول في تاريخ الأمة المسلمة، فأصبحت أمة لها كيان مستقل مجاهدة في سبيل ربها تسعى لتبليغ دين الله إلى الناس أجمعين، وهنا تظهر أهمية تكوين النبي ﷺ جيش قوي من المسلمين وقوة ضاربة تحمي بنيان الأمة وتدافع عنه.

### المبحث الثاني: النصر في غزوات النبي ﷺ

أورد السياق القرآني آيات عديدة تتحدث عن نصر النبي ﷺ في الغزوات التي كان يخوضها مع المشركين، وكتب السيرة والتاريخ تحدثت عن غزواته عليه الصلاة والسلام بإسهاب، وهنا سأحاول الوقوف على أبرز ومضات النصر التي ظهرت خلال قتاله المشركين سعياً لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وقد أظهرت هذه الغزوات شخصية رسول الله عليه الصلاة والسلام وعبقريته في سياسة الجيوش واستجلاب النصر؛ ذلك لأن للنصر أسباباً لا بد من السعي لإحقاقها فالخوارق وحدها لم تكن هي وحدها أسباب النصر، لذلك يجب أن نولي هذه الأسباب اهتماماً، ويجب أن نعطي

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ١٦١ - ١٦٢، مرجع سابق.

(٢) محمد أبو فارس، الهجرة النبوية، ص ٥١، مرجع سابق.

لرسول الله ﷺ قدره ونعترف بدوره في تحقيق النصر للأمة المسلمة عبر تاريخها الأول "أيقنت قريش أن هجرة النبي ﷺ كانت نصرا له ولرسالته، وظهورا لكلمة الإيمان، وخفضا لراية الشرك والكفر.

ولم يكن سهلا على النفوس الجاهلية أن تتقبل نمو قوة الإسلام إلى جوارهم وهم صامتون، ولم يكن المسلمون الأعزاء ليتقبلوا أيضا وقد أصبح في أيديهم قوة أن يقعدوا عن الانتصار لدين الله من عدو الله وعدوهم.

وقد وقعت مواجهات عديدة في الصف المسلم ومعسكر الشرك ابتدأت ببعض السرايا وبدر الكبرى وانتهت بالفتح الأكبر ثم حنين، فدخل الناس في جزيرة العرب في دين الله أفواجا<sup>(١)</sup>. وهذه وقفات مع ومضات النصر في بعض غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها أهل الشرك والمنافقين واليهود وسجلها السياق القرآني حتى نلمس النهج ونسير على الدرب.

#### • غزوة بدر:

قال تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليقض الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون. إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشري وتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم. إذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام. إذ يوحي ربك الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ [الأنفال: ٧-١٣]

نزلت هذه الآيات في غزوة بدر التي استحوذت على مساحة واسعة من كتب السيرة، ولا غرابة في ذلك لأنها حمت ظلال الإسلام من الهزيمة ثم الفناء، إذ لولا نصر المسلمين في هذا الغزوة لما نعموا بهذا الدين السماوي الكريم، فقد أظل الله المسلمين بالنصر الكريم، وقد أوردت الآيات السابقة أسباب النصر فكانت فضلا من الخالق سبحانه على رسوله ﷺ والمؤمنين.

(١) أحمد نوفل، الحرب النفسية، ص ٤٤، مرجع سابق.

قال المراغي: "إن رسول الله لما سمع بأبي سفيان مقبلاً بغيره من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، فخف بعضهم وثقل بعضهم ظناً منهم أن رسول الله ﷺ لا يلقى حرباً، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز من يتجسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى أهل مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ وادياً يقال له نخران حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن مسير قريش إليهم ليمنعوا عيرهم فأخبروا رسول الله ﷺ الناس بذلك واستشارهم فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فقال فأحسن، ثم قام عمر فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله: امض لما أمرك الله به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤٩] ولكن اذهب أنت وربك إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا برك الغماد (مدينة باليمن) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه".<sup>(١)</sup>

وكان القتال بين المؤمنين والمشركين ونتج عنه نصره الله لعباده وهزيمة الكافرين فقد هزمت قريش وكسرت شوكتها وضاعت هيبتها وقد حملت هذه الغزوة الكثير من أسباب النصر وقيمه الكثيرة كانت للمؤمنين، قيادة موحدة قوية؛ "كان الرسول ﷺ هو القائد العام في معركة بدر، وكان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته: يوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم، وهذا هو واجب القائد الكفاء.

وكان ضبط المسلمين في تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقي المتين، وإذا كان الضبط أساس الجندية، وإذا كان الجيش المتميز هو الذي يتجلى بضبط متميز، فقد كان جيش المسلمين متميزاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان. وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة نادرة وإخلاص عجيب وبشوق وطيبة خاطر عظيمين، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالي، صبر في الشدائد وشجاعة نادرة في المواقف الحرجة، ومساواة لنفسه بأصحابه، واستشارتهم في كل عمل حاسم وأخذة بالمشورة وتطبيقها"<sup>(٢)</sup>

(١) عمر المراغي، تفسير المراغي، ص ٤٦٨-٤٨٧، مرجع سابق.

وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١-٤، مصدر سابق.

(٢) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، الطبعة الخامسة، دار الفكر، ١٩٧٤، ص ١١٤.

وقد أشار السياق القرآني إلى جنود عديدة من جنود الله سبحانه وكان وجودها يشكل عاملاً أساسياً في نزول النصر على المؤمنين.

"فكان دعاء المؤمنين إلى الله عز وجل واختار السياق لفظ الاستغاثة ليعبر عن الدعاء بل عن حار الدعاء وخالصه: إذ تستغيثون ربكم، ثم بين سرعة الاستجابة فقال: فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة ثم بين وظيفتهم وأنهم ليردفوا المؤمنين: "مردفين" وأنهم لتبشير المؤمنين وتثبيتهم وبث الحماس والمعنويات في نفوسهم: وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.

ثم ذكر أفضالاً أخرى من الله عز وجل على المؤمنين: "إذ يغشيكم النعاس أمنة منه" وقد يسأل سائل وما قيمة هذا الأمر حتى يسجله، والحق أنه ذو قيمة جسمية ونفسية، فكلنا يعلم كم للراحة من دور في تجديد النشاط، وكم للنوم أهمية في تبيد المتاعب، أضف إلى السكينة النفسية التي كان يجلبها النوم وما رأى فيه النبي من رؤيا صادقة بشرها المؤمنين حيث أفاق، فلقد كان النوم منة من الله على المؤمنين بينما حرم الترقب صف المشركين من النوم فأصبحوا في جهد ونصب".<sup>(١)</sup>

قال سيد قطب: "أما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة، لا تكون إلا بأمر الله وقدرته وتدييره، لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلّة في مواجهة خطراً لم يحسبوا حسابه فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم والطمأنينة تفيض على قلوبهم".<sup>(٢)</sup>

ومن أسباب النصر في هذه الغزوة المطر، "كان المطر جندياً من جنود الله بالنسبة للمسلمين كانت نسبته معتدلة حيث تماسكت الأرض تحت أقدام المسلمين فكانت حركتهم سريعة، وكانت الأمطار في جانب المشركين كثيرة بحيث أوحلت الأرض تحت أقدامهم فكانت حركتهم بطيئة، وكان المطر جندياً من الجنود التي تبعث الأمل في نفوس المسلمين وتطرد وساوس الشيطان ورجزه وتطهر المؤمنين ظاهراً وباطناً".<sup>(٣)</sup>

(١) أحمد نوفل، الحرب النفسية، ص ٩٤-٩٥، مرجع سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٤٨٤، مرجع سابق (باختصار).

(٣) محمد أبو فارس، الهجرة النبوية، ص ٥١، مرجع سابق.

وقد خطط النبي ﷺ مع صحابته لمكان المعركة، فدرس أحوال المشركين وعددهم وعددهم ومعداتهم ثم اختار المكان الجغرافي المناسب لحالهم أثناء قتال المشركين وجعلوا الماء في حوزتهم، وما كان هذا إلا نتيجة تطبيقه قاعدة عسكرية مهمة في الغزوات ولا يستغنى عنها أبداً ألا وهي قاعدة الشورى، هذه القاعدة التي أقرها النبي ﷺ لحكم وأغراض منها:

"١- أن يؤكد تميز أمته بالشورى.

٢- أن يضع القواعد التي يسير عليها الحكام من بعده.

٣- يريد أن لا يساق الجنود إلى المعارك وغيرها سوقاً بل لهم الرأي في كل عمل مما يجعلهم يقتنعون بما يقدمون عليه، ويبذلون كل الجهد في إنجاحه.

٤- تأكيد معنى أخوة المسلمين".<sup>(١)</sup>

وقد أشار الحباب بن المنذر على النبي ﷺ المكان الأفضل حتى يعسكر المسلمون فيه. "قال للرسول ﷺ: "أرأيت هذا المنزل أنزله الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل. امض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتعسكر فيه، ثم نغور ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون".<sup>(٢)</sup>

إن تمتع المؤمنين بعقيدة قتالية راسخة ومعنويات عالية جعلتهم ثابتين في المعركة، فهم على دين الحق، أما المشركون فهم على الباطل، فلم يرهب المسلمين تفوق العدو عليهم في عدده وعدده.

"لقد أثبتت كل الحروب في كل أدوار التاريخ، أن التسليح والتنظيم الجيدين والقوى العددية غير كافية لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية.

إن المعنويات العالية التي كان يتحلى بها المسلمون في بدر، من أهم أسباب نصرهم في تلك المعركة الحاسمة.

لقد كانت معركة بدر صراعاً حاسماً بين عقيدتين، فانحصرت العقيدة التي تستحق البقاء على العقيدة التي تستحق الفناء".<sup>(٣)</sup>

(١) أحمد نوفل، الحرب النفسية، ص ١١٨، مرجع سابق.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤١١-٤١٢، (باختصار) مصدر سابق.

(٣) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ١٢٠-١٢١، (باختصار) مرجع سابق.

وفي هذه الغزوة أعد النبي ﷺ العيون والجواسيس فكان ذو فطنة وشجاعة ففي إرسال أفراد من الجيش المسلم ليتسللوا إلى أرض العدو لياتوا إليه بأخبار العدو وتحصيناته.

وكان ممن أرسلهم النبي عليه الصلاة والسلام نحو معسكر قريش "علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، فأصابوا غلامين لقريش يعملون على سقاية الأعداء، فأتوا بهما رسول الله ﷺ فسألهما: فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم الماء، فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبراني عن قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما: كم القوم؟ قالوا كثير. قال ما عدتهم؟ قالوا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ ما بين التسعمائة إلى الألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة...." (١).

وهذا وضح لنا الأمر وكشفه فحاض المسلمون الحرب على بينة وخبره بالقوة التي يمتلكها المشركون، وانتهت بنصر المسلمين وهزيمة أعداء الدين، رغم أنهم لم يكونوا على لقاء عند خروجهم من المدينة المنورة مع الكافرين للقتال، "وإنما كان الدافع قصد الاستيلاء على غير قريش القادمة من الشام تحت إشراف أبي سفيان، غير أن الله تعالى أراد لعباده غنيمته أكبر، ونصراً أعظم، وعملاً أشرف وأكثر انسجاماً مع الغاية التي ينبغي أن يقصدها المسلم في حياته كلها، فأبعد عنهم العير التي كانوا يطلبونها، وأبدلهم بها نفيراً لم يكونوا يتوقعونه." (٢)

"إن المرء قد تفجوه أحداث عابرة - وهو ماض في طريقه - يحتاج في مواجهتها لأن يستجمع مواهبه، وأن يستحضر تجاربه، وأن يقف أمامها حاد الانتباه مرهف الأعصاب، وهذه الامتحانات لمباغثة أدق في الحكم على الناس وأدل على قيمتهم من الامتحانات التي يعرفون ميعادها ويتقدمون إليها واثقين مستعدين، فالمسلمون الذين خرجوا لأمر يسير ما لبثوا أن ألفوا أنفسهم أمام امتحان شاق تيقظت له مشاعرهم، فشرعوا يقلبون على عجل تكاليفه ونتائجه." (٣)

### • غزوة أحد:

حرصت قريش بعد هزيمتها في بدر على الثأر من المسلمين، وصممت على غزو المسلمين في المدينة المنورة، فجمعت جيشها وخرج لتقاء المسلمين.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٠٨، (باختصار) مرجع سابق.

(٢) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص ١٥٩، مرجع سابق.

(٣) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٢٢٢، مرجع سابق.

قال المراغي: "لما خذل المشركون في وقعة بدر ورجع قُلمهم إلى مكة مقهورين أخذ أبو سفيان يؤلب المشركين على رسول الله ﷺ، إذا كان هو الرئيس بعد مقتل من قتل من صناديد قريش، فاجتمعوا للحرب وكانوا نحو ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس، وقادهم أبو سفيان بن حرب ومعه زوجه هند بنت عتبة وجملة من النساء خمس عشرة امرأة، ومعهن الدفوف يضربن بها ويبيكين على قتلى بدر ويحرضن المشركين على حرب المسلمين، وساروا من مكة حتى نزلوا مقابل المدينة في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان رأي رسول الله ﷺ المقام في المدينة وقتالهم بها، ورأى باقي الصحابة الخروج لقتالهم، فخرج في ألف من الصحابة إلى أن صار بين المدينة وأحد، فانخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلث الناس.

ونزل رسول الله ﷺ الشعب من أحد، وجعل ظهره إلى الجبل، وكان عدة أصحاب رسول الله ﷺ سبعمائة فيهم مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين، وقد التقى الجمعان: ولما انهزم المشركون طمعت الرماة في الغنيمة وفارقوا المكان الذي أمرهم النبي ﷺ بملازمته، فأتى خالد بن الوليد مع خيل المشركين من خلف المسلمين، ووقع الصراخ أن محمدا قد قتل، وانكشف المسلمون وأصاب العدو منهم وكان يوم بلاء على المسلمين".<sup>(١)</sup>

في هذه الغزوة أقام النبي ﷺ قاعدة الشورى، فشاور أصحابه بين قتال المشركين في المدينة أو الخروج إليها، فرأى الصحابة الخروج للمشركين. "وكان رأيه ﷺ أن يتحصنوا بالمدينة المنورة وأن يدعوا قريشا خارجها، فإذا دخلتها قاتلهم فيها قتال الشوارع في منطقة يعرفها المسلمون كل المعرفة ولا تعرفها قريش، مما يساعد المسلمين على ضرب قريش وإيقاع الخسائر الفادحة بها، وكان رأي كبار الصحابة مثل هذا الرأي كما كان هذا رأي عبد الله بن أبي، ولكن الرجال الذين لم يشهدوا بدرا - خاصة الشباب منهم - تحمسوا للخروج من المدينة وملاقاة قريش خارجها وأيدهم رجال اشتركوا ببدر كي لا يرمى المسلمون بالجبن لاضطرارهم إلى القتال داخل المدينة".<sup>(٢)</sup>

"وقد عسكر المسلمون في الشعب من "أحد" في عدوة الوادي جاعلين ظهرهم إلى الجبل، ورسم النبي ﷺ الخطة لكسب المعركة، فجاءت محكمة رائقة، ووزع الرماة على أماكنهم وأمر

(١) أحمد المراغي، تفسير المراغي، ج ٤، ص ٤٢-٤٣، (باختصار) مرجع سابق.

وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٤، مصدر سابق.

(٢) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ١٧٥، مرجع سابق.



عليهم عبد الله بن جبير - وكانوا خمسين رجلا - وقال انصحوا الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا! إن كانت الدائرة لنا أو علينا فالزموا أماكنكم لا تؤتينا من قبلكم".<sup>(١)</sup>

فقد حرص النبي ﷺ على اختيار المكان الجغرافي المناسب، ثم أقام قاعدة حربية مهمة جدا وهي الشورى، ثم توزيعه الرماة وتحديد وظيفتهم الأساسية والتشديد عليهم بالطاعة والالتزام هدفهم في كل الظروف.

"وقد زحفت صفوف المسلمين على صفوف المشركين فانهزموا، وأخذ المسلمون يجمعون الغنائم فانتهز خالد بن الوليد فرصة ترك المسلمين لمواضعهم، وكان على ميمنة خيل المشركين، فهاجم مواضع الرماة التي تركوها، وتخرج موقف المسلمين وأصبح خطيرا جدا، فهاجم خاصة وأن صفوفهم لم تكن رصينة في مواضعها ليستطيع الصمود إذ تبعثر أفرادها لجمع الغنائم".<sup>(٢)</sup> والمسلمون خسروا في أحد بعدما أثار النصر جنبات نفوسهم ويمكن تلخيص أسباب هذه الهزيمة بالعناصر التالية:-

"أ- عدم المطاردة: لم يقم المسلمون بالمطاردة في الصفحة الأولى من المعركة بعد انهزام المشركين بعيدا عن معسكرهم، بل انشغلوا بالغنائم، ولو أنهم طاردوا قريشا فورا بعد هزيمتها لقضوا على قواتها بسهولة، ومن بعد ذلك يعودون لجمع الغنائم.

ب- مخالفة الأوامر: تنفيذ الأوامر هو الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية والسبب المباشر المؤدي لكل انتصار في كل معركة، ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك، إذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد بن الوليد من هذه الفرصة لتطويقهم من الخلف، مما أدى إلى الإطباق عليهم من كل الجهات.

ج- المباغته: المباغته مبدأ من مبادئ الحرب، ومعناها ضرب العدو من مكان أو زمان أو بأسلوب لا يتوقعه، بحيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية و المعنوية، وكان قيام خالد بن الوليد بالتفاف وراء قوات المسلمين في الوقت الذي انهزم فيه المشركون مباغته تامة للمسلمين، فارتبكت صفوفهم لدرجة لم يفرقوا معها قوات عدوهم وبين قواتهم، كما تحطمت معنويات الكثير منهم وأصبحوا لا يعرفون ما يصنعون.

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٢٥١، مرجع سابق.

وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٨، مصدر سابق.

(٢) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ١٨٠ - ١٨١، (باختصار).

إن هذه المباغثة أتاحت الفرصة لقريش للقضاء على المسلمين وإبادة قواتهم، ولكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم المتميز هذا، فضيعوا هذه الفرصة السانحة لجعل معركة أحد حاسمة في نتائجها".<sup>(١)</sup>

وكان للإشاعة دور في هزيمة المسلمين، إذ انتشر بين المسلمين أن رسول الله ﷺ قد مات، فتأثروا بهذه الدعاية المسمومة التي بثها المشركون فأدخلوا الرعب في قلوب المسلمين، لذلك جاء السياق القرآني مبين لهذه الحقيقة وما يتعلق بها قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابهم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤].

"ومما لا جدال فيه أن قتل القائد وخاصة في ذلك العصر معناه الهزيمة للجيش وبهذا كان للإشاعة الكاذبة التي انتشرت بين المسلمين بأن نبيهم قد قتل أثر مزلزل في نفوس كثير من أفراد الجيش الإسلامي، ووقفوا حائرين لا يدرون ماذا يصنعون؛ حتى أن بعض المؤرخين يرون أن السبب الأكبر في انكسار المسلمين بعد الانتصار هو انتشار إشاعة مقتل النبي ﷺ".<sup>(٢)</sup>

"وقد تمكن المسلمون المطوقون من التغلب على جيش مكة المطوق، حيث كسروا الطوق الذي ضربه حولهم، ثم أفلتوا من قبضته وشقوا طريقهم عبر صفوفه نحو الشعب من أحد حيث يوجد قائدهم الأعلى، بعد أن دفعوا لهذا التخلص ثمنا قوامه عشرة في المائة من مجموع قواتهم، ففوتوا بذلك على قريش أثنى فرصة سنحت لهم للقضاء على الجيش الإسلامي بالإبادة والأسر، وقد اعتبر كثير من العسكريين تمكن المسلمين من كسر الطوق الذي ضربه المشركون حولهم وإفلاتهم نصرا جديدا سجله المسلمون واندحارا ثانيا مني به المشركون".<sup>(٣)</sup>

وكان للقيادة المسلمة المتمثلة في رسول الله ﷺ خير شجاعة وإقدام إذ لولا ثباته عليه السلام وصموده حين طوق الكفار جيش المسلمين لأفنت قريش المسلمين ولكن هيهات أن يكون لها ذلك، ومحمد بن عبد الله قائد المسلمين فقد جعل المؤمنين متمسكين بعد النكسة.

(١) المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٢) محمد أحمد باشميل، غزوة أحد، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣١٩.

(٣) المرجع ذاته، ص ٣٢٠.

"وذهبت كل محاولات قريش للقضاء على المسلمين ادراج الرياح، إذ تجمع المسلمون حول النبي ﷺ وأصبحوا تحت قيادته بعد أن كانوا متفرقين لجمع الغنائم أولاً، ونتيجة لصدمة المباغثة التي أجراها خالد بن الوليد بالالتفاف حول قواتهم وضربها من الخلف ثانياً".<sup>(١)</sup>

والمباغثة تعد ما أهم مبادئ الحرب قاطبة لما لها من دور في إحراز نتائج حاسمة وسريعة في صفوف العدو، وعماد المباغثة الخدعة والمكر والدهاء، وقد اهتم النبي ﷺ باستخدام هذا المبدأ في حروبه لما له من دور في إرباك العدو ودب الرعب في قلبه.

ولما عاد المسلمون إلى المدينة ظهرت عداوة المنافقين وشماتتهم بالمسلمين وعداوة اليهود كذلك، "ففارت المدينة كالمرجل المنقذ، وكشف عن عداوته من كان قبلاً يوارىها، وتحدث الكافرون بالإسلام عن خذلان السماء للنبي المرسل من عند الله.

ف رأى النبي ﷺ أن يعيد تنظيم رجاله على عجل، وأن يتحامل الجريح مع السليم على تكوين جيش جديد يخرج في أعقاب قريش ليطاردها، ويمنع ما قد يجد من تكرار عدوانها.

وسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد، واقتربوا من جيش أبي سفيان، وكان رجال قريش بعد أن ضمهم الفضاء الرحب قد عادوا إلى التفكير فيما حدث، وأخذوا يتلاومون يقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكة، ثم تركتموها ولم تبتدوها، وقد بقيت منهم رؤوس يجمعون لكم.

إلا أن هذا التفكير تزلزل اثر ما عرفت قريش أن المسلمين عبأوا قواهم وخرجوا يستأنفون القتال".<sup>(٢)</sup>

"إن النصر إنما يكون مع الصبر وإطاعة أوامر القائد الصالح، فلم يكذب يؤذن في الناس للخروج مرة أخرى لطلب العدو حتى تجمع أولئك الذين كانوا معه بالأمس من بعد ما أصابهم القرح وأنهكتهم الجروح والآلام".<sup>(٣)</sup>

وقد عالجت سورة آل عمران أمر هذه الغزوة بالتفصيل، فهي مرجع لأمتنا في بحثها عن النصر في كل زمان.

(١) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ١٨٣، مرجع سابق.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٢٧٢، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧٨، مصدر سابق.

(٣) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص ١٨٤، مرجع سابق.

على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله. فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم إن الله غفور رحيم ﴿التور: ٦٢﴾.

وقد كانت رحمة النبي ﷺ بصحابته شديدة، فلما رأى الأحزاب قد تحلقوا حول المدينة وطال حصارهم لها شاور أصحابه أن يصلح غطفان على ثلث ثمار المدينة، فقال له سعد بن معاذ: "يا رسول الله: أهو أمر تحبه فنصنعه أم شيء أمرك به الله، أم شيء تصنعه لنا؟ قل: بل شيء أصنعه لكم كي أكرس عنكم من شوكتهم، فقال له سعد بن معاذ: والله ماننا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتهلل وجه رسول الله ﷺ وقال له: فأنت وذاك".<sup>(١)</sup>

وكان من أساليب القيادة النبوية الاستطلاع فبعث حذيفة بن اليمان إلى معسكر قريش ليتسلل ويأتيه بخبر القوم، وكان مثال الجندي المطيع الذي يضحي بنفسه في سبيل تحقيق الأمر النبوي. قال حذيفة: "فذهبت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء، فقام أبا سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت له من أنت؟ قال فلان بن فلان".<sup>(٢)</sup>

ولا بد للقائد أن يكون خبيرا برجاله وبقدرتهم على تنفيذ المهمات فيختار لكل مهمة من يناسبها، فقد اختار حذيفة وأوصاه أن لا يثير الكافرين عليه.

وكان يدرك ﷺ أثر الحرب النفسية وقيمتها في توهين كيد العدو لذلك استغل فرصة إسلام الصحابي نعيم بن مسعود لصالح معسكر الأمة كلها، فقد أمره أن يكتم إسلامه ثم يعمل على تخذيل الأحزاب وينشر الإشاعات بينهم.

وأجاد الصحابي دوره إجابة تامة فزرع بذور الشك وعدم الثقة بين الأحزاب فأصبحت قريش لا تثق باليهود وكذلك اليهود، وقد ذهب إلى غطفان وفعل مثلما فعل مع قريش واليهود.<sup>(٣)</sup>

(١) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص ٢١٥، مرجع سابق، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٦، مصدر سابق.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٦٩، مصدر سابق.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٦٧، مصدر سابق.

وكان للدعاء - هذا السلاح - دورا بارزا وفعال في هزيمة الأحزاب، فلا ينبغي أن يغفل أمره، فقد كان النبي ﷺ يستغيث ربه ويتضرع إليه داعيا أن يؤتي المسلمين النصر، وكان من دعائه: "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"<sup>(١)</sup>

وفي ليلة باردة أقعدت الكفار يصطلون بدفئ النار اتخذ الكفار قرارا حاسما في هذا القتال الفاشل فقال أبو سفيان: "يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والحق، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تظمنن لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقله إلا وهو قائم"<sup>(٢)</sup>

وقد من الله على المؤمنين بذلك، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

فكانت الريح جند من جنود الله سبحانه والذي حسم المعركة دون قتال بين المؤمنين والأحزاب، أرسلها الله سبحانه في الليالي الباردة التي عسكر فيها الأحزاب حول المدينة. قال الألويسي: "إن الله بعث عليهم صبا بارده فأحصرتهم، وسفت التراب في وجوههم، وأمر الملائكة، فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب"<sup>(٣)</sup>.

ويمكن تحديد أسباب فشل الأحزاب بما يلي:

١- قيادة غير موحدة: لم تكن للأحزاب قيادة موحدة تستطيع السيطرة على جميع القوات المجتمعة وتوجيهها للعمل الحاسم في الوقت الحاسم.

٢- المباغته بالخنديق: لقد كان حفر الخندق مباغته تامة للأحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب

(١) رواه البخاري.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٦٩، مصدر سابق.

(٣) الألويسي، روح المعاني، ج ٢١، ص ٢٠٩، مصدر سابق.

٣- الطقس: كان موسم القتال شتاء، وكان الأعراب يعيشون في غير مواطنهم التي يستفيدون من مواردهم المتيسرة للتدفئة وللإعاشة وللسكنى لذلك لم يستطيعوا البقاء لحصار المدينة مدة طويلة.

٤- انعدام الثقة: كانت الثقة بين الأحزاب أنفسهم من جهة وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى واهنة جدا، بل لم تكن هناك ثقة بينهم على الإطلاق.

٥- الصبر على الحصار: يحتاج الصبر على الحصار المديد إلى قوات مدربة لها أهداف معلومة وقيادة مهيمنة، أما القبائل فلا صبر لها على الحصار المديد لأنها اعتادت التنقل بين فترة وأخرى كما أنها لا تطيق صبرا على فراق وطنها وأهلها مدة طويلة، لذلك تنمر الأعراب من طول مدة الحصار - على قصرها - وأثروا الارتحال على البقاء".<sup>(١)</sup>

### • غزوة حنين

ورد ذكر هذه الغزوة في سورة براءة، قال ابن كثير: "لما فرغ رسول الله ﷺ من فتح مكة وتمهدت أمورها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله ﷺ فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاآتوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النضري ومعه ثقيف بكاملها، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنعم، وجاؤوا بقضهم وقضيضهم، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في الفين أيضا فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين، فكانت فيه الواقعة في أول النهار من غلس الصبح، انحدروا في الوادي وقد كمننت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاروهم، ورشقوا بالنبال وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم، فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كمال قال عز وجل: وثبت رسول الله ﷺ وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه أخذ بركابها الأيمن، و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر يتقلانها لئلا تسرع المسير وهو ينوه باسمه عليه السلام، ويدعوا المسلمين إلى الرجعة ويقول: أين عباد الله؟ إلي أنا رسول الله ويقول في تلك الحال

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

(١) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ٢٣٥-٢٣٦، (باختصار) مرجع سابق.

وثبت معه من أصحابه قريب من مئة، ومنهم من قال ثمانون، فمنهم: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والعباس وعلي، والفضل بن عباس وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد وغيرهم رضي الله عنهم ثم أمر عمه العباس - وكان جهر الصوت - أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة - يعني بيعة الرضوان، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على ألا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم: يا أصحاب السمرة، ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعون إلى رسول الله ﷺ حتى أن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع لبس درعه، ثم انحدر عنه وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ، فلما رجعت شزيمة منهم أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: الله انزل لي ما وعدتني، ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينه وفمه ما شغله عن القتال ثم انهزموا، فانتبع المسلمون اقفاؤهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجذلة بين يدي رسول الله ﷺ. (١)

"إن السهولة التي تم بها فتح مكة، وإحساس جمهور المؤمنين أن الجاهلية تلفظ أنفاسها الأخيرة فلن تبدي مقاومة تذكر، وظنّ حدثاء العهد بالاسلام أن شيئاً ما لن يقف في طريقه، كل ذلك جعل الجيش يزحف للقاء المشركين وهو غير مكترث لما سوف يواجه ولم يكثرث.

إنهم وهم قلة كانوا يكسبون المعارك الطاحنة، فكيف وهم اليوم يخرجون في عدد لم يجمعوا مثله قبلاً". (٢)

ولكن ليس بكثرة القوة كما لمسنا سابقاً يتحقق النصر، وإنما تتضافر أسباب عديدة، أهمها الثبات، ففي لحظات الفرع هذه ثبت رسول الله ﷺ ومعه مجموعة قليلة من الصحابة وأخذوا ينادون الفارين بأن يثبتوا، "وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد، وهناك بدأ الهجوم المضاد على المشركين، وعندما رأت هوازن وتقيف أن المقاومة لا تجديهم نفعاً، وأنهم لا يستطيعون صد هجوم المسلمين انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وابناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين". (٣)

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص ١٢٦، مصدر سابق.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٣٨٨، مرجع سابق.

(٣) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ٣٦٧، مرجع سابق.

وهكذا انتصرت الأمة المسلمة بثبات وصبر قائدها، ويمكن حصر أهم أسباب هزيمة المسلمين في البداية بما يلي:

أ. الغرور والاعجاب: كان اعجاب المسلمين بكثرتهم والذي تحول لدى بعض عناصر الجيش إلى غرور السبب الرئيسي في الإهمال والاسترخاء الذي حل لدى كثير من عناصر الجيش محل التنبيه واليقظة والحذر مما أدى إلى تمكين العدو من وضع خطة الكمائن وتنفيذها بصورة ناجحة.

ب. مستوى التعبئة الممتاز الذي كانت عليه قوات هوازن قبل المعركة، فقد تم اصطحاب الأهل والمال ليقاوم الجنود قتال المستميتين.

ج. نجاح قائد هوازن -مالك بن عوف- في سبق المسلمين إلى وادي حنين واختياره المرابطة بجيشه في المكان المناسب من هذا الوادي.

د. نجاح قائد هوازن في اختيار مواضع الكمائن التي نصبها لتتقصد على عسكر الاسلام في الوقت الذي حدده لها.

هـ. نجاح خطة السرية والكمائن الذي اتبعها القائد مالك بن عوف، وهو يصنع وحدات الكمائن الخاصة في المواقع التي اختارها على طريق الجيش النبوي.

و. نجاح استخبارات ودوريات المشركين في الحصول على أدق المعلومات عن عسدد جيش الاسلام ومواعيد تحركاته.<sup>(١)</sup>

وشكل ثبات الرسول ﷺ الركن الاساسي، والمحور الرئيسي في انتصار جيش المسلمين في حنين، وقد انتصر الجيش بعد الهزيمة بسبب عدة عوامل:

أ. ثبات الرسول ﷺ: يأتي دونما شك في الدرجة الأولى حيث انحاز في الميدان إلى مكان مناسب وثبت فيه، وصار يناشد المنهزمين ليعودوا إلى ميدان الشرف وينضموا إليه الأمر الذي جعل هزيمة المسلمين غير شاملة، بعد أن كادت تكون كاملة، ومدمرة وساحقة.

ب. تسبب ثبات الرسول ﷺ في تماسك مائة من صفوة أصحابه يوم حنين، وكان لثبات هذه المائة أحسن الأثر في تخفيف هزيمة المسلمين، حيث شكل هؤلاء المائة بقيادة

(١) محمد باشميل، غزوة حنين، الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٩٨٣، ص ٣١٢ - ٣١٥، (باختصار).



قال ابن هشام: "إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوة الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة الحر وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلمًا يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يقصد له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة، فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم".<sup>(١)</sup>

وسورة التوبة تذكر آيات عديدة عن غزوة تبوك، يدرك من خلالها أهمية الجهاد بالنفس في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا من الآخرة إلا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير﴾ [التوبة: ٢٨-٢٩].

وأظهرت هذه الغزوة أهمية الجهاد بالمال، ودور هذا المال في تحقيق النصر.

"الجهاد ضد أعداء الإسلام ليس محصورا بالخروج للغزو بل ولا يكفي منه ذلك وحده فحيثما توقف أمر الجهاد بالقتال والسلاح على نفقات ومال، وجب على المسلمين كلهم أن يقدموا من ذلك ما يقع موقعا من الكفاية".<sup>(٢)</sup>

قال ابن هشام: "ثم إن رسول الله ﷺ جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وانفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها".<sup>(٣)</sup>

وظهر دور المنافقين خطيرا على المسلمين، إذ بدأوا بالتخاذل واختلاق الاعذار للنبي ﷺ حتى يتخلفوا عن جيش المسلمين، وهؤلاء يمثلون سوسة تنخر في عظم الأمة يجب التيقظ لها والحذر منها.

قال تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا لا تنفروا في الحرّ، قل نار جهنم أشدّ حرا لو كانتوا يفتقون﴾ [التوبة: ٨١].

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٩، مصدر سابق.

(٢) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص ٣٠١، مرجع سابق.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٨٠، مصدر سابق.

وقال تعالى: ﴿ومنهم من يقول انذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [التوبة: ٤٩].

"ومضت الآيات - من سورة التوبة - في صراحة وعنف ففضحت المنافقين وكشفت عن المترددين، وأهانت طلاب الدعة والراحة، الذين أثروا القعود في بيوتهم وحقولهم، على حر الصحراء، ووعثاء السفر ومتاعب الجلاء".<sup>(١)</sup>

وفي المقابل أقبل رجال من المسلمين اطلق عليهم "البكاؤون" يطلبون من رسول الله ﷺ ظهورا يركبونها للخروج إلى الجهاد معه، فقال لهم: "لا أجد ما أحكمم عليه" فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع تحرقا للجهاد في سبيل الله قال الطبري: "يقول تعالى: ولا سبيل أيضا على النفر الذين إذا ما جاءوك لتحملهم يسألونك الحملان، ليلبغوا إلى مغزاهم لجهاد اعداء الله معك، يا محمد قلت لهم: لا أجد حمولة أحكمم عليها، "تولوا" يقول: ادبروا عنك و "أعينهم تفيض من الدمع حزنا" وهم يكون من حزن أنهم لا يجدون ما ينفقون، ويتحملون به الجهاد في سبيل الله".<sup>(٢)</sup>

"أمر النبي ﷺ بإنجاز استعدادات الحركة لقتال الروم، ولم يكتف نيته في هذه الغزوة كما كان يفعل في الغزوات السابقة ليباغت بهذا الكتمان عدوه قبل أن يستطیع التهيؤ للقتال، فقد كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزو عدو كثير، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم وأخبرهم بوجهه الذي يريده ليتأهبوا لذلك".<sup>(٣)</sup>

"ولما بلغ المسلمون تبوك فلم يجدوا فيها كيدا أو يواجهوا عدوا، ولا بد للروم أن أثروا الاختفاء داخل حدودهم عن ملاقة هذه القوة الفتية، وصالح النبي منتصرة العرب الضاربيين في هذه الأرجاء، فدخل في عهده أهل أيلة، وأذرح وتيماء، ودومة الجندل، وأيقنت القبائل التي تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوانه.

وغزوة تبوك تشبه غزوة الأحزاب، فإن بلاء المسلمين أولها كان شديدا، ثم جاء ختامها طمانينة وعزة، ومكث الرسول ﷺ هناك بضعة عشر يوما، يمد بصره وراء الصحراء، حيث

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٤٠٤، مرجع سابق.

(٢) محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج ٦، ص ٤٤٦، مصدر سابق.

(٣) محمود شيت، الرسول القائد، ص ٣٩٨، مرجع سابق.

اختفى الرومان، يرقب منهم حركة، فلما رأى القوم قابعين مستكينين، قرر أن يقفل عائداً إلى المدينة موفورا منصوراً<sup>(١)</sup>.

"ويمكن اعتبار معركة غزوة تبوك معركة معنويات لا معركة ميدان، لم يستطع المسلمون الاصطدام بجيوش الروم وحلفاؤهم لانسحاب جيوشهم من منطقة تحشدتها في تبوك، بعد أن وصلتهم معلومات وثيقة عن قوة المسلمين ماديا ومعنويا ومع ذلك فقد انتصر المسلمون في غزوة تبوك على الروم انتصارا معنويا لا يقل عن الانتصار المادي في القتال"<sup>(٢)</sup>.

وقد كان للطاعة دور بارز في تحقيق ذلك النصر، "فاقبال المسلمين على الانخراط بجيش العسرة وتحملهم المشقات بنفس رضية قانعة يدل على مبلغ الضبط العالي الذي وصلوا إليه. إن الضبط أساس الجندية، ولا ينجح جيش لا يتحلى بالضبط المتين في أية معركة مهما يكن عدده كثيرا و سلاحه مؤثرا"<sup>(٣)</sup>.

إن النبي ﷺ قد انتصر على اعدائه مستخدما جميع مبادئ الحرب المعروفة في زمانه، وكل ذرة من قدرته العسكرية الفذة، والتي تمتاز بالجرأة والرصانة والشجاعة، فقد ادرك أن النصر من عند الله ولكن هذا لا يعني التواكل بل لا بد من إعداد الأسباب لتحقيق هذا النصر، وتعلم أصحابه منه فحاضوا الحروب اعلاء لكلمة الله سبحانه، فأسسوا مع رسولهم عليه الصلاة والسلام نظرية للنصر يستطيع المسلمون الاقتداء بها في كل زمان.

\* \* \* \* \*

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٤٠٩، مرجع سابق.

(٢) محمود شيت، الرسول القائد، ص ٤١٦، مرجع سابق.

(٣) المرجع ذاته، ص ٤١٧.

## الخاتمة

الحمد لله الذي يتم بفضل النقصان، والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

فبعون الله قد تم هذا البحث المتواضع حول آيات النصر في القرآن الكريم، وقد انكشفت لي من خلاله نتائج مهمة أجملها بما يلي:

**أولاً:** يعد نصر الله لعباده الصالحين من أعظم النعم، لذلك يجب أن يزداد شك المنتصرين وذكرهم معترفين بفضل الله ومنته عليهم في ذلك ليكون ذلك عوناً لهم على القيام بخلافة الله في الأرض وفق منهجه الذي شرعه لهم.

**ثانياً:** تتحقق سنة النصر في ظلال سنة الابتلاء، فقد شرع الله سبحانه جهاد الكفار لاعلاء كلمته سبحانه في الأرض، وهذا الجهاد يتطلب مصارعة الباطل وأهله، وهذا الصراع الذي تكون نتيجته لصالح عباد الله الصالحين فينصرهم تحقيقاً لوعده لهم والله لا يخلف الميعاد قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧].

**ثالثاً:** إن النصر والهزيمة يتعاقبان على الأمة، فلا يدوم النصر أبداً وكذلك لا تدوم الهزيمة، وإنما الأيام مداولة، والله سبحانه حكم كثيرة في تداول النصر والهزيمة على الأمة منها تمحيص المسلمين واختبار إيمانهم.

**رابعاً:** ربط السياق القرآني بين النصر والولاية، على اعتبار أن النصر ثمره للولاية، فيجب على المؤمن أن يخلص ولائه لله سبحانه حتى ينال نصره العزيز.

**خامساً:** من واجب الأمة أن تحرص على الإعداد والاستعداد الدائم لملاقاة أعدائها، فهذا الإعداد يشكل عاملاً قوياً في تحقيق النصر، أما إذا كسلت وترهلت تكون بذلك قد قصرت في أمر من أوامر الله سبحانه فلن يكون النصر حليفها لأنها حادت عن المنهج السليم.

**سادساً:** على الأمة في هذا العصر المتطور الحياة أن تستغل كل قدراتها البشرية وثرواتها الغنية في تصنيع ما تحتاج من سلاح فتستغني بذلك عن الاستكانة لغيرها من الأمم وتكون هي سيدة نفسها.

سابعا: لا بدّ من الاعتماد على جميع أسباب النصر من أسباب مادية، ومعنوية ثم إلهية غيبية، ثم التوكل على الله سبحانه في نزول النصر، والحذر من التواكل لأنه لا يجدي في تحقيق النصر.

ثامنا: أن الأمة تجني ثمرات عديدة من خلال نعمة النصر، فتبني كيائها واستقلالها وتوطد لها في الأرض أركان قوية ودعائم صلبة، فتحكم بما أنزل الله سبحانه تحقيقاً لأمر الخلافة في الأرض، كما تتعم بظلال الأمن فتبني حضارة قوية الأركان كما بنتها في الأمس الزاهر.

تاسعا: مظاهر وومضات النصر في حياة الأنبياء يمثل عاملاً مهماً في السير على دروبهم، والافتداء بهم، فقد ساروا على المنهج، ونصروا دين الله، ودعوا بدعوته فنصرهم الله، وكذلك يجب أن تكون الأمة.

عاشرا: بنى النبي محمد ﷺ وصحابته صرحاً شامخاً من الانتصارات في شتى مجالات الحياة، فقد كان عبقرياً فطناً ومعه خلة متميزة فلا بد من السير على الدروب التي ساروها حتى يمنّ الله علينا بما منّ عليهم، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## تحليل المصادر والمراجع

- ١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للامام ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ( ولد عام ٤٦٧ هـ وتوفي عام ٥٣٨ هـ ) وهو من امهات كتب التفسير القائم على اساس التفسير اللغوي وقد نجح الزمخشري في الغوص إلى دقائق المعاني وتمكن من ابرازها بأسلوب رائع جلي فيه الخصائص الاسلوبية للقران ، وكان كثيرا ما يؤيد المعتزلة في التفسير ، وقد جاء من بعده ف تناولوا هذا التفسير بالشرح والتعليق وتأليف الحواشي ومنهم العلامة ابن المنير الذي كشف عن اراءه الاعتزالية ورد عليها .
- ٢- جامع البيان عن تاويل القران للامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ( ولد عام ٢٢٤ هـ وتوفي ٣١٠ هـ ) ، وبعد تفسير الطبري من اجل كتب التفسير بالمأثور ولذا فقد نال شهره واسعة عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي ، وكان يهتم في تفسيره بالتحليلات اللغوية للكلمات التي ورد خلاف حولها ، وبالقرائات القرآنية ، وباسباب النزول واعتنى بالفقه واصوله وكان يرجح بين الاراء المختلفة على وفق قواعد اللغة والشرع .
- ٣- الجامع لاحكام القران : للامام محمد بن احمد بن فرج الانصاري الخزرجي الاندلسي ، ابو عبد الله القرطبي ( ولد عام ٢٥٦ هـ وتوفي عام ٦٧١ هـ ) من التفاسير الفقيه المهمه حيث يعني ببيان احكام القران وذلك بذكر الاية وسبب نزولها والاقوال في ذلك ويفصل ما فيها من احكام ، كان يذكر الاحاديث الواردة في الموضوع وكان مهتما ببيان القراءات والناسخ والمنوخ وبيان اللغات والاعراب الذي يتوقف عليه فهم الايات . ويعد هذا التفسير بحق موسوعة علمية هامة .
- ٤- تفسير القران العظيم لمؤلفة ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ( ولد عام ٧٠٠ هـ وتوفي عام ٤٧٤ هـ ) ، ومن اشهر ما دون في التفسير بالمأثور وهو يعد في المرتبة الثانية بعد تفسير الطبري . ويقوم منهجة على تفسير القران بالقران ثم بالاحاديث ثم باقوال الصحابة والتابعين ومن بعده من علماء السلف ، كان يذكر كثيرا من المناقشات والاحكام الفقهية ووجوه القراءات ولم يتوسع في ذكر وجوه الاعراب وفنون البلاغة كما كان يقتبس من التفاسير التي وجدت قبله كالزمخشري وابن عطية والرازي وغيرهم ، وكان يحذر من الاسرائيليات وينبه عليها .

٥- مفاتيح الغيب للامام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين بن الخطيب الرازي . ( ولد عام ٥٤٤ هـ وتوفي عام ٦٠٦ هـ ) يعد من التفاسير العقلية لاهتمامه بالتفسير بالرأي العقلي ويعد ايضا من امهات التفسير بالرأي الجامع بين المنقول والمعقول . اهتم بذكر المناسبات بين الايات والسور إلى جانب اهتمامه بالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية ، وكثيرا ما يرد على المعتزلة ورائهم وكان لكثير من آراء المتكلمين وآراء اهل الفرق والملل الاخرين . ذكر كثيرا من المسائل الاصولية والنحوية والبلاغية . كان في آيات الاحكام يتعرض لذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ايراد الادله والبراهين عليها .

٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني (توفي عام ١٢٥٥ هـ) .

يعتبر العلماء هذا التفسير اصلا من اصول التفسير ، ومرجعا مهما من مراجعه ، لانه جمع بين التفسير بالدراية والتفسير بالرواية ، واجاد في باب الداراية ، وتوسع في باب الرواية ، وذكر الشوكاني في مقدمة تفسير انه شرع همه تأليفه في شهر ربيع الاخر من شهر سنة ثلاث وعشرين بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية ، وذكر انه اعتمد في تفسيره هذا على ابي جعفر النحاس وابن عطية الدمشقي ، وابن عطية الاندلسي ، والقرطبي و الزمخشري وغيرهم .

٧- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الاندلسي المشهور بابي حيان ( ٧٥٤ هـ ) وهو من امهات التفسير اللغوي الذي يبرز وجوه اعراب الفاظ القران الكريم واقفا على الابعاد الدلالية المختلفة المبنية على تلك الوجوه ، ويذكر اسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والقراءات الواردة مع توجيهها وكذلك المسائل البلاغية والاحكام الفقهية ، ويذكر كثير من اقوال السلف والخلف من سبقه ، وقد بين في مقدمة تفسيره منهجه .

### ١- في ظلال القرآن : لسيد قطب

ولد عام ١٩٠٦ م وتوفي عام ١٩٦٦ م . من التفاسير الحديثة التي خاطبت العقل والقلب معا ، ركز فيه على جانب الدعوة وقام بربط ذلك بالواقع المعاصر ، وقد قام بربط الآيات مع بعضها البعض ، ويستخلص الدلالات ويسجل الدروس والعبر التي تظهر في كل مقطع من مقاطع السورة ، وكان يبتعد عن المسائل الخلافية ويستنبط من القرآن مباشرة .

### ٢- تفسير القرآن الحكيم ( المنار ) : لمحمد رشيد رضا

توفي عام ١٣٥٤ هـ هذا الكتاب من الكتب المهمة والحديثة في التفسير فهو يجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول ، ولا يتقيد بأقوال المفسرين ، ويمتاز بسهولة التعبير ، وكان لا يغوص كثيرا في المسائل الفقهية واللغوية ، ويعالج بعض القضايا المعاصرة والاحداث المستجدة لانه كان معتنيا بالاصلاح الاجتماعي والسياسي ونحوهما ينقل المؤلف كثيرا عن شيخه الامام محمد عبده حتى نسب اصل التفسير اليه .

### ٣- تحرير القول المفيد وتنوير العقل الجديد في تفسير القرآن المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور.

توفي عام ١٣٩٣ هـ . من التفاسير المهمة التي جمعت بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، ويعتبر تفسيره شاملا اذ كان يبين علاقة الآيات مع بعضها البعض وكذلك علاقة الآيات بالسور ، اعتنى ببيان وجوه الاعجاز ونكت البلاغة واساليب استعمال الالفاظ العربية ، وتعرض لاحكام الفقهية ، وكان يرجح بين الاقوال وينسبها إلى اصحابها .

### ٤- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي

توفي سنة ١٣٣٢ هـ في دمشق جمع في تفسيره بين المأثور والمعقول ، وقد اكثر من النقول من مختلف المصادر التي كانت بين يديه الا انه كان كجامع الزهور مع بعضها ليزيدها بهاء فكانت التنبيهات والاستطرادات ، واهتم بذكر المناسبات بين السور وبيان وجوه الاعجاز في النصوص القرآنية ، ويغلب على تفسيره صبغة الاصلاح الاجتماعي فقد كان مصلحا اجتماعيا في زمان فسدت فيه عقول الناس وقرائحهم لذلك كان كثيرا ما يركز على العبرة المستقاة من النصوص القرآنية .



## المصادر والمراجع

### المصادر

١. أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، تحقيق عبد الغفار النبراوي، وسيد كسروي، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١.
٢. احمد بن فارس، مجلد اللغة، (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، تحقيق زهير عبد المحسن، الطبعة الاولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.
٣. أحمد بن محمد الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (ت ٢٤١هـ / ١٨٢٦م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩.
٤. أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (ت ٧٥٦هـ، ١٣٥٥م)، تحقيق محمد التتوجي، الطبعة الاولى، عالم الكتب، ١٩٩٣.
٥. اسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، دار الفكر .
٦. اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) دار طيبة، بيروت .
٧. تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، الحسنة والسيئة، (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، العبودية، (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م)، المكتب الاسلامي، بيروت .
٩. الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر، (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، الطبعة الاولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.
١٠. الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن الكريم، (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر .
١١. الحسين بن محمد العتمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (ت ٢٨٩هـ، ٩٠٢م)، تحقيق زكريا عميرات، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
١٢. سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٢م)، تحقيق حمدي عبد المجيد، دار العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣.

١٣. سليمان بن أشعث أبو داوود، سنن أبي داوود، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، تحقيق محمد عبدالله، دار الفكر .
١٤. شهاب الدين السيد محمود الالوسي، روح المعاني، (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)، الطبعة الاولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.
١٥. صديق حسين القنوجي، فتح البيان، (ت ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م)، دار إحياء التراث العربي، مصر .
١٦. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (ت ٥٩٧هـ، ١٢٠١م)، الطبعة الثالثة، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٤.
١٧. علي بن محمد الخازن، لياب التأويل، (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
١٨. محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، (ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٠م)، تحقيق محمد بلتاجي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٩. محمد بن احمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م)، دار الكتب العلمية .
٢٠. محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م)، تحقيق مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير .
٢١. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، دار الكتب العلمية .
٢٢. محمد بن عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (ت ٢١٨هـ / ٨٢٣م)، تحقيق احمد السقا، دار التراث .
٢٣. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، الطبعة الثانية، دار الوفاء، بيروت، ١٩٩٧.
٢٤. محمد بن عمر الفخر الرازي، التفسير الكبير، (ت ٦٠٦هـ، ١٢٠٩م)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧.
٢٥. محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، تحقيق أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٦. محمد بن محمد ابو السعود، إرشاد العقل السليم، (ت ٩٨٢هـ / ١٥٧٥م)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
٢٧. محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس، (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤.
٢٨. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت، ١٩٩٧.
٢٩. محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٦م)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر .
٣٠. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)، تحقيق محمد النجار، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
٣٢. محمد بن يوسف ابو حيان الاندلسي، البحر المحيط، (ت ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.
٣٣. محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، (ت ٥٣٨هـ / ١١٣٣م)، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.
٣٤. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، (ت ٥٣٨هـ / ١١٣٣م)، دار الفكر .
٣٥. محي الدين محمد بن مصلح الشيخ زاده، حاشية الشيخ زاده، (ت ٩٥١هـ / ١٥٤٤م)، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
٣٦. مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي - بيروت

## المراجع

١. أحمد اسماعيل نوفل، الحرب النفسية من منظور اسلامي، الطبعة الثانية، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧.
٢. أحمد اسماعيل نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، الطبعة الأولى، دار الفرقان، ١٩٨٩.
٣. أحمد شلبي، صراع الحضارات، مكتبة النهضة المصرية .
٤. أحمد عمر هاشم، الأمن في الإسلام، دار المنارة، الازبكية، ١٩٨٦.
٥. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (ت ١٣٧١ / ١٩٥٢م)، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.
٦. أحمد المومني، التعبئة الجهادية في الاسلام، الطبعة الاولى، دار الارقم، عمان، ١٩٨٦.
٧. اسماعيل حسن، دراسات قرآنية، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة، ١٩٧٧.
٨. أنور وجدي، الاسلام والحضارة، دار الاعتصام .
٩. تيسير خميس العمر، العنف والحرب في الاسلام، الطبعة الأولى، دار الأفاق، دمشق، ١٩٨٦.
١٠. جمعة أمين عبد العزيز، الفريضة المفترى عليها، الطبعة الاولى، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٩٧.
١١. جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، الطبعة الاولى، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٩٨٠.
١٢. حسن البناء، رسالة الجهاد، مجموعة الرسائل (دون معلومات نشر) .
١٣. رؤوف شلبي، الجهاد في الاسلام، دار المكتبي، الكويت .
١٤. سعد المرصفي، الهجرة النبوية ودورها في بناء المجتمع، الطبعة الاولى، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٢.
١٥. سعيد حوى، جند الله ثقافة وأخلاق، الطبعة الثانية .
١٦. سعيد حوى، من اجل خطوة للأمام، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٧٩.
١٧. سليم عبد الله حجازي، منهج الاعلام الاسلامي في صلح الحديبية، الطبعة الاولى، دار المنارة، جده ١٩٨٦.

١٨. سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٦.
١٩. السيد ابو عطية، النظرية العامة للجهاد، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية.
٢٠. السيد عبد المقصود عسكر، في صحبة الرسل الكرام، الطبعة الأولى، دار البشر، طنطا، ٢٠٠٠م.
٢١. سيد قطب، في ظلال القرآن، (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)، الطبعة الخامسة، دار الشروق، ١٩٩٧.
٢٢. صالح اللحيدان، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، دار الأصمعي.
٢٣. صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في اعجاز القرآن، دار عمار، عمان .
٢٤. صلاح عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٩.
٢٥. عبد الله الشيخ محفوظ، خطاب الامن في الإسلام، الطبعة الأولى، اكااديمية نايف للعلوم الامنية، الرياض، ١٩٩٩.
٢٦. عبد الله غوشة، الجهاد طريق النصر، وزارة الاوقاف الاردنية .
٢٧. عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، الطبعة الأولى، دار المنارة، جده ١٩٨٥.
٢٨. عبد الله المطرودي، الانسان وجوده وخلافته في الارض، الطبعة الأولى مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٩٠.
٢٩. عبد الحميد كشك، في رحاب التفسير، المكتب المصري الحديث .
٣٠. عبد السلام بن نصر الله الشريف، سنة الله في عقاب الامم في القرآن، الطبعة الأولى، دار المعراج، جده، ١٩٩٤.
٣١. عبد العزيز كامل، دروس من غزوة أحد، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مصر، ١٩٦٨م.
٣٢. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر .
٣٣. عبد الكريم الخطيب، الحرب والسلام في الإسلام، دار نجد .

٣٤. عثمان السعيد الشرفاوي، شريعة القتال في الاسلام، الطبعة الاولى، مكتبة الزهراء، القاهرة.
٣٥. عماد الدين خليل، التفسير الاسلامي للتاريخ، الطبعة الاولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥.
٣٦. عماد الدين خليل، حول اعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الامة، قطر .
٣٧. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، الطبعة التاسعة، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٥.
٣٨. عمر احمد عمر، الجهاد في سبيل الله، دار المكتبي .
٣٩. فاروق الدسوقي، استخلاف الانسان في الارض، الطبعة الثالثة، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٩٦.
٤٠. ماجد عرسان الكيلاني، الامة المسلمة، عمان، ١٩٩٢.
٤١. محمد احمد باشميل، غزوة احد، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٤٢. محمد احمد باشميل، غزوة حنين، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٤٣. محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين المعيارية والوضعية، (دون معلومات نشر).
٤٤. محمد الامين الشنقيطي، اضواء البيان، عالم الكتب، بيروت .
٤٥. محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت، ١٩٨١.
٤٦. محمد جاد المولى، قصص القرآن، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣.
٤٧. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (ت ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الاولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٤.
٤٨. محمد حجازي، التفسير الواضح، دار التفسير، الزقازيق .
٤٩. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٩٧٤.
٥٠. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (ت ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م)، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية ١٩٩٩.
٥١. محمد بن سرور زين العابدين، منهج الانبياء في الدعوة الى الله، دار الارقم، الكويت، ١٩٨٤.

٥٢. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، الطبعة الحادية عشرة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١.
٥٣. محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإسانية في القرآن، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
٥٤. محمد سعيد غيبه، مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار المكتبي، ١٩٩٦.
٥٥. محمد السيد الوكيل، نظرات في احسن القصص، الطبعة الأولى، دار القلم بيروت ١٩٩٤.
٥٦. محمد السيد الوكيل، القيادة والجنديّة في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٦.
٥٧. محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الطبعة الثالثة، منشورات العصر الحديث، جدة، ١٩٨٤.
٥٨. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (ت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
٥٩. محمد طبيشات، الإنسان في القرآن، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
٦٠. محمد الطيب النجار، تاريخ الانبياء في ضوء القرآن والسنة، دار الاعتصام .
٦١. محمد عبد القادر ابو فارس، تفسير سورة الانفال، مكتبة المنار، الاردن ١٩٩٦.
٦٢. محمد عبد القادر ابو فارس، غزوة الحديبية، الطبعة الأولى، دار الفرقان عمان، ١٩٨٤.
٦٣. محمد عبد القادر ابو فارس، المدرسة النبوية العسكرية، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٣.
٦٤. محمد عبد القادر ابو فارس، الهجرة النبوية، الطبعة الأولى، دار الفرقان عمان، ١٩٨٢.
٦٥. محمد علي الهاشمي، شخصية الرسول ودعوته في القرآن، الطبعة الثالثة عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣.
٦٦. محمد عماره، الإسلام والامن الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٨.
٦٧. محمد الغزالي، فقه السيرة، الطبعة الخامسة، دار القلم، ١٩٩٤.
٦٨. محمد فرج، الإسلام والحرب في الإسلام، دار الفكر العربي، ١٩٦٠.

٦٩. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، مصر .
٧٠. محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الإسلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
٧١. محمد نعيم ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، دار النفائس، الكويت، ١٩٩٩.
٧٢. مديرية الافتاء العسكري، فضائل المجاهدين، عمان .
٧٣. مصطفى احمد كمال، اعداد الجيش في عهد الرسول، دار الفكر العربي، مدينة نصر .
٧٤. محمود شلبي، حياة نوح عليه السلام، دار الجيل .
٧٥. محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، القاهرة .
٧٦. محمود شيت خطاب، الرسول القائد، الطبعة الخامسة، دار الفكر، ١٩٧٤.
٧٧. محمود شيت خطاب، العسكرية العربية، كتاب الامة، العدد ٣، قطر ١٤٢٠هـ .
٧٨. ناصر بن الرحمن الخنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة الرياض، ١٩٩٦.
٧٩. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الطبعة الاولى، دار الفكر، ١٩٩١.
٨٠. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١.



## ◀ الدوريات

٢. مجلة الحرس الوطني السعودي، السعودية، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ - ديسمبر ١٩٨٥.
٢. مجلة الشريعة والقانون، جامعة بغداد - العراق، العدد الخامس، كانون الثاني / ١٩٩٠.

## ◀ الرسائل العلمية

١. منذر عادل، " الفرج بعد الشدة عند اولي العزم من الرسل " رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، المفرق، الاردن، ١٩٩٧.

There must be some sort of pursuing or imitating the prophets of Cod and his faithful worshipers.

They have moved on the holly work and call for the religion of Cod, they don't neglect nor being laizy in taking reasons that are suitable for that.

The must be some sort of model spiritual values and typical example that we identify ourselves with or following it, thus, we study their different triumphs understanding from which lessons and advices that are very useful for us in this life.

or affliction, and it has also to distinguish between the defeat when it is a visitation from God, or it is a punishment when we became far away from God's approach and way.

The verses of the Holy Koran have explained that the triumph can't be true in the nation's life unless they prepare the circumstances and reasons that led to the triumph. Those reasons that God had showed and ordered us to follow, some are abstracts as faith in God which is the base of forming a fertile land in which the triumph grows up, and as the trust in God which built on taking decisions, and as God's prayer which is one of the strong reasons of the believers' triumph, and as patience which forms a strong principle in forming the triumph, so there is no triumph without patience.

And some reasons are concrete, its existence can be seen in the real life, such as the foundation of the power which consists of all available and developing weapons kinds, and the foundation of the sufficient amount of mankind; because human is the base of triumph, and weapons are useless if there is no hand to carry.

Both kinds of triumph (abstracts and concretes) factors form a wing to the triumph bird, and this bird can't fly unless it has its two wings altogether; but if one of the wings is absent it can't fly. And the nation that works in good faith to achieve victory in all aspects of life such as the military, political, social and economic fields and it doesn't feel content in one aspect to the exclusion of others.

Then this nation marches to achieve victory without any interest to what others accuse from charges to decrease its own trust in itself and destroying its mastery, independence and destroying its civilization. The Holy Koran has warned the nation for its weakness or cowardness, the nation must not listen to such trites and not to care for them.

The Islamic nation when God blesses it with victory, it will get many fruits because victory is a good bliss. These fruits are:

1. Supporting rights, and fighting the wrong - doing on earth.
2. Achieving security in all aspects of life.
3. Achieving Caliphate on earth, God has made man his deputy on earth to create religion and worship him.
4. Building a good and strong civilization to the nation in all aspects of life (the concrete and the spiritual one).

# THE QURANIC VERSES DEALING WITH THE BELIEVERS TRIUMPH AND ITS CAUSES: A THEMATIC STUDY

## ABSTRACT

The subjective interpretations regarded as one of the most important interpretations approaches in modern times, in the sense that the interpretator must be obliged to a particular subject, not to a particular place, starting from the actuality that the nation lives in.

Standing on the problems which the nation is suffering from to introduce solutions depending on "The Holy Koran".

I have studied throughout this thesis "The Verses of the Holy Koran According to the Believers, Triumph and Its Reasons" to stand on these reasons, the nation will go on seriously to bring them again into life, and coming back its victory that it has lost it recently.

God promises, through the verses of the Holy Koran, the Islamic Nation in "triumphing" and undoubtedly his promise is truly enough but this promise depends on a former principle which is "The conflict between the Right and wrong", so this conflict is a bsolute and inevitable because "The Right" and "The Wrong" are rivals, so they cant bring together; in the sense that they are always in conflict. And the triumph in this conflict is always on the behalf of the believers.

But that conflict needs to a great bridge of sacrificing, so that God legislates Al-Jihad "The holly war" for fighting the wrong and its supporters; and this holly war is very old as much as the mankind is. The wrong whatever its courses and colours are different, they will be conflicting with the right and its supporters because they (The wrong and its supporters) know that the predominance on the earth is absoltly for Islam; so their souls are full of fear while they are fighting the believers.

The faithful nation is ranging in its life from the triumph and the defeat. So it doesn't always live the case of triumph, nor the case of the defeat; but both of them are sequential in the life of nation.

The Nation has to distinguish between the triumph, in the sense of "blessing or grace", and the triumph when it be comes a tribulation